وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

السنة الأولى

منشورات جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم
الإنسانية الثانية (السويداء)

المدخل إلى أصول البحث

الدكتور
حسام النايف
أستاذ مساعد في جامعة دمشق
قسم التاريخ

الدكتورة
ميسون المرعشلي
أستاذ مساعد في جامعة دمشق
قسم التاريخ-السويداء

١٤٤١ - ١٤٤٢هـ
٢٠١٩ - ٢٠٢٠ م

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٩
الفصل الأول: تعريف التاريخ ومفهومه وأهدافه وصفات المؤرخ	١٣
مقدمة في ماهية التاريخ	١٥
أولاً- تعريف التأريخ	١٩
ثانياً- فوائد دراسة التاريخ	٢٩
ثالثاً- الصفات الواجب توفرها في المؤرخ	٤٢
الفصل الثاني: تطور علم التاريخ	٤٩
أولاً -تطور علم التاريخ قبل ظهور الإسلام:	٥١
١-تطور علم التاريخ في الحضارات القديمة	٥١
٢-تطور علم التاريخ في الجزيرة العربية قبل الإسلام	٥٣
أ- كعب الأحبار	٥٨
ب-وهب بن المنبه	٥٩
ج - عبيد بن شريه الجرهمي	٦١
ثانياً-تطور علم التاريخ في العصر الإسلامي:	٦٣
أ- التاريخ والتأريخ في أدبيات الحضارة العربية	٦٣
ب- أثر الحديث في التدوين التاريخي عند العرب	٦٥
ج- بداية التدوين التاريخي عند العرب والمسلمين	٦٩
ثالثاً-تطور علم التاريخ في أوروبا في العصور القديمة والوسطى	٧٩
١-تطور علم التاريخ في الحضارتين اليونانية والرومانية	٧٩
٢-تطور علم التاريخ في أوروبا العصور الوسطى	٨٦

٣-تطور التاريخ في عصر النهضة الأوروبية	٨٩
الفصل الثالث: العلوم المساعدة لعلم التاريخ	٩٩
مقدمة	١٠١
١- علم اللغات	١٠٢
٢- علم الوثائق	١٠٥
٣- علم التوقيت (الكرونولوجيا)	١٠٧
• التقويم الميلادي الغريغوري	١٠٨
• التقويم الهجري	١٠٩
٤- علم الأختام والرنوك	١١٠
٥- علم النقود والمسكوكات "النمّيات"	١١٢
٦- علم الآثار	١١٩
٧- علم الشيفرة (Cryptographie)	١٢٥
٨- العلوم الاجتماعية	١٢٨
أ- علم الجغرافيا	١٢٨
ب- الاقتصاد	١٣١
جـ- علم الإنسان (الانثرويولوجيا)	١٣٣
د- علم الاجتماع	١٣٥
٩- الآداب والفنون:	١٣٧
أ- الأدب:	١٣٧
ب-الفنون	١٣٩
الفصل الرابع: اختيار موضوع البحث التاريخي	١٤٣
تمهيد	١٤٥
أولاً- اختيار الموضوع	١٤٨

ثانياً – خطة البحث	١٥٣
ثالثاً– جمع المادة العلمية للبحث (المصادر والمراجع)	١٥٦
١– المصادر الأولية	١٥٧
٢– المراجع الثانوية	١٥٧
٣– الحاشية أو الهامش	١٦٧
رابعاً– أقسام البحث:	١٧٩
١– صفحة العنوان	١٧٩
٢– صفحة الإهداء	١٨٠
٣– صفحة الشكر والتقدير	١٨٠
٤– محتويات البحث أو فهرسه	١٨١
٥– المقدمة	١٨٢
٦– متن البحث	١٨٤
٧– الخاتمة	١٨٦
٨– الملاحق	١٨٦
٩– الفهارس الفنية	١٨٧
١٠– فهرس المصادر والمراجع	١٨٩
قائمة المصادر والمراجع	١٩٩

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

تُعَدُّ مادة أصول البحث التاريخي من أهم المواد الدراسية التي يضطلع طلبة التاريخ بدراستها في المرحلة الجامعية. وذلك لاعتماد بقية المواد عليها في كيفية البحث وأساليبه، والطرائق المتبعة في كتابة البحوث التاريخية. ونظراً لهذه الاهمية وجب أن تكون بين يدي الطلبة مادة منفصلة عن أصول البحث تنسجم ومفردات المناهج التي وضعت لتغطيتها في أثناء السنة الدراسية، وعلى الرغم من وجود العديد من الكتب التي كُرست لمعالجة هذا الموضوع، فإن بعضها صعب المنال، ولا يتوافر منه إلا نسخة أو نسخ محدودة في المكتبات، وبعضها الآخر لا يغطي المفردات المقررة لهذه المادة، أو أنه يتوسع في نقاط خارجة عنها تدخل ضمن اختصاصات أخرى غير تاريخية.

ويجب الاعتراف هنا بأننا لم نضف شيئاً جديداً إلى ما كُتب في موضوع أصول البحث التاريخي، الذي ثبتت قواعده وأسسه منذ عشرات السنين، ولكننا حاولنا أن نقدم لطلابنا مادة سهلة، لا غموض فيها، فأوجزنا ما أسهب فيه غيرنا مما لا يدخل في صميم اختصاص طالب التاريخ، وفصلنا فيما يحتاجه الباحث فعلاً في حقل التأليف التاريخي، معتمدين على الأمثلة والنماذج لتكون تطبيقاً عملياً لما يقرؤه ويدرسه عن الموضوع.

وقد تطلب التنظيم المنهجي أن يكون الفصل الأول من الكتاب يتعلق بمفهوم التاريخ والاختلافات حوله والتعاريف المتعددة له، وفائدته وأهميته في الماضي والحاضر والمستقبل والصفات التي يجب أن يتميز بها المؤرخ.

أما الفصل الثاني فقد تناول نشأة وتطور مناهج البحث والتدوين التاريخي منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر، فتمت الإشارة إلى التدوين في الحضارات

القديمة، والحضارتين اليونانية والرومانية والحضارة العربية الإسلامية، والتدوين التاريخي في أوروبا منذ بداية العصور الوسطى حتى العصر الحديث.

وفي الفصل الثالث تمت مناقشة العلوم المساعدة التي لا بد للمؤرخ من الإلمام ببعضها ليستطيع أن يقوم بمهمته على خير وجه. فدارس التاريخ يحتاج إلى أنواع مختلفة من العلوم الإنسانية؛ لأن التاريخ يتناول جميع مجالات النشاط الإنساني، وقد نوقشت معظم هذه العلوم مع بيان مدى علاقتها وارتباطها بالتاريخ.

وخصصنا الفصل الرابع لطرق اختيار البحث وكيف يتم جمع المادة العلمية وما المنابع التي يقصدها الطلبة والباحثون للوصول إليها مع إطلالة على فنون الكتابة التاريخية العربية والإسلامية. وذلك لتدرج المعلومات التي يجب على الطالب أو الباحث أن يعرفها عن الموضوع قبل أن يدخل في خضم الكتابة والتأليف فيه، وينطبق هذا الأمر بشكل خاص على الطلبة الجدد الذين لا بُدَّ من أن يعرفوا ماهية التاريخ وجدوى دراسته وفائدته والاهتمام به في الوقت الحاضر قبل أن يشرعوا في كتابة البحوث فيه.

أما بالنسبة للمصادر والمراجع التي استخدمت في البحث، فهي كثيرة ومتنوعة منها مصادر تراثية أولية تم ذكرها في أثناء الحديث عن أهمية التاريخ وفائدته وتعريفه مثال المقدمة لابن خلدون، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي، أو لشرح بعض المصطلحات، أو المعاني الغامضة مثل لسان العرب لابن منظور؛ أو أنها كتب خاصة بالحديث عن المؤلفات، مثل كتاب الفهرست لابن النديم.

وقد تنوعت مراجع البحث تنوعاً كبيراً، فمنها ما هو خاص بعلم التاريخ وكيفية فهمه وأهميته، ويأتي في مقدمتها كتاب "كيف نفهم التاريخ " لجوتشلك، و"قيمة التاريخ" لهورس، و"فكرة التاريخ" لكولنجوود، و"نحن والتاريخ" لقسطنطين زريق. وقد أسهمت هذه الكتب في تقديم معلومات وافية خدمت مباحث الكتاب،

وكان لها الأثر الكبير في بنائه وتكوينه. وأفادت الكتب الخاصة بمناهج البحث التاريخي في إقامة وتكوين الفصول الخاصة بأصول البحث، ونشير في هذا المجال إلى كتاب "المدخل إلى الدراسات التاريخية" تأليف لانجلو وسينويوس، الذي استمد منه معظم الكتّاب اللاحقين جُلَّ معلوماتهم عن هذا الموضوع، ومن هؤلاء أسد رستم في كتابه "مصطلح التاريخ"، وحسن عثمان في كتابه "منهج البحث التاريخي"، وعبد الرحمن بدوي في كتابه "مناهج البحث العلمي".

وفي الختام نرجو أن نكون قد وفقنا في الوصول إلى الهدف الذي من أجله تم وضع هذا الكتاب، لخدمة طلاب البحث التاريخي، فما نحن إلا طلاب علم بذلنا ما في وسعنا والكمال لله وحده وله الحمد والمنّة في الأول والآخر وبه نستعين.

أ.م.د. حسام النايف– أ.م.د. ميسون المرعشلي

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الأول

تعريف التاريخ ومفهومه وأهدافه

وصفات المؤرخ

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

مقدمة في ماهية التاريخ:

ما التاريخ وما جدوى دراسته والاهتمام به في الوقت الحاضر؟ سؤال يتردد على ألسنة المختصين بهذا العلم وتستفتح به الفصول الأولى للكتب المكرسة لسبر أغواره والتعمق في دراسته والاطلاع على فوائده ومزاياه، بل إن أحدهم وضع السؤال الآتي:

"**ما هو التاريخ**"[1] عنواناً لكتابه، وزيادة في التأكيد وجباً في إيجاد الجواب المناسب الذي يشفي غليل المتطلعين إلى دراسته والإفادة منه. ولقد شملت اهتمامات الباحثين مجالات شتى، منها تحديد معنى التاريخ وتطور موضوعه والأسلوب المقتضي لتحري الحقائق وتدوينها، والأسس العامة في التفسير والتحليل وتُعَرف دراسة هذه المجموعات جميعاً بأصول التاريخ التي تشمل جميع السبل المؤدية إلى معرفة التاريخ وأهميته وفلسفته وتفسيره.

تستعمل كلمة "تاريخ" في بعض اللغات الحية مثل "History" الإنكليزية، و"Histoire" الفرنسية و"Geschichte" الألمانية، و"Historia" الإسبانية، للتعبير عن الماضي البشري تارة، وعن الجهد المبذول لمعرفة ذلك الماضي ورواية أخباره أو العلم المعني بهذا الموضوع تارة أخرى، وقد حاول بعض الباحثين الغربيين محاولات شتى للتمييز بين هذين المعنيين، فأطلق بعض الفرنسيين مثلاً "Histoire" بـ (H كبرى) على الماضي، و"histoire" بـ(h صغرى) على العلم المعني به[2]، وحاول آخرون الرجوع إلى اللغتين اللاتينية واليونانية، بحثاً عن جذر

---

[1] إدوارد كار، ما هو التاريخ، ترجمة أحمد حمدي محمود، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٦٢.

[2] قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩، ص ١٣.

الكلمة للتعرف إلى معناها الحقيقي، وقد أشار جوزيف هورس[1]، إلى أن كلمة "histoire" يونانية يدل جذرها على الرؤية فالإستور (histor) هو الذي رأى، أو إن شئت الذي قام شاهداً... أما كلمة "History" الإنكليزية فتعني بحسب ما استخدمها الفيلسوف الإغريقي أرسطو طاليس: " سرداً منظماً لمجموعة من الظواهر الطبيعية سواء جاءت مرتبة ترتيباً زمنياً أم غير مرتبة في ذلك السرد..."[2]، ثم تطورت كلمة التاريخ الإنكليزية لتعني في الغالب سرد الظواهر الطبيعية، ولاسيما مسائل الإنسانية المرتبة ترتيباً زمنياً وأصبحت في مفهومها العام الشائع تعني "ماضي الإنسانية"[3].

أما في اللغة العربية فإن لفظة "التاريخ" تدل على معان متعددة وقد اختلف العلماء في أصلها، لكن المرجح أنها من الإعلام بالوقت وتحديد الزمن، وقد أشارت المعاجم العربية إلى هذا المعنى، فذكرت أن التاريخ هو تعريف الوقت والتوريخ مثله، يقال أرخ ليوم كذا، وقته[4]، وقد حاول بعض القدماء أن يرجع اشتقاق هذه الكلمة إلى اللغة الفارسية فزعم أنها مأخوذة من "ماه روز" التي يراد بها

---

[1] جوزيف هورس، قيمة التاريخ، ترجمة الشيخ نسيب وهبة الخازن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٤، ص ٩.

[2] لويس جوتشلك، كيف نفهم التاريخ، ترجمة عائدة سليمان عارف، وأحمد مصطفى أبو حاكمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٦، ص ٥٥.

[3] جوتشلك، كيف نفهم التاريخ...، ص ٥٥-٥٦؟

[4] انظر على سبيل المثال: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري المعروف بابن منظور، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت ١٩٧٠، مادة أرخ؛ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت ١٩٨٢، مادة أرخ.

تعيين بدء الشهر، فعربوها وقالوا "مؤرخ" وجعلوا المصدر منها التاريخ[1]. وهذا اشتقاق بعيد لا يظهر فيه أي تقارب بين اللفظين العربي والفارسي، وهو على الأغلب من تأثير الشعوبية التي تحاول أن تنسب كل علم عربي إلى أصل فارسي، وقد أشار بعضهم أيضاً إلى احتمال صلة هذه الكلمات باللغات العربية القديمة حيث تلوح القرابة بينها وبين كلمة "ياريح" التي معناها القمر و"يرح" التي معناها الشهر في العبرية القديمة[2]، لكن المرجح أن جذرها "ورخ" هو جذر عربي قديم أيضاً لكنه مأخوذ من لغة أهل اليمن الجنوبية وليس من العبرية، ويذكر شاكر مصطفى[3] اعتماداً على مرغليوث "Margoliovth"، أن إحدى صيغتي الكلمة "ورخ" موجودة في لغات عربية قديمة هي الفينيقية والأكادية والعبرية والسريانية والعربية الجنوبية وتعني الشهر أو القمر.

والملاحظ أن العرب القدماء كانوا يحددون شهورهم بالقمر لا بالشمس، وأنهم كانوا يبنون تاريخهم على الليالي دون الأيام كما هو متّبع في التقويم الهجري، لذا فإن معنى كلمة "تاريخ" كان في مبدأ أمرها هو تحديد الشهر، ثم اتسع فصار التوقيت العام، أي تحديد زمن حدث من الحوادث، ثم تطور مفهوم الكلمة

---

[1] حمزة بن الحسن الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، منشورات مكتبة الحياة، بيروت د.ت.، ص ١٢.

[2] كب، علم التاريخ، كتب دار المعارف الإسلامية رقم (٤)، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١، ص ٢٧.

[3] شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخين، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩، ج١، ص ٤٩-٥٠، هامش رقم ١، ص ٥٠؛ عماد أحمد الجواهري، مفهوم التاريخ وتطور الفكر التاريخي، فصل في كتاب: دراسات في فلسفة التاريخ، تأليف يحيى الملاح وآخرون، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٨، ص ١٣١٢.

حتى شمل رواية الحديث نفسه من جهة وتحديده من جهة أخرى[1]، لكن هذه الكلمة بمعناها الاصطلاحي المعروف لم تظهر في القرآن الكريم ولا في الأحاديث النبوية الشريفة، علماً أنها كانت تستخدم بمعنى التقويم في النقوش العربية الجنوبية ثم استخدمها الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين أدخل التقويم الهجري، فقد ورد هذا الاصطلاح في إحدى أوراق البردي التي يرجع تاريخها إلى سنة (٢٢هـ/٦٤٢م)، ما يدل على أن الكلمة كانت معروفة في ذلك الحين[2].

يمكن القول إذاً إن هذه الكلمة قد مرت بعدة أطوار، فبدأت مسيرتها أولاً بمعنى التقويم والتوقيت في صدر الإسلام، وبعد أن استخدمت لفترة من الوقت بهذا المعنى، كسبت معنى آخر هو تسجيل الأحداث على أساس الزمن، وكان يستخدم بدلاً منها في هذه العملية التاريخية، كلمة الخبر ، وأخبار، وإخباري، ثم بدأت كلمة تاريخ تحل بالتدريج محل كلمة خبر، وأخذت تطلق على عملية التدوين التاريخي، وعلى حفظ الأخبار بشكل مسلسل، وكان ذلك أواسط القرن الثاني للهجرة، ومع بداية القرن الثالث للهجرة صارت كلمة "تاريخ" تطلق على العلم بأحداث التاريخ وأخباره وبأخبار الرجال والكتب التي تبحث في ذلك. وقد حلّت هذه الكلمة محل كلمتي "الخبر" و"الأخباري" اللتين انتهت استعمالاتهما العلمية وبطل استخدامهما في القرن الرابع للهجرة[3].

---

(١) حسين نصار، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ط٢، منشورات إقرأ، بيروت ١٩٨٠، ص ٦.

(٢) فرانز روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣، ص ٢٣-٢٤؛ السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخين العرب، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١، ص ١٨-١٩.

(٣) مصطفى، التاريخ العربي ...، ص ١، ٥١.

وخلاصة القول إن صلة الإنسان بالتاريخ وفهمه له قد تغير تغيراً بعيداً منذ تلك الأيام الأولى التي لم يكن التاريخ فيها سوى ضرب من الميثولوجيا أو قصص أساطير الأولين. وإن العرب قد أدوا دوراً حاسماً في تقدم العلوم التاريخية، وكان دورهم في عصورهم الذهبية يفوق بكثير دور الأمم الأخرى. فعن طريق منهجية الحديث -كما سنرى لاحقاً- أدخلوا في التاريخ الاعتناء بالموضوعية، والتأكد من صحة الأخبار المروية بفضل قواعد الجرح والتعديل، والاعتناء بنقد السند والرجال، أي ما نسميه اليوم النقد الخارجي. وبهذا جعلوا من التاريخ علماً ذا جدية ومنهجية. وكذلك قد حاولوا أن يخرجوا به من حدود الإقليمية الضيقة إلى حدود أوسع هدفها أن تشمل العالم المتحضر المعروف في زمانهم[1].

أولاً- تعريف التأريخ:

إذا ما عدنا إلى نطاق التاريخ والاتجاهات الرئيسة فيه، واجهتنا جملة تعريفات ومفاهيم للتاريخ حتى أصبح لدينا الكثير مما يدعو إلى الرفض أو التساؤل متداخلاً مع الكثير مما يتوفر فيه الوضوح والإقناع، ولنبدأ بالمؤرخ اليوناني الشهير هيرودوت "Herodotus" الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، فالتاريخ في رأيه يشتمل على التحري والبحث والتحقيق في أحداث الماضي وتسجيلها، ولا يتم هذا التحري في نظر هيرودوت إلا إذا قام به المؤرخ نفسه، وسافر إلى الأماكن التي يروم دراستها من الناحية التاريخية[2]، ويقرب هذا المفهوم للتاريخ من التعريف

---

[1] محمد الطالبي، "التاريخ ومشاكل اليوم والغد"، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، فلسفة التاريخ، العدد الأول ، إبريل -مايو-يونيو، وزارة الإعلام، الكويت ١٩٧٤، (ص ص ١١-٤٥)، ص ١٨.

[2] نوري جعفر، التاريخ مجاله وفلسفته، مطبعة الزهراء، بغداد ١٩٥٥، ص ٣٠.

الذي ذكره عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) في مقدمته الشهيرة[١]، فهو يبدأ حديثه عن التاريخ بالقول: "أما بعد فإن التاريخ فن من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال وتتنافس فيه الملوك والأقيال، وتتساوى في فهمه العملاء والجهال إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى... وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها خليق..."

ويقول محيي الدين محمد بن سليمان الكافيجي (ت ٨٧٩هـ /١٤٧٤م)[٢]، في تعريفه للتاريخ: "وأما علم التاريخ فهو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته". أما محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م) [٣] فيقول عن التاريخ: "وأما موضوعه فالإنسان والزمان، ومسائله أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الاحوال العارضة الموجودة للإنسان وفي الزمان"، ويعرّفه أحد مؤرخي القرن التاسع عشر للميلاد الإنكليزي تشارلز فيرث بقوله: "التاريخ شيء لا يسهل تعريفه ولكن يبدو لي أنه سجل لحياة المجتمعات الإنسانية وللتغيرات التي اجتازتها تلك المجتمعات وللأفكار

---

[١] مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت، ص ٣-٤.

[٢] المختصر في علم التاريخ؛ فرانتز روزنثال مع كتاب علم التاريخ عند المسلمين، ص ٣١٧-٣٧٠، انظر ص ٣٢٧.

[٣] الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، نشره ؛ فرانتز روزنثال مع كتاب علم التاريخ عند المسلمين (ص ٣٧١-٧٢٥)، انظر ص ٣٨٥.

التي تحكمت في توجيه نشاط تلك المجتمعات وللظروف المادية التي ساعدت على تطورها"[1].

وهكذا نرى أن الاتجاهات تتباين في تعريف التاريخ، فهناك من يراه "البحث عن الحقائق وتدوينها وهي نظرة تغلب في القرن التاسع عشر، وهناك من يعتبره تفسير الحقائق وربطها، فالمؤرخ يختار الحقائق أو بالأحرى يبحث عن حقائق معينة ويجمعها، وهذه هي مادته الأولية، ثم يكسبها مفهومها التاريخي. وفي الحالين يكون المؤرخ محور الموضوع..."[2]. ويؤكد عبد العزيز الدوري[3] هذه الصلة بين المؤرخ وحقائق التاريخ، فيشير إلى أنها وشيجة جداً، فالمؤرخ دون حقائق لا جذور له، والحقائق دون مؤرخ مجردة من الحياة والمعنى، فالتاريخ عملية مستمرة للتفاعل بين المؤرخ وحقائقه، أو هي: " حوار متصل بين الماضي والحاضر".

وقد أجمل أحد الأساتذة المحدثين الغرض من التاريخ "بأنه محاولة الإجابة عن خمسة أسئلة، يتعلق أربعة منها بتحري الحقائق، ويرمي خامسها إلى التفسير والتعليل، والأسئلة هي: من، وماذا، ومتى، وأين، ولماذا أو بتعبير آخر من الفاعل، ما هو الفعل ومتى وأين حدث، ولماذا؟ ويرى بأن الإجابة عن الأخير من هذه الأسئلة كانت ولا تزال مصدر اختلاف بين المؤرخين[4]؛ وبالإضافة إلى هذه

---

(1) أ. ل. راوس، التاريخ أثره وفائدته، ترجمة مجد الدين حنفي ناصف، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٨٨، ص ٥٦.

(2) عبد العزيز الدوري وآخرون، تفسير التاريخ، منشورات مكتبة النهضة، مطبعة الإرشاد، بغداد د.ت.، ص ٣

(3) المرجع نفسه، ص ٣.

(4) زكي صالح، محاضرات في أصول التاريخ، القيت على طلبة الشرف بقسم التاريخ في كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٦٣-١٩٦٤، ص ٦.

الأسئلة التي تتجه جميعها نحو شؤون الماضي، هناك من المؤرخين من يوجه السؤال نحو شؤون المستقبل أيضاً، والمؤرخ يسأل كذلك إلى جانب السؤال لماذا؟ السؤال إلى أين؟"[1].

ويرفض معظم المؤرخين الجواب عن السؤال الأخير ويعدونه خارج نطاق اختصاصهم وقليل منهم من جازف بالجواب عنه، وهناك من بالغ في الحيطة والحذر، مثل المؤرخ الشهير ليوبولد فون رانكه "L.V. Ranke"، والذين ساروا على نهجه، فلم يروا مبرراً للإجابة حتى عن السؤال "لماذا؟"، ولا ننس أن مختلف نظريات التفسير التاريخي[2]، مثل التفسير الديني للتاريخ ونظرية الرجل العظيم التي جاء بها كارلايل "T. Carlyle" والتفسير الاقتصادي الذي جاء به كارل ماركس "K. Marx"، ترجع في الأصل إلى محاولات الإجابة عن هذا السؤال "لماذا؟" الذي تحاشاه نفر من أبرز المؤرخين[3].

وعلى العكس من رانكه وأتباعه الذين بالغوا في الحيطة والحذر، هناك من أطلق لتفكيره العنان، مثل ابن خلدون، وسبنغلر "O. Spengler" فلم يقتصروا على الإجابة عن السؤال "لماذا"، بل تمادوا حتى في الإجابة عن السؤال "إلى إين؟" ويقع بين هذين الطرفين من المؤرخين أصناف مختلفة في تقدير ما يجوز وما لا يجوز للمؤرخ أن يتطرق إليه ولعل آرنولد توينبي "A. Toynbee" يمثل أكثر المؤرخين المحدثين من فلاسفة التاريخ اعتدالاً، فهو وإن تقدم في تبيان العلل

---

[1] كار، ما هو التاريخ...، ص ١٣٨.

[2] غانم محمد الحفر، نظريات تفسير التاريخ، فصل في كتاب، دراسات في فلسفة التاريخ، تأليف هاشم يحيى الملاح وآخرون (ص ٦٥-١٦٩).

[3] صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧١، ٧.

والأسباب، وأمعن في اكتشاف قواعد عامة في تاريخ البشرية، فإنه لم يلتزم بحتمية هذه القواعد فيما سيحدث في المستقبل[1].

إن مجرد تحرّي الحقائق هي وحدها مادة التاريخ وهي المقصودة بالأسئلة الأربعة التي أشرنا إليها سابقاً، فما نطاق هذه الحقائق، أو بالأحرى ما نطاق التاريخ؟ لقد استمر مفهوم التاريخ ولحقب طويلة من الزمن، مقتصراً على سير الملوك، وقصص الحرب، أو على سير رجال الدين، أو على الشؤون السياسية فحسب، وحتى في أواخر القرن التاسع عشر للميلاد نجد المؤرخ البريطاني المعروف سيلي "G. R. Selley" يصرّح في عبارته المأثورة التي كثر الجدل حولها بأن "التاريخ هو السياسة الماضية والسياسة هي التاريخ الحاضر"[2].

غير أن المعنى اتسع تدريجياً ولم يعد مفهومه يقترن بالماضي وحده، لأن التاريخ كما يقول حسين مؤنس[3]، أصبح يمثل "حركة الكون وحركة الأرض وحركة الأحياء والناس على سطح الأرض وما تستتبعه هذه الحركة الدائمة من تغيير دائم، وحيث إن الحركة هي تغير مستمر منذ أن بدأ الله سبحانه وتعالى الخلق إلى أن يطوي الأرض وما عليها، فإن التاريخ أيضاً متصل منذ الأزل إلى الأبد، وهو يشمل الماضي والحاضر والمستقبل جميعاً، فكله تاريخ وكله ميدان عمل المؤرخ، وهو نهر الحياة المتدفق الجاري المتجدد دائماً بما تأتي منابعه وما تأتي به روافده.

---

[1] محي الدين إسماعيل، توينبي، منهج التاريخ وفلسفة التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٧، ص ٣٤ وما بعدها.

[2] ف. جي. سي. هرنشو، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٤٤، ص ٩٢-٩٣.

[3] الحضارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١، ١٩٧٨، ص ١٢١.

وينسجم هذا المفهوم الواسع لنطاق التاريخ مع ما أشار إليه أحد الباحثين العراقيين[1]، "من حيث اتساع معناه وبلوغه خلال القرن العشرين أقصى مداه، فأصبح يشمل جميع شؤون البشر الماضية المتداخلة أو على انفراد، بما فيها الشؤون الدينية والعلمية والعمرانية والسياسية والحربية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعلاقات الدولية، وكذلك أثر البيئة في حياة الإنسان. فالتاريخ على هذا الأساس هو "كل ما طرأ على البشرية بفعل البيئة وهو ما نجم عن جهود الإنسان، أما علم التاريخ فهو تدوين ذلك على الوجه الصحيح ومحاولة إظهار معناه"، وقد اختصر قسطنطين زريق[2] تعريف التاريخ بخمس كلمات فعرّفه بأنه: "السعي لإدراك الماضي البشري وإحيائه"، لكنه فسر هذه الكلمات الخمس مجتمعة وعلى انفراد بخمس عشرة صفحة، وقد اقترح للتفريق بين الماضي البشري ذاته، ودراسة هذا الماضي، أن نطلق على الأولى منهما كلمة "تاريخ" وعلى الثانية كلمة "تأريخ" بالهمزة[3].

لم يقف اختلاف الباحثين عند حد التباين في تفسير مفهوم التاريخ ونطاقه بل امتد إلى النظر إلى كونه علماً أو أدباً أو كلا الاثنين، وظل هذا الأمر مدار خلاف بين المؤرخين أنفسهم وبينهم وبين المختصين بالعلوم الأخرى، ولاسيما العلوم الطبيعية، ولعل من أبرز المنادين بعلمية التاريخ، وأنه ليس فرعاً من الأدب، بيوري "J.B. Bury" الذي يعد من أشهر مؤرخي انكلترا في الربع الأول من القرن

---

(1) الصالح، علوم الحديث...، ص ٨.

(2) نحن والتاريخ، ص ٤٩-٦٣.

(3) المرجع نفسه، ص ١٤.

العشرين، فقد أعلن في إحدى محاضراته في جامعة كمبريدج عام ١٩٠٣، "إن التاريخ علم لا أكثر ولا أقل"[١].

والحقيقة أن محاولة إطلاق كلمة "علم" على التاريخ أو نفيها عنه تعتمد على تحديد معنى العلم، فإذا ما عرّف تعريفاً ضيقاً بحيث يقتصر بالدرجة الأولى على العلوم الطبيعية، كما يراه أكتن "Lord Acton" حيث ينقل عنه هرنشو قوله[٢]: "العلم اجتماع طائفة كبيرة من الوقائع المتشابهة بحيث تنشأ عن اجتماعها وحدة عامة على هيئة مبدأ أو قانون يمكننا على وجه اليقين من التنبؤ بحدوث وقائع مشابهة للوقائع المذكورة في ظروف معينة"، فإن التاريخ لا يمكن أن يكون علماً بالاستناد إلى هذا التعريف، ويشارك التاريخ في هذا الأمر علوم أخرى، ينقصها عنصر مهم من مستلزمات العلوم الطبيعية، ذلك هو التجارب المخبرية، مثل علم الأرض" الجيولوجيا"، وعلم الفلك[٣].

لكن التاريخ الذي هو علم نقد وتحقيق، لا يشبه علم الفلك الذي يقوم على المعاينة المباشرة، ولا الكيمياء، الذي هو علم تجربة واختبار. ولعل أقرب العلوم الطبيعية شبهاً به كما يرى هرنشو[٤] هو علم الجيولوجيا. فكما الجيولوجي يبحث في أحوال الأرض في الوقت الحاضر ليعرف ماضيها، كذلك المؤرخ يدرس الآثار المختلفة عن الماضي ليفسر ظواهر الحاضر، ويجد الجيولوجي مادته الأساسية في ما سلم من نفايات الطبيعة من أدلة يمكن أن تثبت التطورات الجيولوجية

---

[١] هرنشو، ف. جي. سي.، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٤٤، ص ١؛ راوس، التاريخ وأثره ...، ص ٨٣

[٢] علم التاريخ، ص٤.

[٣] طه باقر وعبد العزيز حميد، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٨٠، ص ١٠.

[٤] علم التاريخ، ص٨.

القديمة. كذلك يعتمد المؤرخ في معرفة الأحداث الماضية على الآثار المادية، أو الوثائق والسجلات أو التقاليد التي سلمت من عوادي الزمن. وهذه الحقائق المحسوسة الحاضرة هي التي ينصب عليها عمل المؤرخ، وهي مادة علمه وتكمن قيمتها وأهميتها في دلالتها على الوقائع الماضية لا في ذاتها.

ويمكن أنْ عد التاريخ علماً إذا ما عُرّف العلم تعريفاً أشمل وأوسع من التعريف الضيق الذي سبقت الإشارة إليه. فالعلم هو: معرفة تراكمية أو نشاط عقلي يتوخى الكشف عن الظواهر المادية وغير المادية في العالم[1]. وبعبارة أخرى، مجموعة منظمة من المعارف والحقائق التي أمكن التوصل إليها بمنهج خاص من البحث والتحري والملاحظة والتحقيق، ولقد أشار إلى هذا المعنى من العلم كل من لانجلوا "C.Y. Langlois" وسينوبوس"C. Seignobos" في مقدمة كتابهما "المدخل إلى الدراسات التاريخية"[2]، فقالا أنَّ "التاريخ علم ما في ذلك ريب، لأننا نستطيع أن نطلق كلمة علم على كل مجموعة من المعارف المحصلة عن طريقة منهج وثيق للبحث في نوع واحد معين من الوقائع، فهو علم الوقائع التي تتصل بالأحياء من الناس في مجتمع خلال توالي الأزمنة في الماضي...".

إن الذي يدعو الباحثين إلى توكيد الجوانب العلمية للتاريخ هو أنه يشارك العلوم الأخرى بأن له منهجاً وطريقة خاصة به للبحث تمكنه من جمع مادته وحقائقه. وهذه الطريقة، أو أن المنهج هو ما يسمى بمنهج البحث التاريخي وهو يعني تحري الحقائق والاهتمام الدقيق بالتعمق في تحليل المصادر والبحث في

---

(1) فؤاد زكريا، التفكير العلمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣، ١٩٧٨؛ الجواهري، مفهوم التاريخ...، ص ١٤.

(2) نشر ضمن كتاب النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٢، ص ١٧.

سجلات الماضي وخلفياته وقراءة الكتابات القديمة ودراسة المخطوطات وأنواع الوثائق التي خلفها الماضي سواء أكانت بقايا مادية أم مدونات تاريخية، وحين يتبع المؤرخ هذا المنهج عليه أن يتثبت بشكل لا يقبل الشك من صحة هذه الوثائق ودقة روايتها والمستوى العقلي والخلقي لكتابتها، وأنها تعود بالأصل إلى الماضي فعلاً وأن عبارتها قابلة للتصديق[1]. وهذه الطريقة العلمية، التي تجعل الشك أول مراتب اليقين هي التي تؤكد علمية التاريخ ومنهجه، لأن شك المؤرخ هو رائد حكمته وقد قيل: الأصل في التاريخ الاتهام لا براءة الذمة[2]. ولهذا فقد استحق التاريخ لقب العلم ولاسيما في منهجه الذي: "ينظر إلى الأحداث ويحللها ويقارن بينها ويحقق الروابط القائمة بينها، والمؤرخ يبحث عن الحدث ويدركه بدرس النصوص بإمعان ودقة والطريقة واحدة في كل علم مؤسس على الملاحظة الدقيقة"[3].

لكن المؤرخ لا يقتصر على جمع الحقائق ونقدها وتحري صدقها بالطرائق العلمية فحسب، بل يتعدى ذلك إلى عرض هذه المادة التي جمعها وأثبت صحتها وإلى تناولها بالتفسير والتأويل والاستنتاج، وهذا يتطلب مواهب أخرى، لا ينهض بها إلا من أوتي خيالاً علمياً واسعاً قادراً على التحليق في أعلى الأجواء، دون أن يخرج من أضيق حدود الحقيقة[4]، ولا بد للمؤرخ هنا من الاستعانة بالأدب الذي هو المعبّر عن رغبات الإنسان وأمانيه والذي يزوده ببصيرة نافذة شديدة المرونة والعمق في أمور العقل الإنساني ويجب على المؤرخ أن يوازن بين العلم والأدب

---

[1] هرنشو، علم التاريخ، ص ١٣.

[2] فاضل حسين، مفهوم التاريخ، محاضرات الموسم الثقافي بكلية التربية جامعة بغداد، ملحق مجلة الأستاذ، م١٥، بغداد ١٩٦٩، ص ٣٣؛ زريق، نحن والتاريخ...، ص ٩٥.

[3] انظر رأي فوستل دي كولانج في كتابه، العصر الوسيط، كما نقله عنه، هوربن، قيمة التاريخ...، ص٥٦.

[4] هرنشو، علم التاريخ، ص ١٤.

في كتابته لأنه إذا تغلب الأدب على المؤرخ لإهماله العلم، أو إذا تغلب عليه العلم لإهماله الأدب، جاءت الصورة التي يرسمها للإنسانية ملتوية مشوهة. فتدوين التاريخ يقترب من الكمال بقدر ما بين المعرفة والفن من اتساق في العمل[1]، وهكذا فالصواب إذاً كما يرى أحد الأساتذة المحدثين[2]، اقتصار صفة العلم في التاريخ على أسلوبه في التحري عن الحقائق وصفة الأدب على أساليب عرض المادة التاريخية، وإن ما يتعلق في التفسير والتعليل والاستنتاج، إنما هو من قبيل فلسفة التاريخ التي تهدف إلى تعميق واكتشاف القوانين. وعلى هذا، فإن الموضوع يجمع بين صفة العلم والأدب والفلسفة ومن طبيعته الثلاثية هذه نستمد الفوائد المتوخاة منه.

ومن خلال المعاني التي حملتها كلمة التاريخ يمكن القول إن لفظ التاريخ يقصد منه عند استعماله السرد المنظم لمجموعة الظواهر الطبيعية سواء كانت مرتبة ترتيباً زمنياً أم غير مرتبة. وهذا ما تفيده أساساً كلمة التاريخ التي تعني "العلم" الذي يبحث في حوادث الماضي ووقائعه التي انقضت، وهذا عكس كلمة علوم التي تعني السرد المنظم للظواهر الطبيعية بالمعاينة والتجربة، ودون الرجوع إلى الماضي. وقد أخذ العرب بهذا المفهوم المحدد للتاريخ الذي يفيد البحث في أحداث الماضي عن طريق المشاهدة والتحري والضبط، وذلك من ظهور الإسلام، وهذا ما يؤكده قول سفيان الثوري: **"لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم**

---

[1] إيمري نف، المؤرخون وروح الشعر، ترجمة توفيق اسكندر، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦١، ص ٨.

[2] الصالح، علوم الحديث...، ص ١٨.

التاريخ". ومن ثم أصبح التاريخ يُعنى بتسجيل أمجاد الإسلام وأعمال رجاله وشمائلهم، عن طريق الترجمة لهم أو رواية أخبارهم[1].

وختاماً يجدر القول إن هناك حركة جدلية بين الإنسان والتاريخ، فالتاريخ يصنع الإنسان ويكيّفه، والإنسان هو الذي يصوغ التاريخ ويصوره. لا تاريخ لو لم ينقش الإنسان التاريخ على صفحات ذهنه قبل أن ينقشه على صفحات أبقى على مر الزمان. فالإنسان، في علاقته مع تاريخه، فاعل منفعل، فهو يجلي هذا التاريخ في مرآة فكره ويقلبه إلى متصورات محكمة الهيكل ينعكس تأثيرها بدورها على اتجاه مصيره. فلا وجود للتاريخ، كما لا وجود للزمن الذي هو وعاء التاريخ، إي لا وجود للظروف والمظروف لولا الفكر الذي يفكر التاريخ والزمن. إنما التاريخ هو من خلق فكر الإنسان. فليس الإنسان إذاً ريشة تسير في اتجاه ريح التاريخ، إنما هو يريد أن يكون إرادة تحاول أن تجري الرياح بما تشتهي السفن، فيعكس المثل ويخضعه لعزيمته[2].

ثانياً– فوائد دراسة التاريخ:

لقي علم التاريخ ونظرياته اهتماماً خاصاً من المؤرخين في السنوات الأخيرة، وذلك لأهميته الكبيرة في البحث التاريخي وفي اتجاهاته. ولم يعد النقاش يقتصر على كون التاريخ علماً أو أدباً، أو بالأحرى حول نسبة التاريخ إلى أحد فرعي المعرفة الأساسيين، بل اتجه الرأي إلى أهمية التاريخ بصفته موضوعاً حيوياً لذاته، له أسسه وطرائق بحثه وأهدافه، وله خطورته الخاصة بين حقول المعرفة، حتى أطلق بعضهم على العصر الحديث "عصر التاريخ".

---

(1) ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منجية التاريخ، دار القصبة للنشر، الجزائر ٢٠٠٠، ص ٧

(2) الطالبي، التاريخ ومشاكل اليوم والغد ...، ص١٥.

تدور جهود المؤرخين حول النفاذ إلى الماضي، بهدف استلهام أحداثه والتأمل فيها، ومعرفة كل ما طرأ عليها من تغيير. ولا شك أن التنقيب عن تلك الأحداث والوقوف على كنه دوافعها ونتائجها، يكشف لنا عن الدروس التي تفيد في توجيه حاضرنا وفهم مستقبلنا، وكيف ينبغي له أن يجيء فالمستقبل ملتقى أنظار ومحط آمالهم.

والتاريخ في حقيقته يحاول الإجابة عن سؤالين مهمين هما: كيف كانت حياة الإنسان في العصور الماضية؟ وكيف وصل الحاضر إلى ما هو عليه الآن؟ فإذا كنا نهتم بالماضي من أجل معرفته، فينبغي ألا ننسى القيمة العظيمة التي يفرزها لنا الماضي، وهي الوقوف على أوضاع المجتمعات السابقة لنا، والعادات والتقاليد والأفكار التي اندثرت وتركت القليل -أو لا شيء- خلفها. فأنت لا تستطيع أن تفهم وطنك ما لم تعرف شيئاً من تاريخه، كذلك لا يمكنك أن تفهم أفكارك الخاصة وميولك وأهواءك وردود الفعل العاطفية الكامنة في داخلك، ما لم تعرف تراثك وكيف أنه جاء إليك. فعلى سبيل المثال لماذا يتصرف الإنجليزي بطريقة معينة، والفرنسي بطريقة مختلفة عنها؟ الواقع أن دراسة التاريخ وحدها هي التي تخبرنا، إذ لا فرق بين الماضي والحاضر، فكل جزء من حاضرنا يبتلعه الماضي أولاً بأول[1].

ويذكر كولنجوود إن فلسفة التاريخ لا تُعنى بالماضي في ذاته، ومعرفة هذا الماضي ليست ولا يمكن أن تكون هدف المؤرخ، وإنما هدفه -وهو هدف كل مخلوق يفكر- هو معرفة الحاضر، إلى هذه الغاية ينبغي أن ينتهي كل تفكير، وحول هذه الغاية ينبغي أن يدور كل شيء. إن الماضي الذي يدرسه المؤرخ ليس ماضياً ميتاً، بل هو ماضٍ بمعنى مازال يحيا في الحاضر، ولكن أي فعل ماضٍ لا

---

(1) G.M Trevelyan., Hist, and Reader, London 1945, p. 16-20.

يعني شيئاً للمؤرخ حتى يتسنى له فهم الفكر الكامن وراءه. ومن ثم "فإن كل التاريخ تاريخ فكر"[1]. ويذهب المؤرخ الإيطالي بنديتو كروتشه[2] Benedeuo Croce إلى اعتبار التاريخ كله معاصراً، ولا يستطيع أن يفهم حاضره دون أن يفهم الماضي، والتأمل في الماضي يبعد الإنسان عن ذاته، ومعرفة الإنسان بنفسه لا تقف عند حد معرفته الشخصية التي تفرق بينه وبين إنسان آخر، بل أقدر على حسن التصرف في الحاضر والمستقبل[3]. وعلى هذا يخبرنا باحث في التاريخ أنه: "لا يوجد في الحقيقة شيء مفاجئ في التطورات العظمى للتاريخ، ولا شيء يمكن توضيحه في الأمور الإنسانية دون الرجوع إلى الماضي، ومن هذا تظهر قيمة التاريخ وجدواه، إذ هو يتضمن الأسباب التي أوجدت الرجال والشعوب والإمبراطوريات في الوقت الحاضر، ويمدنا بالوسائل الوحيدة التي تمكننا من فهم الحاضر، والأرض الصلبة التي نستطيع بها وضع الأساس لخطط مستقبلنا، وتشير إحدى النصوص القديمة إلى أنه : "لو عرفنا شيئاً من ماضي أي جماعة

---

[1] كار، ما هو التاريخ...، ص ٢٨-٢٩؛ حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخين، القاهرة ١٩٨٠، ص ١٦٨-١٦٩.

[2] **بنديتو كروتشه (١٨٨٦-١٩٥٢م):** فيلسوف ومؤرخ إيطالي، ظل طوال النصف الأول من القرن العشرين، يعد أبرز المفكرين الإيطاليين وأعظمهم، كما عُدَّ المؤسس لتيار فكري هام كان الوجه البارز في الفكر الأوربي والغربي عموماً المناقض لكل من الماركسية والوجودية، خصوصاً في مجالات فلسفة التاريخ وفلسفة الجمال. كان تأثيره قوياً على أصحاب الاشتراكية العلمية الذين رفضوا تفسير ماركس الاقتصادي لحركة التاريخ، وأكدوا أهمية العوامل الفكرية والثقافية أو الأخلاقية في النهاية.

[3] ر.ج. كولنجوود، فكرة التاريخ، ترجمة محمد بكير خليل، راجعه محمد عبد الواحد خلاف، القاهرة ، ١٩٦٨، ص ٤١-٤٢؛ عثمان، حسن، منهج البحث التاريخي، ط٨، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤، ص ١٣.

من الرجال، فلن يتوفر لدينا بعض الوضوح عن معنى سلوكهم الحاضر فحسب، بل أيضاً قدر من الإرشاد لما نتوقعه منهم"[1].

وكان المؤرخ اليوناني بوليبيوس (١٩٨-١١٧ ق.م) يُعدّ التاريخ أفضل وسيلة لتعليم الفلسفة عن طريق العبر والأمثلة التي يقدمها. وخلاصة رأيه في هذا المجال أن الإنسان يتعلم من أخطاء غيره الشيء الكثير، والتعلم من أخطاء الغير أفضل وأقل خطراً من تعلم الإنسان من أخطائه الشخصية لأنه يرى نتائج غيره فيتجنب سلوك المسلك نفسه ، أما أخطاؤه هو فقد تكون مميتة ولا تتيح له فرصة الاستفادة منها. وهكذا يصل إلى القول بأن: "أحسن ثقافة من أجل الحياة الحقيقية هي معرفة الأشياء والعبر التي قدمها لنا التاريخ الفعلي التي تتيح للإنسان دون أن تعرضه للأخطار معرفة الطريق الأفضل والسلوك الأحسن في كل الظروف والمناسبات". وقد انطلق بوليبيوس من هذا المفهوم في تدوين التاريخ، فاعتمد على صدق الحقائق التاريخية أكثر من أي شيء آخر من أجل إعطاء القارئ الدرس الحقيقي الذي يفيد منه في سلوكه سواء كان حاكماً أم محكوماً، كبيراً أم صغيراً. وكان بوليبيوس يعتقد أن زخرفة الكلام وتنميقه والاعتناء بالحشو والأساطير لا يخدم الهدف الذي من أجله يجب أن نقرأ التاريخ ونفهمه، وإنما يخدم هذا الهدف الحقائق البسيطة التي لا يشوهها تزويق أو تحوير. إن ما يهمه هو الحقائق المجردة التي يقبلها العقل الإنساني السوي ويفيد منها. ولما كان التاريخ "ذريعة" للوصول إلى هدف هو "العبرة"، فإن هذه الذريعة يجب أن تكون سليمة من كل غش حتى يمكن الوصول إلى الهدف مأموناً سليم النتائج[2].

---

[1] K.B. Smellie, Why we Read History, Ed by H.M. Burton, London 1947, p.60.

[2] نور الدين حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ، دمشق ١٩٦٥، ص ١٢١-١٢٢.

ويقدم المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس Procopius(٥٠٠-٥٦٥م) الدليل القوي، في مقدمة كتابه عن الإنجازات المعمارية الضخمة، على أهمية كتابة التاريخ لما يحفظه من عبرة تتعلق بالفضيلة والرذيلة. وقال: إنه من الواجب على الأجيال القادمة أن تقتدي بالأعمال الفاضلة، وتتجنب الأعمال الشريرة، ثم قال متعجباً: "ما أكثر الفوائد التي من الممكن أن تحققها الدول من دراسة التاريخ! وما أعظمها! إن التاريخ ينقل إلى الأجيال التالية ذكرى الذين رحلوا، ويقف بثبات ضد عوامل النسيان. ويحضّ الذين يطلعون عليه من حين إلى آخر على الفضيلة، بفضل الثناء الذي يطرحه عليه، ويهاجم التاريخ الرذيلة باستمرار بالعمل على تجنب الوقوع تحت سيطرتها. وهكذا يجب أن يكون ذلك هو اهتمامنا الكلي، فكل أعمال الماضي ستوضح بجلاء، مع ذكر فاعلها، أياً كانت شخصيته"[1].

وقد كُتِبَ في علم التاريخ وفوائده الكثير من المسلمين، حتى قلّ أن تجد مصنفاً في التاريخ خلا من الإشارة إلى هذا العلم وبيان منفعته. وهذا ابن الأثير يعبّر عن ذلك بكل وضوح في تاريخ الكامل الذي وضعه لبدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي، الملقب بالملك الرحيم، صاحب الموصل المتوفي سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٩م. فهو يبين ما نصه: "فمن فوائد التاريخ أن الملوك ومن إليهم الأمر والنهي، إذا وقفوا على ما فيه من سيرة أهل الجور والعدوان، ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس، فيرويها خلف من سلف، ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر، وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد وهلاك العباد، وذهاب الأموال، وفساد الأحوال، استقبحوها وأعرضوا عنها واطرحوها. وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها، وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم، أن بلادهم وممالكهم عمرت

---

[1] جوزيف داهموس، سبعة مؤرخين في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، القاهرة ١٩٨٦، ص ٢١-٢٢.

وآمالها درت، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه، وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه. هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الأعداء وخلصوا بها من المهالك واستعانوا نفائس المدن وعظيم الممالك، ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخراً. ومنها ما يحصل للإنسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير إليه عواقبها، فإنه لا يحدث أمراً إلا قد تقدم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلاً، ويصبح لأن يقتدى به أهلاً"[1].

ولم يخرج عن ذلك ما قاله ابن خلدون[2] (١٣٣٢-١٤٠٦) في فهمه التاريخ وجدواه: "إعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جمّ الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقعنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا...". وخلاصة ما قاله ابن خلدون هي أن التاريخ ينفع في العظة والعبرة، فنحن ندرس تواريخ الدول والملوك لنتعلم، وندرس سير الأنبياء للتأسي بهم، وندرس تجارب الأمم ونرى ما وقعت فيه من الأخطاء لننجو بأنفسنا عن المزلات ومواطن الضرر، ولهذا نجد ابن خلدون يسمي كتابه الكبير "كتاب العبر"[3].

وفي كلام السخاوي[4] عن فائدة التاريخ نجده يقول: "والتاريخ يتناول أخبار الأنبياء صلوات الله عليهم وسننهم، فهو من أخبار العلماء ومذاهبهم والحكماء وكلامهم والزهد والنساك ومواعظهم، عظيم الغناء، ظاهر المنفعة، فيه ما يصلح

---

[1] الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٦٥، ج١، ص ٧.

[2] مقدمة ابن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، القاهرة ١٩٦٥، ص ٣٦٢-٣٦٣؛ مقدمة ابن خلدون، بيروت ١٩٨٨، ج١، ص ١٣.

[3] حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون...، ص ١٤.

[4] الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص ٣٣.

الإنسان به أمر معاده ودينه وسريرته في اعتقاده وسيرته في أمور الدنيا وما يصلح به أمر معاملاته ومعاشه الدنيوي. وكذا ما يذكر فيه من أخبار الملوك وسياستهم وأسباب مبادئ الدول وإقبالها ثم انقراضها وتدبير أصحاب الجيوش والوزراء وما يتصل بذلك من الأحوال التي يتكرر مثلها وأسبابها أبداً في العالم، غزير النفع، كثير الفائدة، بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله وجرب الأمور بأسرها، وباشر تلك الأحوال بنفسه، فيعزز عقله، ويصير مجرباً غير غرٍّ ولا غمز...".

وقد كتب المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) في مقدمة كتابة " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"[1] ما يعبّر عن رؤيته لوظيفة التاريخ، إذ يقول: "وبعد، فإن علم التاريخ من أجلّ العلوم قدراً، وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطراً، لما يحتويه من المواعظ والإنذار بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الدار، والاطلاع على مكارم الأخلاق ليقتدى بها، واستعلام مذام الفعال ليرغب عنها أولو النهي...". كما يقول أيضاً: "وأما منفعة هذا الكتاب، فإن الأمر فيها يتبين من الغرض في وضعه ومن عنوانه، أعني أن منفعته هي أن يشرف المرء في زمن قصير على ما كان في أرض مصر من الحوادث والتغييرات في الأزمنة المتطاولة والأعوام الكثيرة، فتتهذب بتدبير ذلك نفسه وترتاض أخلاقه، فيحب الخير وفعله، ويكره الشر ويتجنبه، ويعرف فناء الدنيا فيحظى بالإعراض عنها، والإقبال على ما يبقى". وهو ما يعني أنه يرى التاريخ علماً ذا وظيفة أخلاقية، وهدف عملي تعليمي.

ويرى الفيلسوف والمؤرخ كوندرسيه Condorcel (١٧٤٣-١٧٩٤م) الذي عاش السنوات الأولى من الثورة الفرنسية وشارك في أحداثها، أن التقدم "ضرورة"، أما التدهور أو النكوص فهو "عرض"، والتقدم يعبر عن قانون التاريخ نفسه، على

---

[1] بولاق، ١٢٧٠هـ، ج١، ص ٢-٨؛ قاسم عبده قاسم، الرؤية الحضارية للتاريخ، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢٣٨.

حين أن التدهور يعبّر عن الإلغاء المؤقت لهذا القانون. وكل جيل من أجيال الإنسانية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأجيال التي سبقته ويعتمد عليها، وهذه الحتمية التاريخية هي ضمان التقدم الإنساني. ومما لا شكّ فيه أن من ضروب هذا التقدم ما سيسير بسرعة، ومنها ما سيسير ببطء، ولكن هذا السير لن يعود القهقرى، ما دامت الأرض تحتل دائماً مكانها في النظام الكوني[1]. ولاحظ كوندرسيه أن وظيفة المؤرخ هي اكتشاف العقبات التي وقفت -أو قطعت- المجرى الطبيعي للتقدم والتخلص منها، وعمله هو انتزاع الماضي من ظهر الحاضر، حتى يمكن للحاضر أن ينهض ويواصل رقيه ورخاءه وسعادته وكماله[2]. وأساس تقدم الإنسانية هو تقدم العقل البشري، فعن طريق تقدم القوى العقلية تتقدم الجوانب الإنسانية المادية والاجتماعية. ودراستنا للتقدم الذي تم في العصور القديمة والسابقة والذي يحدث في عصرنا تساعدنا في معرفة التقدم الذي سيحدث في المستقبل. ويحدد كوندرسيه أهم العقبات التي تلعب دوراً مهماً في عرقلة تقدم الإنسانية وهي المعتقدات المسلم بها سابقاً دون برهنة على صحتها، وتعد الخرافات أوضح مثال لتلك المعتقدات[3]. وقد وضع كوندرسيه قانوناً عاماً لتقدم الإنسانية، ويقوم هذا المبدأ على أساس تقدم العقل البشري، فإن مراحل تقدم الإنسانية هي ذاتها مراحل تقدم العقل البشري، أي إن كل مرحلة منها تعبر عن سمات أساسية في تقدم العقل البشري. وقد مرّ التقدم الإنساني في عشر مراحل، تمثل المرحلة العاشرة فيه مستقبل الإنسانية في العصور التي تلي عصر كوندرسيه (ما بعد القرن الثامن عشر)[4]. وعند عرضه للمستقبل نلاحظ سيطرة نزعته التفاؤلية على تنبؤاته، ولذلك رسم صورة جميلة

---

(1) Robert L. Heilbroner, Future as History, New York, 1960. P. 22.

(2) Heilbroner, Future as History..., Op. Cit., p.43; Smellie, Why we Read, p.60

(3) عاطف وصفي، كوندرسيه، القاهرة د.ت.، ص ٣٨-٣٩.

(4) وصفي، كوندرسيه...، ص ٤٧.

مشرقة لمستقبل الإنسان، وتتلخص أمنياته التي ستتحقق في المستقبل في النقاط الثلاثة الأساسية: قيام المساواة بين الأمم، وتقدم المساواة بين أفراد الشعب الواحد، والتحسن الخلقي للإنسان[1].

وقد كتب العالم دافيد هيوم David Hume (١٧١١-١٧٧٦) مقالة موجزة جعل عنوانها "عن دراسة التاريخ"، بدأها بالإصرار على أنه "تسلية مناسبة، أمتع وأروح للعقول من القصص، وفي التاريخ يشهد المرء قيام وتقدم وسقوط وتمام الفناء النهائي لأشد الإمبراطوريات ازدهاراً، والفضائل التي أسهمت فيما بلغته من عظمة، والرذائل التي اجتلبت عليها دمارها. ودراسة التاريخ "توسع" بمعنى ما حياة الإنسان، وهي في حدّ ذاتها قصيرة وجيزة الأمد، والرجل الملم بالتاريخ يمكن من بعض النواحي أن يقال عنه عاش منذ بداية العالم". وقد اقتنع هيوم بأن التاريخ يدور حول ما هو واقعي، وأن العنصر الخلقي يسيطر عليه، ولذلك كتب يقول: "لقد كان للمؤرخين جميعاً بلا استثناء أصدقاء الفضيلة المخلصين"[2].

وتكمن ميزة التاريخ أساساً في المقارنة التي يمكن أن يضعها أي رجل دولة أو مواطن بين القوانين والعادات الأجنبية وتلك السائدة في بلده، وهذا هو ما يحث الناس في العصر الحديث على المنافسة في مجالات الزراعة والفنون والتجارة. كما أن الاخطاء الجسيمة التي حدثت في الماضي نافعة للغاية في صور شتى، فمثلاً

---

(١) وصفي، كوندرسيه...، ص ٩٩؛ السيد محمد بدري، مخطط تاريخي لتقدم العقل البشري لكوندرسيه، القاهرة ١٩٩٥، ص ٤٦.

(٢) ألبنا ج. ويدجري، التاريخ وكيف يفسرونه، من كنفوشيوس إلى توينبي، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة ١٩٩٦، ج٢، ص ٤١-٤٢؛ ف. ج. من. هرنشو، علم التاريخ...، ص ١١٣-١١٤.

الاطلاع على تاريخ أحد الطغاة من الممكن أن يمنع شعباً من إعطاء سلطة مطلقة إلى طاغية[1].

ولعل أوضح فوائد التاريخ أنه يعنى بالتربية المدنية والسياسية، وقد عبّر عن ذلك المؤرخ الإنكليزي جون سيلي John Seeley (١٨٣٤-١٨٩٥م) في محاضرة له في "في تدريس العلوم السياسية" سنة ١٨٦٩م، فقد قال: "إن التاريخ مدرسة السياسة"، ويعني ذلك أن التاريخ هو السياسة الماضية، والسياسة هي التاريخ الحاضر بدون مقدار يسير من التاريخ على أقل تقدير لا يمكن أن يُعنى الإنسان عناية معقولة بالشؤون السياسية، وبدون حظ وفير منه لا يمكنه أن يصدر حكماً معقولاً في الأحداث المعاصرة، كما أن التاريخ دراسة مهمة لكل مدني، ورجال الحكم والتشريع أشد الناس حاجة إلى فهمه[2].

ويلاحظ أن معظم الصحفيين من ذوي النفوذ، الذين يلعبون دوراً بارزاً في تكوين رأي صائب في الشؤون العامة، يتمتعون بعقلية تاريخية. وفي مجال الخدمة المدنية وخاصة وظائفها العالية، يعتبر التاريخ أحد العوامل المهمة لمن يريد شغل هذه الوظائف، ذلك أنه يعطي خلفية صحيحة لمعظم الأمور التي سوف يجري ممارستها في الخدمة المدنية الإدارية. وإذا كان التاريخ مهماً لمن يعملون في الخدمة المدنية، فلا شك أنه لا غنى عنه لمن يعمل في السلك الدبلوماسي خارج الوطن[3]، والزعماء السياسيين ورؤساء الحكومات الذين يحتلون قمة الخدمة المدنية، ذلك أنه لا يستطيع شعب أن يتحمل وجود زعيمه السياسي دون أن يكون ملماً بحقائق التاريخ ونزعاته وبتاريخ أوروبا الحديثة والتاريخ العالم[4].

---

(1) Fritz Stern, The Varieties of History from Voltare to the Present, New York, 1964, p. 441.
(2) A.L. Rowse, The use of History, New York, 1948, p. 5- 6.
(3) Ibid, p. 10.
(4) Ibid, p.16.

ومن أولى فوائد التاريخ أنه يعينك على أن تفهم -أفضل مما تفهم بمساعدة أية معرفة أخرى- الأحداث العامة والاتجاهات المعاصرة لك، فهل هناك ما هو أهم من ذلك؟ وإذا أنت لم تفهم العالم الذي تعيش فيه، فما أنت إلا مجرد لعبة في يده، وعرضة لأن تكون ضحيته[1]. ولكن للأسف فإن القلة القليلة هي التي تستفيد من التاريخ، بصورة مطابقة لما يقوله الفيلسوف الألماني هيجل Hegel : "الشيء الوحيد الذي يتعلمه المرء من التاريخ هذا القول من يأس، فإننا نستطيع أن نتعلم الكثير من التاريخ، فهو يقدم لنا معيناً لا ينضب من التجارب الإنسانية المفيدة التي نستطيع الاعتماد عليها[2].

وقد سبقت الإشارة إلى أن التاريخ يدور حول المجتمعات الإنسانية وما أصبحت عليه، وتطورها خلال تعاقب العصور، والقوى التي كانت تحركها، والدوافع والنزعات -العامة والخاصة- التي شكلت أحداثها، أي إن التاريخ دراسة تتناول الطبيعة البشرية كل الوقت ونتعامل معها. ولهذا كانت قراءة سير الشخصيات التاريخية العظيمة مفيدة إلى حد بعيد، ولكن التاريخ لا يتناول حياة تلك الشخصيات فحسب، بل يتكون من رواسب حياة الملايين من الرجال والنساء الأقل شأناً الذين لم يتركوا لنا أسماءهم، رغم أن حياتهم شكلت مادة التاريخ[3].

ومن الواضح أن للتاريخ غرضاً اخلاقياً، فيقول المؤرخ الإنكليزي تريفليان إن التاريخ يساعد المواطن على نبذ التعصب والتحيز، ويشحذ نشاطه ويدرب عقله على اتخاذ نظرة متوازنة إزاء المسائل السياسية، والتاريخ أساس تعليم الشعوب، وينبوع ثقافتها، وبه تتذوق تراثها الأدبي، وتندمج مع المثل العليا[4].

---

(1) Ibid, p.16.
(2) Ibid, p.29.
(3) Ibid, p. 16-17.
(4) Henry R. Winkler, George Macaulay Trevelyan, in Some the Century Historians, ed. By William Halperin, U.S.A., 1961. p.32.

ومهما يكن من أمر، فالإنسان باعتباره كائناً اجتماعياً لا غنى له عن دراسة ماضيه أو تاريخه، وما يتبع ذلك من ضرورة التوجه بالنظر إلى آفاق المستقبل في عصرنا الحالي المليئ بالتحديات. ومن هذا المنطلق، فإن الأمة التي تسترجع أمجادها، وتكشف عن مآثرها العلمية والأدبية، وما وصلت إليه من رقي وازدهار، ثم انطوت على نفسها تتغنى بما كان لها من أمجاد تعويضاً لها عما تقاسيه من تخلف حاضرها، هي أمة مشدودة إلى الماضي، ضاع منها طريق الحاضر والنظرة الصائبة إلى المستقبل. ويبدو الفارق واضحاً بين تلك الأمة وغيرها من الأمم التي تعود إلى ماضيها لتأخذ منه الدروس التي تنهض أساساً لإفادة الحاضر، والاندفاع بتجاربها في المستقبل لتلاحق متطلبات العصر وإنجازاته. ولا شك أن مثل هذه الأمة قد تحررت من تبعية التاريخ وأصفاده الثقيلة، وتكونت لديها رؤية تاريخية حقيقية تتيح لها الانطلاق في ميادين العلم والثقافة والاقتصاد والاجتماع والسياسة بعزيمة قوية، وروح ثابتة.

وأخيراً، فإن التاريخ يُعَدُّ من أهم مقومات الشخصية الوطنية والقومية، لأن الفهم الصحيح له يعين على بنائها ووقايتها من الذوبان ومن الأمراض النفسية التي تعترضها " فكما أن الإنسان يحتاج إلى ذاكرة فهو يحتاج إلى تاريخ لأن التاريخ هو ذاكرته القومية"[1]، وإذا ما فقد الإنسان ذاكرته لسبب من الأسباب فإنه يصاب باضطراب يؤدي إلى اختلال في توازنه العقلي والنفسي، كذلك الأمم والشعوب تمرض وتضطرب إذا ما ضاع تاريخها أو دخل عليه شيء من التشويش والتشويه. فالتاريخ مدرسة نتعلم من خلالها الأطوار التي مرت بها الأمة عن طريق التكوين

---

[1] محمد الطالبي، "التاريخ ومشاكل اليوم والغد"، مجلة عالم الفكر، الكويت، ١٩٧٤، م٥، العدد الأول، ص ١١-٤٦، وقد أعيد نشره ضمن تاب، دراسات إفريقية، منشورات الجامعة التونسية، تونس ١٩٨٢، ص ٣٤.

والنضوج. وهي مدرسة تعيننا على أن ندرك ذاتيتنا، وأن نخرج ذلك الإدراك من حيز التصور الغامض إلى حيز الشعور الواضح البيّن، وقد عبر محمد الطالبي[1] عن هذا المعنى خير تعبير بقوله: " خذ لك مثلاً من نفسك، أنت عربي لا بحكم الرقعة التي تحتلها من أرض الله، بل لأنك لك ذاتية خاصة تميزك عن غيرك من أهل البلاد الأخرى، لأنك تعرف وجهك فيما يحيط بك، لأنك تحس أن هناك سبباً يربط بينك وبين من سبقك على سطح هذا الوطن من الاجيال المتتابعة، إن ذلك السبب هو سبب التاريخ، فلو خصمت هذا السبب لأضعفت قاعدة ذاتيتك، كما أنك إذا سبرت أعماق تاريخك، وتصورت تصوراً واضحاً جلياً نوع الروابط التي تربط بينك وبين من غبر ودثر من بني جلدتك، تمكنت من تعزيز ذاتيتك، كما تتمكن أيضاً من شذبها إذا ما احتاجت إلي شذب وتهذيب".

---

[1] الطالبي، "التاريخ ومشاكل اليوم...، ص ٣٥-٣٦.

ثالثاً- الصفات الواجب توفرها في المؤرخ:

لا يُدرس التاريخ عفواً ولا يكتب اعتباطاً، وليس كل من يحاول الكتابة في التاريخ يصبح مؤرخاً، كما قد يتصور بعض الناس، أو كما يتخيل بعض الكتاب، حينما يسطّرون صفحات طويلة عن حوادث ماضية أو معاصرة، ويعتقدون بذلك أنهم يكتبون تاريخاً، ما داموا قد أمسكوا بالقلم والقرطاس، ودارت لهم المطابع، وملأت كتاباتهم رفوف المكتبات! فلا بد من أن تتوفر في المؤرخ الصفات الضرورية وأن تتحقق له الظروف التي تجعله قادراً على دراسة التاريخ وكتابته.

إن أول الصفات التي يجب أن تتوافر لدى جميع الدارسين، سواء أكانوا مؤرخين أم غير مؤرخين، هي حب المعرفة والصبر على تحصيلها، والجد والمثابرة في البحث والعمل، مهما كانت الصعوبات والمشاق التي تقف في سبيله، ولا يجوز أن تكون ندرة المصادر أو غموض الوقائع والحقائق التاريخية مانعة للمؤرخ عن بذل أقصى جهده للوصول إلى الحقيقة التاريخية. وينبغي للمؤرخ " أن يقضي الشهور والسنوات وهو يعمل ويرتحل من بلد إلى آخر في وطنه وفي كل مكان يمكن أن يعثر به على ما يفيده، وينبغي له ألا يتسرع أو يقتضب تعجلاً لنيل منفعة، لأن هذا سيكون على حساب العلم والحقيقة التاريخية"[1]. فالجد والمثابرة مزية في كل بحث علمي ولاسيما في البحث التاريخي، لأن الباحث المنتج هو الذي يروض نفسه على العمل الشاق المستديم، وعلى الابتعاد عن الجلبة والضوضاء وعلى الصبر على ما يثير البحث أحياناً في النفس من شعور بالوحشة والغربة، نتيجة لما تتطلبه ظروفه من وحدة وانزواء وتأمل[2].

---

[1] عثمان، منهج البحث...، ص ١٨.

[2] زريق، نحن والتاريخ...، ص ٩٠.

ويجب أن تتوافر للمؤرخ مزية الشك والنقد، فلا يجوز له أن يقبل كل كلام أو يصدق كل رواية أو أي وثيقة أو مصدر دون درس وفحص واستقراء. وقد بدأ التاريخ يتخذ فعلاً صفة علمية منذ أخذ رجاله يشكّون في الروايات التي نقلت إليهم بالسماع أو الكتابة، ومنذ أن عمدوا إلى نقد رواتها، وحاولوا امتحان مضمونها. ومهمة المؤرخ هنا تشبه كلاً من مهمة المحقق والقاضي، فالأول يستنطق الشهود ويجمع شهاداتهم وينقدها من أجل التوصل إلى الحقيقة قبل إصدار الحكم، ولا يستطيع كل من الاثنين أن يؤدي مهمته على وجهها الصحيح، إذا لم يأخذ هذه الروايات والشهادات بالشك والتحفظ. لكن هذه الأصول القضائية مع ذلك أرحم من الأصول التاريخية، كما يرى قسطنطين زريق[1]، لأن المتهم بريء حتى تثبت إدانته في القضاء، ولكن في التاريخ الاتهام هو الأصل، فكل نصٌ مشكوك فيه إلى أن تثبت صحته وكل رواية متهمة إلى أن يقوم الدليل على صحتها ولا يمكن للمؤرخ أن ينجز عمله إذا لم يكن يتمتع بملكة النقد والشك، لأنه يصبح مجرد شخص عادي كل ما يصله من أخبار دون تدقيق وتمحيص ويصدق كل ما يسمعه من روايات على أنها حقيقة واقعة. وليس بهذا يُدرس أو يُكتب التاريخ، ومن جهة أخرى يجب على المؤرخ أن يكون متزناً في شكه، وواعياً في حسه النقدي، أي بعبارة أخرى عليه ألا يغالي في الشك والنقد إلى درجة يمكن أن تفقده الاتزان في الحكم، فالاتزان من صفات العلماء، والمؤرخين هنا أحوج ما يكون إليها في عمله الذي يتناول النقد والتجريح ليكون حكمه صائباً في الوصول إلى ما يبتغيه من اتهام وتبرئة وصولاً إلى الحقيقة التاريخية[2].

---

(1) نحن والتاريخ...، ص ٩٥.

(2) المرجع نفسه، ص ٩٥.

ومن المزايا والصفات الأساسية للمؤرخ عدم التحيز والتجرد، وهي مطلوبة في كل علم ومفروضة على كل باحث ولكنها أيسر تحقيقاً في العلوم الطبيعية منها في العلوم الاجتماعية. فليس من اليسير على المؤرخ أن يتجرد عندما ينظر إلى ماضي أمته ونصيبها من الحضارة وما حققته من إنجازات، أو ما أصابها من وهن وانتكاس. وقد حاول بعض المؤرخين الوصول إلى الهدف الصعب، من أمثال رانكه زعيم المدرسة العلمية الحديثة في القرن التاسع عشر الميلادي، الذي هدف هو وأتباعه إلى الموضوعية المطلقة والتجرد التام في عرض الوقائع التاريخية[1]. ولكن ليس المقصود هنا بالتجرد صفته السلبية التي تتضمن التخلص من كل شعور او فكر أو معتقد، فما من شخص يستطيع ذلك عملياً، بل المطلوب من المؤرخ أن يحرر نفسه قدر المستطاع من الميل أو الإعجاب أو الكراهية لعصر من العصور أو لناحية تاريخية معينة، وأن ينفذ إلى أعماق الأفراد والجماعات الذين يكتب تاريخهم ويحس بأحاسيسهم جميعاً، ويتفهم ظروفهم ويصير كأنه واحد منهم، ينطق باسمهم جميعاً، دون أن يلتزم أي فرد منهم أو أي جماعة أو أمة من الأمم دون سواها، فهو بهذا يصل إلى التجرد الإيجابي المثمر الذي لا يمكن أن يتخلى فيه عن معتقداته الأساسية ومواقفه الفكرية الأصلية، ولكنه مع ذلك لا يتأثر في حكمه على الماضي بهذه المعتقدات، الأمر الذي يجعل كتابته بعيدة عن التحيز لا تميل إلى جانب على حساب الآخر ما يقربها إلى الحقيقة المنشودة.

وينبغي للمؤرخ التحلي بالأمانة العلمية وأن يكون رائده حب الحقيقة وقولها بشجاعة دون خوف أو تردد، فلا يكذب ولا ينتحل ولا ينافق أصحاب الجاه والسلطة. ولا يخفي الوقائع والحقائق التي قد لا يعرفها غيره في بعض الأحيان، والتي قد يكون في نشرها عدم رضا بعض الفئات من الناس الذين يعرفهم أو

---

[1] المرجع نفسه، ص ٩٨.

يمتون إليه بصلة معينة، ولا رقيب على المؤرخ في هذه الحالة سوى ضميره. ومن يخرج عن هذه المبادئ سعياً وراء جاه أو انتفاع مادي أو إرضاء لسلطة معينة لا يمكن أن يُعَدّ مؤرخاً. إن الكشف عن بعض أخطاء الماضي والجوانب السلبية في تراث الأمة القومي، يفيد إلى حد كبير في السعي إلى تجنب عوامل الخطأ في الوقت الحاضر، وربما يعد عدم الكشف عن بعض هذه الأخطاء تضليلاً وبعداً عن المصلحة الوطنية. وقد يكون إخفاء الحقيقة التاريخية عملاً وطنياً في بعض الظروف[1]، حيث التجأت معظم الأمم إلى مثل هذا الإجراء ولكن لا بُدّ من إشهار الحقيقة بعد زوال الظروف القاهرة التي أدت إلى إخفائها حتى يمكن الاستفادة منها واستخلاص أكبر قسط من الحقائق التاريخية، التي لا يمكن أن يكتب التاريخ دون التوصل إليها.

ومن الصفات الضرورية الأخرى للمؤرخ الشعور بالمسؤولية والتواضع إزاء ما يقوم به من أعمال، وهو شعور يملأ نفسه نبلاً ويدفعه إلى المزيد من العطاء فلا يجوز أن يتصدى الإنسان إلى دراسة الماضي بروح العبث أو عدم الشعور بدقة المهمة التي يقوم بها وخطورة نتائجها، لأن ذلك سيعود بأضعف النتائج والضرر على نفسه وعلى الآخرين لأن مهمة المؤرخ صعبة وعرة المسالك ويجب عليه أن يدرك ذلك قبل سواه، كما يجب أن يعلم أيضاً أنه مهما توصل إلى نتائج، ومهما حلّل من أسباب فهو لن يستطيع أن يكشف الكثير من الأمور التي لا تزال مجهولة أمامه، وهذا يقوده بالتأكيد إلى التواضع الذي يسبغه العلم الصحيح والذي هو صفة العلماء في كل زمان ومكان، بهذا التواضع يرتفع العلماء إلى أعلى المنازل لا في مراتب العلم فحسب، بل في مراتب التقدم الإنساني ذاته. وحريّ

---

(1) عثمان، منهج البحث...، ص ١٨.

بالمؤرخ الذي لا تقل مهمته صعوبة عن مهمة أي منهم أن يكون أكثرهم تواضعاً وأعمقهم إحساساً بالمسؤولية الملقاة على عاتقه[1].

وينبغي للمؤرخ أيضاً أن يبتعد عن حب الشهرة والظهور[2]، وألا يكتب من أجل الكسب أو الحصول على الألقاب والمناصب فهذه كلها أمور زائلة مؤقتة لا يمكن أن تدوم ولا يبقى سوى ما سطّره المؤرخ، فهو وحده الذي يكون حكماً عليه وعلى ما أداه لأمته، وستعرف الأجيال اللاحقة، ماهية الأسباب التي دفعته إلى ما كتب والتي أدت به إلى مزالق الانحراف وتحريف الحقائق أو تزييفها لقاء مال زائل، أو منصب عابر. إن مهمة المؤرخ الأساسية هي الكشف عن الحقيقة العلمية. وهذا بحد ذاته يعدل كل أنواع الكسب والألقاب والمناصب فيجب عليه أن يحرص على هذه لحقيقة وأن يعكف على الدرس والبحث دون أن يوزع جهده في أعمال أخرى يمكن أن تؤدي إلى ابتعاده عن هدفه الأساسي من البحث.

وعلى المؤرخ أيضاً أن يكون "ذا عقل واعٍ مرتب منظم"[3]، فهو في هذا شأنه شأن بقية رجال العلم الذين يحتاجون إلى هذه الصفة للتركيز على الحقائق التي بين أيديهم، والمؤرخ الذي يمتلك عقلية منظمة أقدر من غيره على تنسيق الحقائق وترتيبها، والإفادة منها في الموضع المناسب، كذلك يكون قادراً على تحديد العلاقة بين حوادث التاريخ في الزمان والمكان، والربط بينها في اتساق وتناغم دقيقين، وإذا ما افتقد المؤرخ هذه الصفة يصبح مشتت الأفكار تضطرب في وجهه الأحداث وتختلط تفصيلاتها فيعجز عن الربط بينها، ويفقد قابليته في البحث عن الحقيقة ووضعها في إطارها الصحيح ضمن سياق الأحداث التاريخية التي يدرسها.

---

(1) زريق، نحن والتاريخ...، ص ١٠٦.

(2) عثمان، منهج البحث...، ص ١٩.

(3) المرجع نفسه، ص ١٩.

وإضافة إلى الفضائل والصفات الأخلاقية التي ألمحنا إليها سابقاً، ينبغي للمؤرخ أن يتحلى بالاحترام التام وعدم التسرع في مهاجمة أي باحث آخر مهما ارتكب من أخطاء[1]، قبل دراسة الظروف التي أدت إلى تلك الأخطاء. ويجب أن يكون أسلوبه في الرد خالياً من أي تحامل ولا يهدف إلا إلى خدمة الحقيقة التاريخية لا غير.

كذلك يجب أن يكون المؤرخ صاحب إحساس وذوق وعاطفة وتسامح وخيال، وبالقدر الذي يتيح له أن يدرك آراء غيره ونوازع الآخرين، وبذلك يكون قادراً على تلمس أخبار مختلف الشخصيات العالمية التي يتعامل معها، ويحس ما اختلج في صدور هؤلاء الرجال من مختلف العواطف ويفهم بقدر المستطاع الدوافع التي دفعتهم لاتخاذ سلوك معين في الماضي، وليستطيع كذلك أن يشارك رجال الأمس مواقفهم في أثناء الساعات الحرجة من التاريخ، مثل فترات الانتفاضات والثورات وحقب المقاومة وفي ظروف النجاح والفشل[2].

وقد لخص المؤرخ اليوناني لوشيان من ساموساتا (١٢٥-٢٠٠م) صفات المؤرخ العالي بقوله: "لا يعرف الخوف، غير قابل للفساد، حرٌّ، صديق للتعبير الحر والحقيقة، لا يتأثر بالكراهية أو الصداقة، لا يغضي عن أي شخص، لا يظهر رثاء ولا خجلاً ولا خضوعاً، قاضٍ محايد حسن السلوك مع كل الرجال إلى الحد الذي لا يعطي فيه جانباً أكثر مما يستحق، ورجل ينتمي إلى بلد من البلاد، مستقل، لا يخضع لأي سلطان، غير عابئ بما يظنه هذا الرجل أو ذاك ولكنه يقرر الحقائق". وكتب بييربايل من روتردام في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي

---

[1] ثريا عبد الفتاح ملحس، منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين، ط٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٢، ص ٥٦.

[2] عثمان، منهج البحث...، ص ٢٠.

أن "المؤرخ بوصفه مؤرخاً هو كأنه بلا أب، ولا أم، ولا أجداد. ويجب حين يسأل من أين جاء: أنا لست فرنسياً ولا ألمانياً ولا إسبانياً، وأنا مواطن عالمي. أنا لا أخدم الإمبراطور أو ملك فرنسا، إنما أخدم الحقيقة وحدها، إنها ملكتي الوحيدة التي أقسمت على طاعتها[1].

ونخلص من هذا إلى أن الشروط الواجب توفرها فيمن يتصدى لكتابة التاريخ تنقسم إلى قسمين: قسم يرجع إلى مادة المؤرخ ومعلوماته ومعارفه، وقسم يرجع إلى أخلاق المؤرخ ونفسيته. فالمعرفة بحال المترجم وحسن العبارة، وحسن التصور ومدلولات الألفاظ، كل ذلك من الشروط المادية المتصلة بمعارف المؤرخ ومعلوماته ومادته التاريخية، والصدق وعدم غلبة الهوى في الأحكام، وسلوك طريق الإنصاف والبعد عن التحيز والتعصب، كل ذلك من الشروط الخلقية في المؤرخ[2].

---

[1] هانز كوهن، عصر القومية، ترجمة عبد الرحمن صدقي، مراجعة مصطفى حبيب، القاهرة ١٩٦٤، ص ٨٩.

[2] محمد عبد الغني حسن، علم التاريخ عند العرب، القاهرة ١٩٦١، ص ٢٢، ٢٧-٣٠.

الفصل الثاني
تطور علم التاريخ

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

أولاً –تطور علم التاريخ قبل ظهور الإسلام:

إن علم التاريخ علم قديم يرجع إلى العصر الذي ترك فيه الإنسان آثاره على الصخر. فالإنسان البدائي الذي عاش في الكهوف زين كهفه بالنقوش البدائية التي تصور حياته ليراها ويدرسها من يأتي بعده. وربما كانت تلك الصور التي حفظتها لنا كهوف الإنسان الأول هي أول ما دون الإنسان من تاريخه. وهذا يؤدي بنا إلى القول إن التدوين التاريخي يسبق بكثير اهتداء الإنسان إلى الكتابة، إذ عمل الإنسان على أن يصور حياته ويسجلها في تلك الصور التي حفرها على جدران كهفه البدائي، وبالتالي نستطيع القول إن التاريخ نفسه يسبق مرحلة التدوين التاريخي، فهو قديم قدم الحياة الإنسانية على الأرض، وإن لم يصل علمنا به إلا من ثنايا الحفريات التي تكشف كل يوم عن جديد من حياة الإنسان الأول؛ أو تطور الحياة على سطح الأرض. غير أن علمنا بالتاريخ لا يصل إلا إلى عدة آلاف من السنين، وهو عمر قصير إذ ما قيس إلى الحياة الإنسانية الطويلة[1].

١ –تطور علم التاريخ في الحضارات القديمة:

بدأ اهتمام الإنسان بتدوين شؤون حياته المختلفة منذ أن ظهرت أولى الحضارات البشرية، ولاسيما في وادي الرافدين، ووادي النيل، حين تم اختراع الخط المسماري، والكتابة الهيروغليفية، فبدأ أول تدوين لحضارة الإنسان[2]. وقد ظهرت المدونات التاريخية القديمة التي يسميها كولنجوود[3]، يشبه التاريخ، لأنها فيما

---

[1] محمود الحويري، منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة ٢٠٠١، ص ١٧

[2] باقر وحميد، طرق البحث العلمي ...، ص ١٧

[3] فكرة التاريخ، ص ٥١.

تسوقه من بيانات عن الماضي تشبه التاريخ، لكنها لا تُعدُّ تاريخاً بالمعنى الحديث للكلمة، لأنها ليست أجوبة عن أسئلة وليدة البحث، بل مجرد أقوال تردد ما يعرفه الكاتب بالفعل، هي سجل لما كان يفعله الحكام والرؤساء المسيرون بمشيئة الآلهة. فكأن التاريخ بهذا الشكل مرآة تعكس أفعال الآلهة التي تُملى على الحكام والملوك، في حين أن التاريخ هو كل ما حدث في الماضي القريب أو البعيد، سواء أكان من صنع الملوك أم من صنع عامة البشر، وبطبيعة الحال، فإننا لا نتوقع أن نجد في تلك المدونات القديمة أساليب المفهوم العلمي الحديث للتاريخ من نقد وتمحيص وتحقيق، وغير ذلك، لكن مع هذا، فإن أسساً مهمة يقوم عليها مفهوم التاريخ، قد وضعت في بعض المدونات، ولاسيما تلك التي تعود إلى حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل، "وفي مقدمة ذلك ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح الحسّ التاريخي الذي يظهر جلياً في اهتمام سكان العراق القدماء بأحداث الماضي وتدوينها[1]"، كذلك اهتمام الإنسان في تتبع أصول الأنظمة الاجتماعية وتطورها والمحاولات الأولى لتفسير وتعليل أصول الأشياء والإنسان والحياة، بوجه عام، لكنهم عبّروا عن ذلك بلغة الأساطير ورموزها.

وقد ظهرت عند الكتبة الآشوريين بوادر أولية لربط حاضرهم بالماضي، وذلك في الكتابات الرسمية الملكية، التي لم تقتصر على تسجيل أعمال الملوك من بناء وتعمير وحملات عسكرية، بل صدرت بمقدمات تاريخية ذكرت فيها الأحداث الماضية، وربطت بأعمال الملوك، وقد حاول الكتبة العراقيون القدماء، إضافة إلى تدوين أحداث الدولة، أو سلالات الملوك، أن يفسروا تاريخ العالم وفق آرائهم منذ بدء الخليقة، مثال ذلك ما جاء في بعض القصص الخاصة بالطوفان، وأصل نظام الحكم، وأصل الأشياء. وهكذا، فقد ترك لنا الكتبة في كل من بلاد الرافدين، ووادي

---

[1] باقر وحميد، طرق البحث العلمي ....، ص ١٨.

النيل مدونات تاريخية، تتضمن جداول بأسماء الملوك والسلالات الحاكمة مثل البابلية، وجداول الملوك الآشورية، والجدول الذي دونه الكاهن المصري منثيو، وقسم فيه السلالات الحاكمة في مصر إلى إحدى وثلاثين سلالة.

كذلك ألف الكتبة البابليون تواريخ ومدونات عن الماضي وهي التي تعرف لدى الباحثين بمصطلح "Chronicles" كما اتبع الكتبة الآشوريون أيضاً النظام الحولي في تدوين أخبار ملوكهم، ولاسيما حملاتهم العسكرية، أي ذكر هذه الأحداث عاماً بعد عام. وقد طوّر الكتبة الآشوريون أسلوب تدوين جداول الملوك والسلالات، إلى ما يعرف في الوقت الحاضر باسم التاريخ التعاصري أو التاريخ التزامني وهو عبارة عن موجز للعلاقات السياسية ما بين ملوك بابل وبلاد آشور، حيث قسموا جداول الملوك المتعاصرين في كلا البلدين إلى حقلين منفصلين، عددوا فيهما كل ملك آشوري ومن يعاصره من الملوك البابليين[1].

٢- تطور علم التاريخ في الجزيرة العربية قبل الإسلام:

إن معاناة العرب قبل الإسلام لفهم التاريخ وبالتالي لمعرفة عملية التدوين التاريخي أدت بالضرورة إلى الشك في صحة المعلومات التي وردت في ذلك الحين عن الجزيرة العربية قبل الإسلام، ولاسيما أن معلوماتنا المتوفرة هذه تستند إلى المصادر الإسلامية، والنقاش لا يزال محتدماً حول مدى دقّة هذه المصادر في وصف الأحوال الثقافية قبل الإسلام، وفي عصور صدر الإسلام، وهل صحيح نسبة كثير من الأخبار والمواد الأدبية إلى عصور ما قبل الإسلام؟ لاسيما أن

---

[1] باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ص ٢٤؛ مصطفى أبو ضيف أحمد، منهج البحث التاريخي بين الماضي والحاضر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٧، ص ١٨-١٩.

الأخبار عن الأدب العربي القديم في عصر صدر الإسلام يمتزج فيها الصدق والكذب إلى درجة لا يمكن إيجاد قاعدة عامة نميز بواسطتها الأصل من المادة المنتحلة. ومن هنا كان لزاماً علينا الحكم على كل وثيقة أو مادة أدبية على جدة، علينا ألا نعطل ملكاتنا النقدية مهما كانت مبررات هذا الخوف[1].

لا ريب أن الأحداث المهمة كانت تستثير اهتماماً طبيعياً المؤرخين ويتم التعبير عنها بأدوات مختلفة، قد تكون أسطورة أو قصة أو نسباً أو أغنية أو نقشاً أو سجل أحداث، وبالفعل تم اكتشاف نقش عربي باقٍ وضع لتخليد أعمال الشاعر أمرئ القيس، كما تم العثور على نقش آخر يشير على الأرجح إلى تدمير خيبر ويرجع إلى سنة ٧٨ هـ[2]. هذان النقشان اكتشفا في الطرف الشمالي الغربي للجزيرة العربية، وإذا ما حاولنا التعمق في كشف التراث التاريخي الأصيل للجزيرة في العصر الجاهلي يلزمنا الولوج إلى مسألتين مهمتين:

- **الأولى:** أدب الأيام، وهل يرجع إلى ما قبل الإسلام؟ وكيف كان شكله؟
- **الثاني:** علم الأنساب الذي كان قائماً آنذاك، هل هو بحد ذاته مادة تاريخية حقيقية؟ وإذا كان كذلك فما طبيعة العلاقة بينه وبين التاريخ؟

كانت قصص "الأيام" مجموعة روايات شفوية قبلية جماعية، وهي ملك مشترك للقبيلة، وبقيت كذلك حتى القرن الثاني للهجرة/الثامن الميلادي، حين جمعت الروايات وصنفت. ولكننا يلزمنا أن نلاحظ أن مدة صدر الإسلام، بتياراتها

---

[1] محمد أحمد ترحيني، المؤرخون والتأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية ودار الريف، بيروت، د.ت.، ص ١١.

[2] روزنثال، علم التاريخ...، ص ٣٠.

السياسية والاجتماعية، أثرت في أدب "الأيام". كما أن روايات "الأيام" مرتبكة من ناحية التوقيت، وهي على العموم لا تخلو من عصبية، وتمثل جانباً واحداً. ثم إنها ينقصها التآلف والسبك، وليست فيها فكرة تاريخية. ومع ذلك فإنها تحوي بعض الحقائق التاريخية. وأهميتها الأساسية في أنها استمرت في صدر الإسلام، وقد أثر أسلوبها في بداية علم التاريخ في العراق خاصة[1].

لا شك أن أخبار أيام العرب قديمة جداً؛ ومن هنا فقد انتشرت باعتبارها قصصاً مستقلة قبل أن تدخل في القصة التاريخية، أي باعتبارها "أدب الأيام"، وهذا الأدب شعراً كان أم نثراً كان يُعبّر عن قصص لا يستند ولا يشير إلى أنه استند إلى مصادر مدونة. ورغم ذلك "فالأيام" موجودة فعلاً في عصور ما قبل الإسلام، والسؤال المطروح هو: هل وجود هذه القصص دليل على الشعور التاريخي أو تعبير عن هذا الشعور؟ الواقع أن قصص الأيام ترجع في أصلها إلى الأدب أكثر مما ترجع إلى التاريخ فقد كانت تُروى بالدرجة الأولى لإيناس السامعين ولمتعتهم العاطفية، وهذا لا ينفي احتواءها على عناصر تاريخية من حيث تسجيلها لأحداث كبرى، تتصل بنواحٍ معينة، لكن هذه الأحداث يعوزها الاستمرار، كما يعوزها دراسة الأسباب والنتائج التاريخية، إضافة إلى أنها لم تأخذ الزمن بعين الاعتبار قط. من هنا لم تشكّل القصص هذه أحداثاً متتالية تدفع بالعاملين في حقل التأريخ إلى الاعتقاد بأن الشعور التاريخي كان قد تقدم قبل الإسلام، رغم أن فنونها وأشكالها لعبت فيما بعد دوراً مهماً في علم التاريخ.

أما الأنساب فرغم دلالتها على وجود الإحساس التاريخي عند العرب فإنها تأخذ في الانحدار إذا ما اعتبرت شكلاً من أشكال التعبير التاريخي. ولاسيما أن العناية بشُجيرات النسب في عصور ما قبل الإسلام لم يأخذ بعين الاعتبار النواحي

---

[1] عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق، ص ١٩.

التاريخية، ولم يأخذ بعين الاعتبار عملية التدوين، لأن المهتمين بالأنساب كانوا يحفظون معلوماتهم عن ظهر قلب، ولأن كثيراً من الأنساب كانت تضيع إذا لم يقيض لها من يحفظها. أما لماذا لم تظهر المؤلفات في الأنساب، فذلك يعود لعدم الحاجة لعملية تدوين تلك الانساب، لأن العرب قبل الإسلام لم يشعروا بأي ضعف في تقاليدهم النسبية، وفي هذه الحال كان دور هذا العلم ضئيلاً في تشكيل الصور الأدبية لعلم التاريخ[1].

وإذا كانت الأيام والأنساب المصدرين الأساسيين للمادة التاريخية في شمال الجزيرة العربية، فإن عرب الجنوب في اليمن اهتموا بتدوين اخبارهم ونقشها على أوابدهم الأثرية ومعابدهم وقلاعهم وسدودهم، بلغة الجنوب وبخطهم الخاص بهم، المسند، يذكرون فيها مختلف الشؤون من أعمال الدين والخير والجزية وبناء الأسوار والمعابد والحصون والحملات العسكرية، وقد دخل إليهم بعد سنة ١١٥ ق.م تقويم ثابت[2]. ويشير الهمذاني في كتابه "الإكليل إلى ما ادخرته ملوك حمير في خزائنها من مكتوب علمها[3].

أما أهم ما بلغنا من أخبارهم قبل الإسلام، فهو أخبار سد مأرب وتصدعه وانهياره في حادث سيل العرم وهجرة كثير من القبائل اليمنية عقب ذلك إلى الحجاز وتهامة ونجد ومشارف كلٌ من العراق والشام، وأخبار بلقيس ملكة سبأ وعلاقتها بسليمان، واستيلاء أبي كرب تبان أسعد على اليمن، وحكم يوسف ذي

---

[1] ترحيني، المؤرخون والتأريخ...، ص ١٢-١٣.

[2] الدوري، نشأة علم التاريخ ...، ص ١٤؛ نقلاً عن ريكمانز، النظام الملكي في بلاد العرب الجنوبية، ص ٢٨٢؛ وقد توصل ريكمانز إلى هذا الاستنتاج بالاستناد إلى نقش أبرهة المؤرخ بشهر ذي قيازان من سنة ٦٥٧؛ وإنما جرى هذا الحادث الذي يتعلق النقش به سنة ٥٤٣م. أما سنة ١١٥ ق.م، فهي سنة وصول حمير إلى السلطان الواسع في اليمن.

[3] الهمذاني، الإكليل، طبعة الأكوع، القاهرة ١٩٦٣، ج١، ص ٩ وما يليها.

نواس أحد ملوك حمير الثانية، واضطهاده لمسيحيي مدينة نجران وإحراقهم في الأخدود، وفتح الحبشة لليمن على يد القائد أرياط؛ وبناء أبرهة الحبشي خليفته في الحكم في اليمن كنيسة القليس في صنعاء، وحملة هذا الأخير على مكة عام الفيل سنة ٥٧١م، وحروب سيف بن ذي يزن الحميري مع الأحباش وطردهم من بلاده بمعونة الفرس. بيد أنه غلب الطابع الأسطوري على ما وصلنا من هذه الأخبار، وربما يعود ذلك إلى تعصّب الأخبار بين اليمنيين الذين عاشوا في القرن الأول للهجرة لبلادهم، وحرصهم على أن يظهروا قبائل عرب الجنوب متفوقة في مضمار الحضارة على عرب الشمال، لاسيما بعد أن أخذ الشماليون يستعلون على اليمنيين بظهور عدد من الأنبياء ومن بينهم محمد بن عبد الله (ﷺ)[1].

وهكذا أوقعت أخبار عرب الجنوب المؤرخين في الحيرة والارتباك، لصعوبة تحقيقها وتمحيصها. ولذلك وجدنا المؤرخ الهمذاني وهو من مؤرخي القرن الرابع الهجري ينتقد في كتابه "الإكليل" الأخبار المتعلقة بتاريخ اليمن قائلاً: "فوجدت أكثر الناس يخبط خبط عشواء ويعمّه في حندس طخياء"[2]. أما أسلوب تلك الأخبار التي وصلتنا عن تاريخ اليمن القديم فقد غلب عليه الطابع القصصي الذي كان سائداً في رواية عرب الشمال لأخبار أيامهم؛ وبالتالي لم يعتبر المؤرخون هذه الأخبار ذات قيمة تاريخية، لكن أهميتها تكمن في ديمومتها وفي استمرارية الاهتمام بالأيام والأنساب، واعتمادها أسلوب الرواية نفسه الأسلوب القصصي شبه التاريخي.

إن أول الإخباريين وأهمهم من الذين رووا تاريخ اليمن القديم بشكل قصص، اقتبسها مؤرخوها ونقلوا الشيء الكثير منها إلى كتبهم ثلاثة هم: كعب

---

[1] ترجيني، المؤرخون والتأريخ...، ص ١٣-١٤.

[2] الهمذاني، الإكليل، ج١٠، ص ٤.

الأحبار ووهب بن منبه وعبيد بن شريه الجرهمي. ورغم أن الطابع الأسطوري كان قد غلب على روايات هؤلاء الثلاثة الآنفي الذكر، فإننا نرى انفسنا ملزمين بدراستهم، بسبب اعتماد العديد من مؤرخي صدر الإسلام على روايتهم في المواضيع المتعلقة بالجاهلية؛ كما اعتمد عليهم أيضاً أولئك الإخباريون الذين عنوا بالتراجم والطبقات أمثال ابن سعد وابن خلكان وياقوت الحموي وغيرهم، كما انكبّ على دراستهم بعض المستشرقين والمؤرخين المحدثين[1].

أ- كعب الأحبار[2]:

وقد روى كعب أحاديث الرسول (ﷺ) عن كبار الصحابة ومنهم عمر وصهيب، وقد عُدَّ من خيار التابعين الذين يلون في العادة الصحابة من حيث منزلتهم في رواية الحديث. لكن المؤرخ الذهبي ذكر أن كعباً يعتبر من النادرين الذين روى عنهم الصحابة كأبي هريرة وابن عباس؛ ويضيف الذهبي: "... وكان خبيراً بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة وقع له رواية في سنن أبي داود والترمذي والنسائي"[3].

---

[1] ترجيني، المؤرخون والتأريخ...، ص ١٤.

[2] **كعب الأحبار**: هو كعب الأحبار من مانع، ويكنى أبا إسحق من حمير من آل ذي رعين، وكان على دين اليهود، فأسلم وقدم إلى المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان. محمد بن سعد الطبقات الكبرى، ج٧، ص ٤٤٥-٤٤٦. وذكر المؤرخ الذهبي أنه: "قدم المدينة من اليمن أيام عمر؛ فجالس أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة. وكان حسن الإسلام متين الديانة من نبلاء العلماء...". انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٣٢٢-٣٢٥.

[3] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٣٢٢-٣٢٥.

ومع أن الكثيرين من جهابذة مؤرخي التراجم أوردوا سيرة كعب، لكن أحداً منهم لم يُشر إلى أن كعباً ألف بل كان كل ما روي عنه شفوياً؛ رغم سعة اطلاعه على اللغة والثقافة اليهودية وأساطيرها. ولاحظ الباحثون أن الثعالبي والكسائي نقلا عنه الكثير من قصص الأنبياء؛ بينما روى عنه الطبري قليلاً؛ أما بعض ثقات المؤرخين كابن قتيبة الكوفي، والنووي فلم يرووا عنه إطلاقاً.

ب- وهب بن المنبه[1]:

اليماني صاحب القصص؛ من الأبناء[2]، يكنّى أبا عبد الله من مدينة هراة بخراسان[3]. ومن خلال الروايات المنسوبة إليه، نلاحظ أن وهباً كان قد أخذ مواده من الروايات الشفوية ومن الكتب أيضاً. كما أنه رأى قطعاً من العهد القديم منقولة حسنة ومقتبسة في تفسير الطبري، وقطعاً من المزامير كما تدلنا بعض أخباره على

---

[1] ثمة خلاف بين المؤرخين حول اعتناقه الإسلام، يشير إليه المستشرق الألماني يوسف هوروفيتش بقوله: " وكان جدُّ وهب الأكبر يلقب بالأسوار، وقد اعتنق وهب الإسلام عام ١٠ هـ. بناء على قول واضح الخطأ للواقدي، ومعناه أنه ولد قبل الهجرة ولا يمكن كذلك أن نثق بقول عبد الله بن سلام الذي نقله ابن النديم في 'الفهرست' أن وهباً من أهل الكتاب الذين أسلموا. والأكثر احتمالاً أنه ولد مسلماً، ولعل الواقدي لا يعني إسلام وهب نفسه، وإنما يعني إسلام والده منبه، الذي يحتمل أنه دخل في الإسلام عام ١٠هـ. وليس لدينا ما يدعو إلى الشك في القول بأن وهباً ولد عام ٣٤هـ. ذلك القول الذي يلائم ما نعرفه من الأخبار الأخرى عن حياته. انظر: يوسف هوروفيتش، المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة د. حسين نصار، ص ٢٧-٢٨. وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ وفاته، وقدروه ما بين ١١٠-١١٤ هـ. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص ٧٢-٧٣.

[2] المقصود أنه من أبناء أفراد الجيش الفارسي الذي بعث به كسرى أنوشروان نجدة للأمير الحميري سيف بن ذي يزن لإخراج الأحباش من اليمن. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص ٣٥.

[3] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، م١٠، ص ٢٥٩.

معرفته بالتلمود[1]. ويبدو أن الكثير من معلوماته مستقى من القصص عند المسيحيين واليهود ومن القصص الشعبي اليماني. وتنسب إلى وهب بعض المؤلفات عن فترة ما قبل الإسلام، فابن سعد يذكر أنه ألف "أحاديث الأنبياء والعباد وأحاديث بني إسرائيل"[2]، وابن النديم يشير إلى "المبتدأ"[3]. ويبدو من المقتطفات التي وصلتنا متفرقة عند الطبري وابن قتيبة وابن اسحاق وغيرهم، بأن وهب بن منبه ألف كتاباً عنوانه "الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك"[4]. ويحتمل أن هذا الكتاب كان الأساس لكتاب "التيجان من ملوك حمير واليمن"[5]. ويتناول القسم الأكبر منه قصة عرب الجنوب وماضيهم وأمجاد ملوكهم وهجرتهم، وقد جاء الكتاب بأسلوب قصصي مؤثر يشبه قصص ما قبل الإسلام، فهو شبه أدبي ويتمشى في شعره ونثره مع أسلوب قصص الأيام؛ ويقدم هذا الكتاب أسطورة يمانية شعبية مجيدة هدفها كما يبدو أن تعطي صورة رائعة لعرب الجنوب تجابه التفوق العام لعرب الشمال، وتعكس صورة للتفاخر بين الاثنين. فالكتاب يظهر "حمير في الأرض كالسراج المضيء في الليلة الظلماء"[6]، ويظهر بأن عرب الجنوب عرفوا التوحيد قبل غيرهم من الناس. كما يلحظ تقديس اليمانيين للكعبة وحجّ بعض ملوكهم إليها، وقيام ملوكهم بفتوحات عظيمة في أرجاء الأرض.

ومن الصعب تحديد دور وهب فيما ذُكر، وعلينا أن نشير بأن الكتاب نفسه يحوي قصصاً تعود لابن اسحاق وإلى أبي مخنف وإلى محمد بن السائب الكلبي

---

(1) جواد علي، موارد تاريخ الطبري، ج1، ص ١٩٣.

(2) ابن النديم، الفهرست، ج٧، ص ٩٧.

(3) ابن قتيبة، المعارف، ص ١٣٨.

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص ٣٨٢.

(5) الدوري، علم التاريخ...، ص ١١٠

(6) التيجان، نقلاً عن الدوري، علم التاريخ...، ص ١١١.

وإلى عبيد بن شريه الجرهمي، وإلى كعب الأحبار[1]. وبالنهاية قد نتفق مع جمهرة المؤرخين الذين اعتبروا وهباً في عداد الإخباريين الذين رووا تاريخ العرب قبل الإسلام؛ إضافة إلى روايتهم أخبار غير العرب وتحديداً الأخبار التي استقوها من الكتب المقدسة وسواها، بل ترانا نضيف أن وهباً كان قد أدخل عنصر القصة إلى حقل التاريخ؛ إضافة إلى أنه كان أول من وضع إطاراً وإن كان قصصياً لتاريخ النبوة منذ بدء الخليقة حتى ظهور الإسلام[2].

ج- عبيد بن شريه الجرهمي[3]:

يعد من كبار المعمرين اليمنيين المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام. أدرك عبيد ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يفد عليه ولم يسمع منه؛ ومع ذلك اعتنق الإسلام ووفد على معاوية، وقيل إنه لقيه بالحيرة لما توجه معاوية إلى العراق. وقد سأله معاوية بن أبي سفيان عن الأخبار المتقدمة، وملوك العرب والعجم، وسبب تبليل الألسنة، وأمر افتراق الناس في البلاد، فأجابه عبيد بإسناد رفعه إلى أبي حاتم السجستاني[4]. لكن معاوية أمره بأن يدون الحديث وينسب إلى عبيد بن شريه الجرهمي. وقد عاش هذا الأخير إلى أيام عبد الملك بن مروان حتى توفي سنة ٧٠ هـ. وله كتابان: كتاب الأمثال الذي رآه ابن النديم وأنه يتألف من خمسين ورقة؛ وكتاب الملوك وأخبار الماضي الذي روى أخباره عن

---

(١) التيجان، نقلاً عن الدوري، علم التاريخ...، ص ١١١.

(٢) ترحيني، المؤرخون والتأريخ...، ص ١٨.

(٣) هو عبيد بن شريه أو سرية أو سارية الجرهمي، روى ابن عساكر في تاريخ دمشق أنه عاش ثلاثمائة سنة، وهذا ما ذكره ياقوت الحموي، لكنه يضيف بأن بعضهم ذكر أن وهب عاش مائتين وعشرين سنة. انظر الحموي، معجم الأدباء...، ج٦، ص ٧٢-٧٣.

(٤) الحموي، معجم الأدباء...، ج٦، ص ٧٢-٧٣؛ ابن النديم، الفهرست...، ص ١٣٢، حيث يذكر ان معاوية استحضره من صنعاء.

الكيس النمري اللسين الجرهمي، واسمه زيد بن الكيس[1]. وقد كان هذا الأخير أيام يزيد بن معاوية، عارفاً بأيام العرب وأحاديثها. كما روى عن الكسير الجرهمي وعبدود الجرهمي. ويذكر النقاد أن الكتاب الثاني هو أقرب إلى كتب المسامرات منه إلى كتب التاريخ[2].

---

[1] ابن النديم، الفهرست...، ص ١٣٢، بينما يذكر ياقوت يزيد بن الكيس. انظر: الحموي، معجم الأدباء...، ج٦، ص ٧٨.

[2] ترحيني، المؤرخون والتأريخ...، ص ١٩.

ثانياً-تطور علم التاريخ في العصر الإسلامي:

أ- التاريخ والتأريخ في أدبيات الحضارة العربية:

شاع في الأدبيات العربية تعبير "الخبر" و"الأخبار" ولاسيما في القرنين الأولين للهجرة للدلالة على ما تعنيه فكرة التاريخ، بما هي وصف أو سرد للأحداث والوقائع ونقل لها بصورة القصة أو السيرة، أو المعركة "المغازي". وهذا لا يعني أن كلمة "تاريخ" لم تستخدم حينها، بل إن هذا الاستخدام أخذ معنى الزمن لناحية اليوم والشهر والسنة، أي عنى ما يُعرف باللغات اللاتينية بـ "Date" والملاحظ أن هذا المعنى (معنى التوقيت) لا يزال حتى اليوم هو أحد المعاني التي حافظت عليه وحملته مفردة "تاريخ". فيقال مثلاً: تاريخ رسالة، أو تاريخ وفاة، أو تاريخ وثيقة، أي توقيتها.

على أن للمفردة أيضاً كينونتها التاريخية، حيث تنطلق من أصل من الأصول في تاريخ لغة من اللغات، فتتطور في داخلها من خلال استدعاءات وحاجات الحياة، أو أنها تنتقل إلى لغة ثانية بفعل الاحتكاك أو التجاور، فتكتسب معاني قد تكون جديدة كل الجدة. وهذا ما يعرف في اللغة العربية بالمعنى "اصطلاحياً" وهو غير المعنى لغةً [1].

من بين الروايات العربية التي تناقلها الإخباريون العرب، روايتان تستوقفان: رواية تشير إلى أن الكلمة دخلت من عند الفرس، ورواية ثانية أنها جاءت من اليمن.

جاء نص الرواية الأولى: "إن لفظة التاريخ معربة، مأخوذة من ماهروز. والأصل فيه أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) "انه يأتينا

---

[1] وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ، اتجاهات -مدارس-مناهج، ط٢، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر ٢٠١٣، ص ٣٠.

من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيهما نعمل. قد قرأنا صكاً محله شعبان، فما ندري أي شعبان هو؟ أهو الماضي أو الآتي". ثم جمع وجوه الصحابة وقال إن الأموال قد كثرت وما قسمناه غير مؤقت فكيف التوصل إلى ما يضبط به ذلك؟ فقال الهرمزان، وهو ملك الأهواز، وقد أسر عند فتوح فارس وحمل إلى عمر وأسلم على يده "إن للعجم حساباً يسمونه ماهوروز ويسندونه إلى من غلب عليهم من الأكاسرة"، فعربوا لفظة ماهوروز بمؤرخ وجعلوا مصدره التاريخ واستعملوه في وجوه التعريف". وتشير الرواية إلى أن الخليفة عمر قال للصحابة: "ضعوا للناس تاريخاً يتعاملون عليه وتصير أوقاتهم مضبوطة فيما يتعاطونه من معاملاتهم". وبعد تداول في أي تاريخ يعتمد: تاريخ الاسكندر أم تاريخ الفرس، "اتفقوا على أن يجعلوا تاريخ الدولة الإسلامية من لدن هجرة النبي (ﷺ) من مكة إلى المدينة، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد بخلاف وقت بعثه... فإنه مختلف فيه، وكذا وقت ولادته... ثم بعد ذلك تركوا تسمية السنين بالحوادث والتاريخ بها. وهذا التاريخ يُعرف بتاريخ الهجرة[1].

أما الرواية الثانية التي يوردها السخاوي أيضاً، فقد جاء فيها: "وذكروا في سبب عمل التاريخ أشياء منها ما أخرجه أبو نعيم الفضل بن دكن في تاريخه ومن طريقة الحاكم من طريق الشعبي، أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب (ﷺ) أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ، فجمع عمر الناس فقال بعضهم أرخ بالمبعث وبعضهم أرخ بالهجرة، فقال عمر الهجرة فرّقت بين الحق والباطل فأرخوا بها ... فلما اتفقوا قال بعضهم ابدأوا برمضان فقال عمر بل بمحرم فإنه

---

[1] ورد النص في: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، عن نسخة أحمد باشا تيمور، عني بنشره القدسي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٩، ص ٨١.

منصرف الناس من حجهم فاتفقوا عليه. وقيل أول من أرخ التاريخ يعلى بن أمية حيث كان باليمن، وذلك أن كتب إلى عمر كتاباً من اليمن مؤرخاً فاستحسنه عمر فشرع في التاريخ، أخرجه أحمد بن حنبل بسند صحيح، لكن فيه انقطاع بين عمر وبن دينار وبين علي..."[1].

ويُغلب السخاوي فكرة الأصل العربي للكلمة. ويستند إلى الأصمعي الذي أشار إلى لهجتين عربيتين في لفظ الكلمة، فقال: "بنو تميم يقولون ورخت الكتاب توريخاً، وقيس تقول أرخته تأريخاً، وهذ يؤكد كونه عربياً"[2].

ب- أثر الحديث في التدوين التاريخي عند العرب:

استمر اهتمام العرب بالتاريخ إلى ما بعد ظهور الإسلام، وازداد بسبب ظهور عوامل جديدة، منها العناية بدراسة الحديث، وسيرة الرسول (ﷺ) فضلاً عن القضايا السياسية والإدارية والاجتماعية الأخرى، التي برزت على مسرح الأحداث، ولاسيما مسألة الخلافة، وإدارة المناطق المحررة وطرق تنظيمها وحكمها[3].

وكان لقيام الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) في وضع تقويم ثابت، أثر كبير في نشأة الفكرة التاريخية عند العرب، ومنذ ذلك الحين، أصبح توقيت الأحداث هو العمود الأساس للدراسات التاريخية، كما قام الخليفة عمر بن الخطاب أيضاً بتأسيس الديوان، أو السجل الذي يُكتب فيه أسماء المقاتلين وأهليهم بحسب قبائلهم، وهذا أعطى للأنساب أهمية جديدة، وكان دافعاً إضافياً للاهتمام بدراسة الأنساب[4]. وقد جرت في حدود منتصف القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد

---

[1] المصدر نفسه، ص ٨٠.

[2] المصدر نفسه، ص ٦.

[3] أحمد أمين، فجر الإسلام، ط٨، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦١، ص ١٥٦.

[4] الدوري، نشأة علم التاريخ...، ص ١٩.

محاولات أولية تركزت على الاهتمام بجمع وتدوين أخبار العرب قبل الإسلام، والأقوام المجاورة لهم، والقصص، والأنساب والمغازي والسير. وتشير المصادر التاريخية، إلى أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠م) كان أول من اهتم بهذه المعرفة التاريخية في العصر الأموي وشجعها[١]، وقد استعان ببعض العلماء اليمانيين لتحقيق هذه الغاية، مثل عبيد بن شريه الجرهمي[٢].

أما الكتابة التاريخية المنظمة عند المسلمين، فقد تأثرت بدراسات الحديث النبوي الشريف، الذي اهتم المحدثون كثيراً بجمعه، ومعرفة رواته والتأكد من صدقهم، لما في ذلك من أهمية في تحقيق الحديث، سواء كان ذلك في رواياته أو في مصطلحه، واهتم علماء الحديث في وضع قواعد نظرية وتطبيقية تتصف بالدقة والاتقان للتأكد من متن الحديث وإسناده، أي نصه، وسلسلة الرواة الذين يروون الحديث[٣]، وعلى الرغم من أن هذه الدراسات هي بالأساس من عمل المحدثين، وأنها كانت مقتصرة، بالدرجة الأولى، على دراسة الحديث، فإنها كانت على علاقة وثيقة بالتاريخ، لأن دراسة المتن والإسناد، هي من صميم الدراسات

---

[١] عبد الواحد ذنون طه، "دور بلاد الشام في نشأة علم التاريخ في العصر الأموي" ، ضمن كتاب المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في العهد الأموي، محاضر الندوة الثالثة، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٩م، ص ٧١.

[٢] أبو محمد عبد الملك بن هشام، كتاب التيجان في ملوك حمير واليمن، نشر كرنكو، حيدر أباد الدركن، ١٣٤٧هت، ١٩٢٨، وأعيد طبعه في مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء١٩٧٩، ص ٣٢٦-٣٢٧.

[٣] ابن النديم، الفهرست...، ص ١٣٢.

التاريخية لأنها تبحث في الماضي. يضاف إلى ذلك أن كثيراً من المحدثين كانوا مؤرخين في الوقت نفسه، فاستفادوا من هذه الطريقة في دراسة التاريخ[1].

ويسمى العلم الذي وضعه علماء الحديث لنقد الرواة بعلم الجرح والتعديل الذي يقوم على "معرفة صفة من تقبل روايته ومن تُرد روايته وما يتعلق بذلك من قدح وجرح وتوثيق وتعديل"[2]. وقد أصبح هذا العلم منذ منتصف القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، علماً ذا قواعد وأصول ووقفاً على الخاصة من العلماء المتخصصين الذين يحق لهم الحكم على الرجال، أي الرواة من حيث ما ورد في شأنهم مما يعيبهم أو يزكيهم، بألفاظ مخصصة[3]. وتوصل هؤلاء العلماء إلى قواعد ثابتة فيمن يحتج بروايته، بحيث يشترط فيه أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق وما يشين المروءة، وأن يكون عدلاً ضابطاً لما يرويه، حافظاً إن حدث من حفظه، ضابطاً للكتابة إن حدث من كتبه، ومن هؤلاء العلماء الذين أكدوا أهمية الجرح والتعديل، والتأكد من المرويات أي متون الأحاديث: الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م)، والإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م)، والقاضي عياض بن عياض (٥٤٤هـ/١١٤٩م)، والحافظ الفقيه ابن الصلاح الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)[4].

---

(١) صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت د.ت.. ص ١٢٦ وما بعدها.

(٢) الصالح، علوم الحديث...، ص ٣٩؛ عثمان موافي، منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوروبي، ط٢، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٧٦، ص ١٠٦.

(٣) الصالح، علوم الحديث...، ص ١٠٩.

(٤) أسد رستم، مصطلح التاريخ، ط٣، منشورات المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، د.ت.، ص ٦٩-٧٠.

يتبين مما أشرنا إليه قبل قليل، أن بدايات علم التاريخ عند العرب سارت في اتجاهين أساسيين هما الاتجاه الإسلامي أو الاتجاه الذي ظهر عند أهل الحديث، والاتجاه القبلي الذي استمر في مجتمع صدر الإسلام[1]، وقد نشأ هذان الاتجاهان في مركزين ثقافيين في الدولة الإسلامية، الأول في المدينة المنورة، التي هي دار سنة الرسول (ﷺ) والثاني في الكوفة والبصرة اللتين أُنشئتا بعد تحرير العراق. ويشير الباحثون عادة إلى مدرستين تاريخيتين تمثل كل منهما أحد هذين الاتجاهين، هما مدرسة المدينة ومدرسة العراق، وقد حصل تأثير متبادل بين هاتين المدرستين التاريخيتين، ثم ظهر تفوق الاتجاه الإسلامي واضحاً، بحيث غلب اتجاه أهل الحديث في الكتابة التاريخية[2].

لقد أدى اهتمام المسلمين بجمع أحاديث الرسول (ﷺ) منذ نهاية القرن الأول للهجرة إلى توافر مادة تاريخية غنية جداً، تتعلق بسيرة الرسول والغزوات التي اشترك فيها، فكان ذلك دافعاً إلى ظهور التدوين التاريخي بشكل منظم، حيث وجد المؤرخون الأوائل في تدوين ما يتعلق بحياة الرسول وغزواته وآثاره شيئاً يحقق ما في نفوسهم من تعلق به وحب لتخليد ذكراه. وهكذا فإن الاتجاه العام لكتابة التاريخ عند العرب قد بدأ انطلاقاً من اهتمام المؤرخين الأوائل بتيار المغازي والسير المتفرع من علم الحديث، وكان رواد دراسة المغازي محدثين، فاهتموا بالإسناد أو سلسلة الرواة، وما ولد نظرة ناقدة إلى الروايات أو مصادر المعلومات، وأدخل عنصر البحث والتحري في جميع الروايات وكوّن أساساً متيناً للدراسة التاريخية[3].

---

(1) الدوري، نشأة علم التاريخ...، ص ١٩.

(2) الدوري، نشأة علم التاريخ...، ص ١٩، ٦١، ١٨١؛ مصطفى، ص ١٤٩، ١٦٩.

(3) الدوري، نشأة علم التاريخ...، ص ١٩.

ج- بداية التدوين التاريخي عند العرب والمسلمين:

لقد سميت الدراسات الأولى لحياة الرسول (ﷺ) باسم "المغازي" التي تعني من الناحية اللغوية غزواته وحروبه، لكنها تناولت في الحقيقة فترة الرسالة بكاملها. وقد قام بها نخبة من المسلمين البارزين، أمثال أبان بن عثمان(ت بين ٩٥-١٠٥هـ/٧١٣-٧٢٣م) وعروة بن الزبير(ت٩٤هـ/٧١٢م) ووهب بن منبه(ت ١١٠هـ/ ٧٢٨ م) وشرحبيل بن سعد (ت ١٢٣هـ/٧٤٠م) وغيرهم كثر من الطبقة الثانية. وقد روى عنه اثنان من الطبقة الثالثة هما زياد البكائي(ت ١٨٣هـ/٧٩٩م)، وعبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ/٨١٣م)، ومن مؤرخي السيرة والمغازي من هذه الطبقة أيضاً، محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) وتلميذه محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) [1].

ولن نفصل في الحديث عن جميع هؤلاء الذين أسهموا في كتابة المغازي، لكن سيتم تناول بعض من أسهم في رفد هذه الحركة بخطوط جديدة من التطور، ولاسيما ابن اسحاق والواقدي وابن سعد، الذين كانوا علماء مؤرخين أولاً، ثم محدثين بالدرجة الثانية وتُعَدُّ سيرة ابن اسحاق أقدم سيرة قد وصلت إلينا منقحة من قبل ابن هشام، الذي أخذها برواية زياد البكائي، حيث هذبها، وحذف الأقسام الضعيفة منها، ولاسيما الشعر الموضوع، فجعلها بذلك أقرب إلى وجهة نظر المحدثين، ومن المحتمل أن خطة ابن اسحاق في تأليف الكتاب كانت تتألف من ثلاثة أقسام هي: "المبتدأ" ويتناول تاريخ العرب قبل الإسلام منذ خلق العالم إلى البعثة النبوية،

---

[1] الدوري، نشأة علم التاريخ...، ص ٢٠-٢٣؛ نصار، نشأة التدوين التاريخي...، ص ٣٩ وما بعدها؛ حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ ...، ص ١٩١-١٩٢.

و"المبعث"، ويشمل حياة النبي في مكة والهجرة، و"المغازي" أي غزوات الرسول وسراياه[1].

جمع ابن اسحاق أساليب المحدثين والقصاص واستفاد من مختلف نواحي الاهتمام بالمغازي وتواريخ الأنبياء، وكان أبعد أفقاً وأوسع تفكيراً من سابقيه ومعاصريه، وكانت مصادر معلوماته متنوعة، فقد رجع إلى علماء غير مسلمين في أخباره عن المبتدأ، كذلك إلى الداخلين حديثاً في الإسلام وروى قصصاً عربية، وأقاصيص من أصل يماني.

أما روايته عن المبعث والمغازي فتتميز بالرجوع إلى شيوخه في المدينة المنورة، وكثرة الأسانيد التي ترجع إلى شاهد العيان الحقيقي الذي روى الخبر. لكن معلوماته عن الفترة المكية وردت في الغالب دون إسناد، ويُنتقد ابن اسحاق لاعتماده على أهل الكتاب في الرواية، ولذكره كثيراً من الشعر الموضوع، ولأخطائه في الإنساب ولأنه لا يمحص مصادره، لكنه مع ذلك يبدي شكاً في بعض رواياته، ويستعين بالآيات القرآنية لتعزيزها، كما استفاد من الوثائق والمواد المكتوبة، والروايات الشفوية، لهذا فإن كتابه يرتفع إلى منزلة عالية القيمة، ولاسيما أنه يمثل أقدم الكتب النثرية العربية التي وصلت إلينا جميعاً[2].

ويمثل كتاب "المغازي" للواقدي الصورة الأخيرة من مراحل تطور السيرة النبوية في القرنين الأول والثاني للهجرة/السابع والثامن للميلاد، فهو يقتصر على غزوات الرسول وسراياه في الفترة المدنية، ويطبق قواعد المنهج الإسلامي أكثر من

---

(1) كب، ص ٥٥-٥٦؛ الدوري، نشأة علم التاريخ...، ص ٢٧؛ نصار، نشأة التدوين التاريخي...، ص ٧٩-٨٠؛ سالم، التاريخ والمؤرخون ...، ص ٦١.

(2) الدوري، نشأة علم التاريخ...، ص ٢٨-٢٩؛ حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ ...، ص ٢٠٩.

سلفه ابن اسحاق، فقد كان يرتب التفاصيل المختلفة للأحداث بطريقة منطقية لا تتغير، حيث يبدأ مغازيه بذكر الرجال الذين نقل عنهم الأخبار، ثم يذكر المغازي مع تاريخ كل غزوة بدقة، وغالباً ما يذكر تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة ويذكر الغزوات التي قادها الرسول بنفسه، وأسماء من استخلفهم على المدينة أثناء غيابه ثم يورد شعار المسلمين في القتال[1].

والواقدي أكثر دقة في أسلوبه من ابن اسحاق ولاسيما في استعمال الإسناد وفي تحقيق تواريخ الأحداث، وفي الاعتدال في الاقتباس من الشعر والتقليل من عنصر القصص الشعبي[2]. كما أنه لم يكن راوياً فحسب، بل راوياً ناقداً ممحصاً لكثير من مصادره وأخباره، سواء بتطبيق قواعد نقد الإسناد عليها، أو الاستعانة بالملاحظة الحسية والتجربة في ذلك، عن طريق زيارته لمواقع المعارك والغزوات، التي كانت تعطيه صورة دقيقة عن المكان الذي جرت فيه الغزوة، وكان يميل إلى ترجيح بعض الروايات المتناقضة على الأخرى، الأمر الذي يشير إلى روح النقد عنده، حيث يستعمل بعض العبارات التي تدل على ذلك مثل "والثبت عندنا"، و"القول الأول أثبت عندنا"[3].

وفي الوقت الذي قطعت فيه دراسة السيرة هذه المرحلة الكبيرة من التقدم، تطور الاتجاه الثاني للكتابة التاريخية، وهو الاتجاه الذي أشرنا إليه سابقاً، والذي يُعنى بالمآثر والأنساب القبلية، وكان لحروب التحرير دور كبير في إضافة أمجاد

---

[1] محمد بن عمر الواقدي، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٤، مقدمة المحقق، ج١، ص ٣١.

[2] الدوري، نشأة علم التاريخ...، ص ١٣٠؛ أحمد ابو ضيف، منهج البحث التاريخي...، ص ٥٤-٥٥.

[3] الواقدي، المغازي...، ج١، ص ١٣٢٠؛ عثمان الموافي، منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوروبي، ط٢، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٧٦، ص ٢٠٨-٢٠٩.

جديدة إلى الموضوعات القبلية، كما أن إنشاء الدولة العربية الإسلامية الكبيرة فتح آفاقاً جديدة. ولاسيما بعد إنشاء الأمصار واستقرار القبائل فيها[1]، وقد شجع الخلفاء الأمويون مثل هذه الدراسات، ولاسيما الأنساب[2]، كما شهد القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد عدداً كبيراً من الإخباريين والنسابين، واللغويين خط الدراسات بنشاط في الحقول التي اختصوا بها. فمثل الإخباريين خط الدراسات التاريخية، كما قام الآخرون بدور في هذه الدراسات وتركزت فعاليتهم في البصرة والكوفة، ومن أهم هؤلاء الإخباريين، عوانة بن الحكم (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م)، وأبو مخنف لوط بن يحيى (ت ١٥٧هـ/٧٧٤م)، وسيف بن عمر (ت ١٨٠ هـ/٧٦٩م)، وعلي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥هـ/٨٣٩م). أما أشهر النسابين الذي ظهروا في هذا العصر، فهم محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ/٧٦٣م)، وابنه هشام (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م)، وغيرهم[3].

لقد انتجت دراسات هؤلاء مادة تاريخية واسعة على مستويات مختلفة من الدقة، وهي مستمدة بشكل خاص من أخبار الماضين، وأحوال العرب قبل الإسلام والسيرة النبوية، وأخبار الدولة العربية الإسلامية، وقد ازدادت المادة التاريخية زيادة جوهرية كبيرة منذ أوائل القرن الثالث إلى أوائل القرن الرابع للهجرة/ التاسع إلى العاشر للميلاد، ولك بفضل استقرار دواوين الدولة العباسية وأمكن للمشتغلين بالتاريخ أن يستفيدوا منها في مؤلفاتهم. واعتمد مؤرخو القرن الثالث للهجرة/ التاسع

---

(1) الدوري، نشأة علم التاريخ...، ص ٣٣.

(2) عبد الرحمن ذنون طه، "دور بلاد الشام في نشأة علم التاريخ في العصر الأموي"، نشر ضمن كتاب المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في العهد الأموي، تحرير محمد عدنان البخيت، محاضر الندوة الثالثة، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩، ص ٧٣-٧٤.

(3) الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ...، ص ٣٥-٤١؛ سالم، التاريخ والمؤرخين العرب ...، ص ٦٧-٧١.

للميلاد في مصادرهم لكتابة التاريخ على موارد عديدة هي السيرة النبوية، والسجلات الرسمية، والكتب المنقولة من اللغات الاجنبية والمشاهدة والمشافهة[1]، كما حاولوا أن يستفيدوا من كتب الإخباريين وكتب الأنساب والمصادر الأخرى المتيسرة، وشملت دراستهم، الأمة بصورة منظمة، وقدموا معلوماتهم على هيئة رواية تاريخية متماسكة، وكان عملهم يعتمد على انتقاء المادة بعد النقد، وتميزوا باتساع مداركهم ونظرتهم الشمولية العالمية[2].

ويأتي أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) في مقدمة المؤلفين الين ساروا على هذا النهج، ويمثل كتابه "فتوح البلدان" و"أنساب الأشراف"، تطوراً كبيراً في هذا الاتجاه، بحيث يُعد الأول سجلاً للفتوحات الإسلامية، ولكثير من المعلومات المتعلقة بالنواحي الثقافية والاقتصادية والإدارية، وغيرها من النظم الاجتماعية والحضارية التي دونها اعتماداً على كتب الفتوح، ومن خلال زيارته للأمصار[3]، أما كتاب الأنساب فهو تاريخ عام اتخذ من النسب إطاراً تاريخياً لتناول تاريخ الدولة العربية الإسلامية في عصورها الأولى المليئة بالأحداث والتطورات وقد استخدم فيها الإسناد وأشار إلى موارده التي استقى منها مادته التي تتناول أعلام الأسر العربية الشريفة[4].

---

[1] أحمد مختار العبادي، "إلمامه بالتاريخ عند العرب" فصل ضمن كتاب: علم التاريخ لهرشو، ص ٣٨-٤٠.

[2] كب، ص ٤٦٦؛ الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ...، ص ٤٨.

[3] الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ...، ص ٤٨.

[4] محمد جاسم حمادي المشهداني، موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٦، ج١، ص ٩.

ويمثل أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) قمة ما وصل إليه تدوين التاريخ عند العرب، بحيث يُعدُّ كتابه "تاريخ الرسل والملوك"، أهم المصادر وأغزرها مادة بالنسبة إلى القرون الأولى للعلم في المجتمع الإسلامي[١].

وقد تطور تدوين علم التاريخ عند العرب نتيجة للأحداث السياسية التي مرت بالأمة العربية الإسلامية، فقد أعقب التفرق السياسي، وظهور الكيانات التي استقلت عن السلطة المركزية نتيجة وهن في القوة الذاتية للمسلمين، ما شجع الطامعين من الأجانب على مهاجمة أجزاء متعددة من جسم الدولة العربية الإسلامية، فأغار الصليبيون في القرنين الخامس والسادس للهجرة/الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، على ممتلكات المسلمين في المشرق والمغرب، كذلك هاجم المغول مقر الخلافة العباسية في بغداد، ودمروا معالم الثقافة والحضارة العربية الإسلامية فيها، وفي الوقت نفسه، كانت الأحداث في مغرب الوطن العربي الإسلامي تسير من سيء إلى أسوأ، نتيجة لتغلب قوى الممالك الإسبانية، والسيطرة على المدن العربية في الأندلس الواحدة تلو الأخرى، حتى لم يتبق لدى المسلمين سوى رقعة صغيرة من الأرض، هي مملكة غرناطة، التي تضم المدينة وما حولها من مناطق محدودة، فكان من الطبيعي، كما يقول محمد عبد الحميد العبادي[٢]، أن ينحو المؤرخ العربي المسلم بعد هذه الأحداث الجسام والخطوب العظام منحى آخر في التاريخ، تميز بالنظرة الفلسفية العميقة، ومحاولة التعرف إلى علل الحوادث، وأسباب قيام الدول، وعوامل سقوطها ومظاهر العمران وأصول علم

---

[١] فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي–التدوين التاريخي، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، م١، ص ١٥٩..

[٢] علم التاريخ، الفصل الخاص بالتاريخ عند العرب، ص ٤٢.

الاجتماع "وهذا ما صنعه فيلسوف مؤرخي العرب قاطبة عبد الرحمن بن خلدون في مقدمة تاريخه التي لم يكتب مثلها على الإطلاق".

وبعد هذا لم يلبث علم التاريخ، مرحلة تطورية أخرى، أن نظر إليه على أنه يحتمل أن يكون هو نفسه محلاً للبحث والاستقصاء، فوضع العلماء مصنفات في علم التاريخ، من ذلك مثلاً ما ذكره الصفدي (ت ٦٧٤هـ/١٣٧٢م) في مقدمة كتابه "الوافي بالوفيات"، وما كتبه محمد بن سليمان الكافيجي (٨٧٩هـ/١٤٧٤م) في كتابه "المختصر في علم التاريخ"، وقد وصلت المؤلفات التاريخية المهتمة بعلم التاريخ إلى مرحلة عالية من الدقة والإتقان والشمول، حين وضع محمد بن شمس الدين ابن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م) كتابه المعروف بـ "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ"، الذي يعدُّ عرضاً شاملاً ورائعاً لعلم التاريخ الإسلامي[1].

يتبين من هذا العرض الموجز لتطور التدوين التاريخي عند العرب، مدى الإنجاز الذي حققوه في هذا المجال، ويلاحظ الفرق الشاسع بين الرواية الشفهية القديمة، وفلسفة التاريخ التي جاء بها ابن خلدون، وتاريخ التاريخ عند السخاوي، وهكذا نما هذا العلم وتفرع، وبلغ مرحلة عظيمة من التطور، أما من حيث الطريقة العلمية التي سار عليها المؤرخون العرب، فقد ابتدأت عندهم، كما رأينا، باعتبار التاريخ فرعاً من علم الحديث، فتأثروا بطريقة المحدثين في جمع الروايات ونقدها، واهتموا بالإسناد إلى المصدر الأصلي، أي شاهد العيان العدل الذي رأى الحادثة، أو له علم مباشر بها أو أخذها من بعض مواردها، مثل كتاب قديم ضاع، أو من أهل البادية. وكان النقد عندهم، أي الجرح والتعديل ذاتياً، أي منصباً على الرواة، لا موضوعياً غير منصب على المرويات. وقد ضمنت لهم هذه الطريقة إلى حد بعيد صحة الأخبار المتصلة بالسيرة النبوية، وأحداث الدول العربية الإسلامية.

---

[1] روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين...، ص ٣٧٢.

وكان أساس ضبط الأخبار عندهم، توقيتها الدقيق بالأيام والشهور والسنين. وقد انفردوا بهذا الضبط عن مؤرخي اليونان والرومان وأوروبا في العصور الوسطى، التي لم يظهر فيها هذا النظام للتوقيت قبل عام ١٥٩٥م[١].

وقد تم عرض الروايات التاريخية التي جمعت ونقدت وضبطت، كما أشرنا أعلاه، بحسب موضوعاتها، كرسائل أو كتب تشبه أبواب الحديث، وذلك بالنسبة إلى أصحاب السيرة والمغازي والإخباريين الاوائل، أما بالنسبة إلى المؤرخين، فقد سلكوا في عرض الحوادث طرقاً مختلفة منها، وهي الأقدم، ما يعتمد على ترتيب السنين أو الحوليات، والطريقة الثانية، هي سوق الحوادث مساق القصة المنسقة المرتبة على العصور، وقد جرى عليها اليعقوبي والدينوري، والمسعودي، وابن خلدون وغيرهم[٢].

وقد آثر بعض المؤرخين الكتابة بهذه الطريقة بحسب الأسر الحاكمة أو الدول، مثل الصيرفي في كتابه "الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية"، وابن واصل في كتابه "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب"، وأبو الوليد إسماعيل بن الأحمر في كتابه "روضة النسرين في دولة بني مرين"، كما كتب بعضهم تاريخ الخلفاء والملوك، مثل الصولي، في "أخبار الراضي والمتقي بالله"، وابن شداد في "سيرة صلاح الدين"، والسيوطي في "تاريخ الخلفاء".

ولا بد في ختام الحديث عن إسهام العرب في التدوين التاريخي من الإشارة إلى بعض المميزات التي تميزت بها الحركة التاريخية في الحضارة العربية الإسلامية، ويأتي على رأس هذه المميزات، أنها كانت مستقلة، أي إنها لم تكن متأثرة بالحضارة القديمة السابقة والمعاصرة، فلم يتأثروا بالإغريق، أو الرومان، أو

---

(١) العبادي، علم التاريخ...، ص ٤٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٤-٤٥.

الفرس وغيرهم من الشعوب الأخرى، بل اعتمدوا في أساليب تدوين التاريخ على إبداعاتهم واجتهاداتهم ومدى ملاءمة هذه الأساليب لظروف وتطور الحياة الفكرية والثقافية لديهم على مر العصور. فالحركة التاريخية على هذا الأساس، كانت حركة عربية أصيلة، ولا يمكن أن يعتد ببعض الاستثناءات التي تتمثل بدخول الروايات والأساطير عن طريق بعض اليهود والمسيحيين ولاسيما "الإسرائيليات" التي دسّها بعض أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام لاحقاً، من أمثال كعب الأحبار، ووهب بن منبه وغيرهما[1].

ويتميز المؤرخون العرب بالضبط في تسجيل الحوادث وصحة الأخبار التي أوردوها، ولاسيما الأحداث الإسلامية، وقد جاءتهم هذه الصحة من الطريقة التي عالجوا فيها الأخبار، واعتمادهم على مبدأ النقد، وعدم أخذهم إلا عن العدول الثقات، متبعين في ذلك علماء الحديث في تقديم لسلسلة الرواة، وتطبيق مبدأ الجرح والتعديل عليهم، كما كان هناك عناية بالموضوعات التاريخية نفسها، كما فعل المسعودي، واليعقوبي وغيرهما، وقد أتت صحة الأخبار لديهم من ابتكارهم للتوقيت الكامل، من حيث ذكر الأيام والشهور والسنين، الأمر الذي يدعو إلى التدقيق في الأخبار وصحتها[2].

وهناك من يعيب على المؤرخين العرب "ضعف ملكة النقد عندهم بوجه عام"[3]، ولعل هذا النقص قد جاء من اهتمامهم الزائد بنقد الأسانيد دون النصوص، الأمر الذي يسر إلى حد ما الانتحال، لأن من السهل اختراع الإسناد،

---

[1] روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين...، ص ٤٥٦-٤٥٧؛ نصار، نشأة التدوين التاريخي...، ص ٥١-٥٢.

[2] روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين...، ص ٩٤.

[3] العبادي، علم التاريخ...، ص ٤٥.

لكن هذه الظاهرة يجب النظر إليها على أنها ضعيفة ونادرة، بسبب نقدهم الشديد للرجال. وقد حاول بعض المؤرخين تناول نقد المرويات أيضاً، كما فعل المسعودي في كتابه "مروج الذهب"، ومحمد بن علي بن طباطبا في كتابه "الفخري في الآداب السلطانية"، الذي كان مؤرخاً وناقداً[1].

إن بعض أوجه النقص في طريقة تدوين التاريخ العربي، لا تقلل بأي حال من الأحوال من قيمة ما قدمه المؤرخون العرب من معلومات تاريخية هائلة استفاد منها من جاء بعدهم من المهتمين بالتاريخ، وأن علم الحديث "يسجل لهم أنهم أول من ضبط الحوادث بالإسناد الكامل والتوقيت الكامل، وأنهم مدوا حدود البحث التاريخي ونوعوا التأليف فيه وأكثروه إلى درجة لم يلحق بهم فيها من تقدمهم أو عاصرهم من مؤرخي الأمم الاخرى، وأنهم أول من كتب في فلسفة التاريخ والاجتماع وتاريخ التأريخ، وأنهم حرصوا على العمل جهد طاقتهم بأول واجب المؤرخ وآخره. وهو الصدق في القول والنزاهة في الحكم"[2]. ولقد انتقل منهجهم في كتابة التاريخ، القائم على الملاحظة المباشرة، وشهود العيان، وطريقتهم في كتابة الحوليات والتراجم، وغيرها من أشكال التأليف التاريخي، إلى غيرهم من الأمم ولاسيما أوروبا في القرون الوسطى.

---

[1] باقر وحميد، طرق البحث العلمي ...، ص ٣٩.

[2] العبادي، علم التاريخ...، ص ٤٥.

ثالثاً-تطور علم التاريخ في أوروبا في العصور القديمة والوسطى:

١- تطور علم التاريخ في الحضارتين اليونانية والرومانية:

تميز المفكرون الإغريق بشغفهم في البحث والتحري والتعليل، والفلسفة التي كانت من إبداعاتهم الفكرية، كما تميزوا بالتفكير العقلي، الذي وجههم إلى التاريخ فحاولوا الإجابة عن أسئلة تتعلق بأمور يعتقد الإنسان أنه يجهلها، وتصدوا لمعالجة مشاكل هي ليست بالأصل من قبيل الإلهيات، بل هي من أعمال الإنسان ونشاطه، وحوّلوا كثيراً من الأساطير الخاصة بالكون والأشياء، التي اقتبسوها من حضارتي بلاد الرافدين ووادي النيل، إلى آراء وتعليلات فلسفية. لكن هذا لا يعني أن الأساطير كانت غريبة عن تفكير الإغريق، فإن إنتاج هوميروس لا يُعَدُّ من قبيل البحث العلمي، بل من قبيل الأساطير، حيث تتدخل الآلهة في أعمال الإنسان بصورة لا تختلف كثيراً عما نجده في أساطير حضارتي الشرق الأدنى القديمة، كذلك فإن المرء يجد أيضاً ألواناً من التفكير الخرافي في بعض أعمال هيرودوت، وبصورة مسرفة، ومع ذلك فإن المهم في التاريخ عند الإغريق أنه احتوى إضافة إلى هذه الأمور عناصر تاريخية مهمة[1].

ولعل أقدم مؤرخ إغريقي حفظ لنا التاريخ اسمه هو هيكاتيوس "Hocatacus" الذي ولد في حدود سنة ٥٤٠ ق.م في مدينة ميليتوس على ساحل الأناضول المطل على بحر إيجة. وقد كتب هيكاتيوس عن أصل اليونان وأنسابهم وهجراتهم، وانتقد طريقة الإغريق في تدوين التاريخ وعدم تمحيصهم الحقائق، واعتمادهم على الأساطير ودعا إلى تحكيم العقل والعناية بانتقاء الأخبار. ويُعَدُّ هذا الجزء من أفكاره أول تقارب مع أي كاتب كانت وظيفته النقد التاريخي. وكان ما كتبه ودعا إليه بمثابة تمهيد لما جاء به "أبو التاريخ" هيرودوت (٤٨٥-٤٢٥ق.م) الذي حوّل

---

[1] كولنجوود، فكرة التاريخ..، ص ٥٧.

الأساطير إلى تاريخ علمي وهو أمر لم يكن معروفاً في العقلية الإغريقية، فأصبح التاريخ في نظره، دراسة اجتماعية، تتميز من دراسة الأساطير لأنه كما قال في مقدمته: " إنما يدون تاريخه، كيلا يطمس الزمان أعمال الرجال وتبقى المآثر الكبرى والإنجازات الباهرة بلا تمجيد ولا إعجاب..." [1]، وقد اعتمد على القصص التي يدلي بها شهود العيان، ولكنه لم يصدق كل ما قص عليه بلا تفنيد أو تحليل، بل أخضع ذلك كله للنقد والتحليل الدقيق، وهو بهذا يعطينا صورة عن العقلية الإغريقية الأصيلة[2].

وتعود عظمة هيرودوت إلى كتابة التاريخ العام أو تاريخ الحروب بين اليونان والفرس الذي عالج فيه أخبار الحروب اليونانية الفارسية (٤٩٠-٤٨٠ق.م)، حيث بدأه بمقدمة شرح فيها ماضي الأمتين من جميع النواحي، وعلاقتهما بغيرهما من الأمم والشعوب وجغرافية البلدين وعادات وتقاليد أهلهما وأخلاقهما، ثم تناول كل مملكة مبيناً تاريخها منذ أن كانت مملكة صغيرة، حتى أصبحت إمبراطورية كبيرة، وبعد أن انتهى من هذه المقدمة عالج موضوع بحثه، الغزو الفارسي لبلاد اليونان، وكان خلال تدوينه لهذا الموضوع يشير إلى معلومات كثيرة وشيقة عن الشعوب والأمم الأخرى، مثل بلاد بابل وآشور ومصر وشمال إفريقيا، فهو بهذا يُعَدُّ أول المؤرخين الذين تناولوا عادات الشعوب، ونظمها وتقاليدها. وكانت أسفاره الكثيرة إلى الأقطار المجاورة، مثل مصر وشمال إفريقيا. وبابل، قد مكّنته من جمع تلك الأخبار والمعلومات القيمة التي دونها بأسلوب شيق. وترتيب دقيق، دون استطراد كبير أو تداخل في المعلومات، وقد حازت كتابته التاريخية إعجاب معاصريه ومن جاء بعده من كبار رجال الفكر والأدب، واهتم الناس كثيراً بكتابه، الذي ظهرت له

---

[1] هورس، قيمة التاريخ...، ص ٢٣.

[2] كولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ٦٧.

طبعات كثيرة منذ سنة ١٤٥٠م باللغتين اليونانية واللاتينية واللغات الأخرى التي تُرجم لها الكتاب[١].

وإذا ما كان أسلوب هيرودوت يتميز بالسهولة والتلقائية وقوة الاقناع، فإن أسلوب المؤرخ الذي خلفه في تدوين التاريخ في الحضارة الإغريقية وهو ثيوسيديدس " Thucydides " (٤٦٠-٣٩٩ق.م)، كان يتميز بالجفاف والتكلف[٢]. فقد كان يحتقر القصاصين، "الذين يسعون لإرضاء الأذن على حساب قول الحقيقة"[٣]؛ لأنهم كانوا يمزجون التاريخ بالأدب ويعرضون أحداثه بأسلوب أدبي، يؤثر في الحقائق التاريخية، ويفقدها روعتها وصدقها، وكانت طريقته في الكتابة الحفاظ قدر الإمكان على النصوص الأصلية كما وصلت إليه، على الرغم مما قد يبدو من تنافر في أسلوبها مع بقية الأحداث التي يعرضها. ولهذا فإن ثيوسيديدس كان أقرب من المؤرخين اليونان السابقين إلى الدقة العلمية، التي هي إحدى الصفات الأساسية للمؤرخ الحق، كما استخدم النقد في معظم ما كتبه من أخبار، فجاءت كتابته أقرب ما تكون إلى الطريقة الحديثة في التأليف التاريخي، بعكس أسلافه الذين كانوا أدباء أكثر منهم مؤرخين[٤].

وقد كتب ثيوسيديدس عن الحرب البيلوبونيزية، وهي الحرب التي وقعت بين أثينا واسبارطة (٤٣١-٤٠٤ ق.م)، وبذلك يكون موضوع تاريخه هو المعاصر، لأنه عاش في تلك الفترة، وشارك في أحداثها، وكان تاريخه لها أول نوع مما يسمى

---

[١] حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ...، ص ١٠٤-١٠٦؛ ولمزيد من المعلومات حول هيرودوت انظر: هاري المر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبد الرحمن برج، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٨٧، ج١، ص ٤٩-٥١.

[٢] كولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ٧٤.

[٣] حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ...، ص ٩٨.

[٤] المرجع نفسه، ص ٩٩.

بالتاريخ السياسي الحربي[1]، وقد اقتصر فيه على ذكر الحرب بصورة مجردة، دون أن يتناول أي عامل من العوامل الاجتماعية أو الاقتصادية، لذا فهو أضيق في النظرة التاريخية من هيرودوت، على الرغم من أنه أدق وأثبت في معلوماته التاريخية[2]، وقد أراد ثيوسيديدس من كتابه، كما يقول، أن يكون مصدراً أساسياً مفيداً لكل من يعمل في السياسة ولاسيما "لأولئك الذين يريدون معلومات دقيقة عن الماضي لتكون دليلاً لهم بالنسبة للمستقبل، لأن المستقبل يعيد الماضي أو ما يشابهه"[3]، وقد استبعد ثيوسيديدس الخرافات والأساطير، وفسّر التاريخ في ضوء أسباب منطقية أساسها العقل، كما ابتعد عن الاستطرادات التي تكثر عند هيرودوت، والتزم بنطاق بحثه التزاماً كاملاً[4].

وبرز من المؤرخين الإغريق الذين امتازوا أيضاً بعقلية تحليلية فلسفية، المؤرخ بوليبيوس "Polybius" (٢٠١-١٢٠ ق.م تقريباً)، الذي عاش حقبة من الزمن في روما، عندما أخذ أسيراً إلى إيطاليا سنة ١٦٧ ق.م وكان يحاول في كتاباته أن يتجنب ما أمكن تشويه الحقائق[5]، وله في هذا المجال أقوال عرضها نور الدين حاطوم ورفاقه[6]، حيث أشاروا إلى السطور الآتية:

"إن التاريخ يجب أن ينزه عن الأغراض التي تشوه الحقائق، وإذا ما وقف الإنسان موقف المؤرخ فعليه أن يتخلى رأساً عن جميع الاعتبارات كحب الإنسان

---

(1) باقر وحميد، طرق البحث العلمي...، ص ٢٢٦؛ أحمد مصطفى أوب ضيف، منهج البحث التاريخي بين الماضي والحاضر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ١٩٨٧، ص ٢٦.

(2) هرتشو.، علم التاريخ...، ص ١٩.

(3) حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ...، ص ١١٠.

(4) بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية...، ج١، ص ٥١.

(5) كولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ٨٢.

(6) المدخل إلى التاريخ...، ص ١٠٠.

لصديقه وكرهه لعدوه، وعليه في بعض الأحيان ألا يتورع عن مدح أعدائه وذم أصدقائه...". ولم يتوقف بوليبيوس عند هذه النزعة العلمية في كتابة التاريخ فحسب، بل أولى الأسباب والنتائج التي تحرك الإنسان اهتماماً كبيراً، لأن التاريخ من دونها لا يمكن أن يكون سوى متعة أدبية لا عبرة فيها لمستقبل الأيام، فهو يشير، كما ينقل عنه هوروس[1]، إلى كاتب التاريخ وقارئه "أن يوجّه انتباهه إلى الظروف التي سبقت الحادث أو سايرته أو لحقت به، إذ إنّ دلالتها تفوق ما يروى عن الحادث وإذا انتزعنا من التاريخ البحث عن الأساليب والأسباب والأهداف التي حركت الإنسان وأهملنا دراسة النتائج التي توخاها من عمله ونسبة ما استهدف إلى ما حصل عليه، فلن يبقى من التاريخ سوى تمارين أدبية لا عبرة فيها، ومتعة للأذان وملهاة للأذهان لا نتيجة لها لمستقبل الأيام"، ويرى بوليبيوس أيضاً، أن المؤرخ الناجح ينبغي أن يكون رجلاً من أبرز رجال الدولة والأفضل أن يكون قائداً وسياسياً كما أكد ضرورة معرفة المؤرخ للجغرافيا، والطبوغرافيا، وتحليل الأسباب بعمق[2].

أما الرومان فيمثلون الدرجة الثانية في ميدان التاريخ بعد الإغريق من حيث مستوى الإنتاج والابتكار، وما يدل على هذا، فإن التاريخ الروماني بُدئت كتابته باللغة الإغريقية على أيدي بعض المؤرخين الإغريق في القرن الثاني قبل الميلاد، وقد أشرنا قبل قليل إلى بوليبيوس الذي قضى شطراً من حياته في روما، وألف في تاريخ الرومان كتاباً بعنوان "التواريخ Histories". لقد كان محور التاريخ الأساسي عند المؤرخين الرومان هو مدينة روما، بحيث عدّ المؤرخ نفسه مؤدياً وظيفة

---

[1] قيمة التاريخ...، ص ٢٥.

[2] بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ج١، ص ٥٥-٥٦.

وطنية، وهادياً أمته إلى أمجادها، وكنوز حكمتها واقتصر معظم المؤرخين على ذكر العظماء، وأهملوا ذكر الجماهير الغارقة في همومها ومشاغلها[1].

ويُعَدُّ يوليوس قيصر "Gulius Seasar" (١٠٠-٤٤ ق.م) أول كاتب روماني شهير، كتب عن الحرب الأهلية مع بومبي، كما كتب أيضاً كتاباً في سبعة أجزاء بعنوان "ملاحظات"، ضمنه ملاحظاته عن غزواته في بلاد الغال، وألمانيا، وبريطانيا. وطبيعة كتاباته من نوع الدفاع عن الدور الذي قام به في هذه الحروب، ولكنها مع ذلك نوع من المذكرات التاريخية التي تتميز بالأسلوب الواضح، وضبط النص ونقاء اللغة[2].

وكان أول مؤرخ روماني يرتفع بالتأليف التاريخي إلى مستوى الطريقة العلمية، المؤرخ سالست "Sallust" (٨٦-٣٤ ق.م)، فقد كتب كتباً عديدة أشهرها وأهمها، "كتابة التاريخ"، الذي هو عبارة عن سجل لتاريخ روما للفترة بين سنتي (٧٨-٦٧ ق.م) وامتاز هذا المؤرخ بعدم التحيز وبمقدرته على وصف وتصوير الشخصيات. كما حاول أن يكتشف دوافع الحدث وقد تأثر بالمؤرخ الإغريقي ثيوسيديدس، فهو يُعَدُّ من أتباعه من حيث الأسلوب والنزعة التاريخية، وتمتاز كتاباته أيضاً بالإيجاز والقوة والحكم والأمثال، كما كان حريصاً أشد الحرص من ناحية الضبط والتدقيق[3].

وبالنظر إلى اعتقاد الرومان بأن تاريخهم وحده هو الخليق بأن يدون، وذلك انطلاقاً من ثقتهم بسموهم على الشعوب الأخرى جميعاً، فقد نال تاريخ روما

---

[1] هورس، قيمة التاريخ...، ص ٢٨-٢٩.

[2] أ. بتري، مدخل إلى تاريخ الرومان وآدبهم وآثارهم، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٧٧، ص ١٠٧؛ هرتشو.، علم التاريخ...، ص ٢١.

[3] حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ...، ص ١٠١-١٢٧؛ بتري، مدخل إلى تاريخ الرومان...، ص ١٠٧؛ بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ج١، ص٦٠.

اهتماماً كبيراً من قبل مؤرخيهم، ولا سيما تيتوس ليفوس أو ليفي "Livey" (٥٩ ق.م-١٧م)، الذي كتب تاريخاً ضخماً لهذه المدينة يتألف من ١٤٢ جزءاً لم يصل إلينا منه سوى ٣٥ جزءاً، أما الأجزاء الباقية فمفقودة أو ناقصة. وكان هدف ليفي من كتابة هذا التاريخ تسجيل الأعمال التي قام بها الشعب الروماني، ووضع حقائق التاريخ أمام القارئ ليقلد ما هو جيد منها، ويتجنب ما هو سيء. وهكذا يبدو أن هدف ليفي من تدوين التاريخ أخلاقي، بالدرجة الأولى، أكثر منه سياسي وهو بهذا يختلف عن بوليبيوس الذي كان يعتقد أن معرفة التاريخ هي أصدق ثقافة وأحسنها لمن يريد العمل في السياسة، وقد امتاز ليفي بين المؤرخين القدماء بنزاهته وحياده التام، وابتعاده عن تزوير الحقائق وتشويهها لهدف أو لغرض شخصي، غير أنه لا يمكن أن يقال عنه إنه التزم بالأساليب الحديثة في التاريخ، فهو كما يرى آ.بتري "A. Petrie"[1]: "يتخذ موقفاً سهلاً من المصادر التي يعتمد عليها كما لا يحمل نفسه مشقة الحصول على المعرفة من مصادرها الأصلية، كالآثار والوثائق الأصلية التي كانت ولا شك في متناول يد المؤرخ. إن عظمة ليفي تعتمد على نثره الفني، فهو أبلغ المؤرخين، كما يتميز بحماسة وطنية قوية...".

كذلك امتازت كتابات تاسيتوس "Tasitus" (٥٥-١٢٠م) آخر مشاهير المؤرخين الرومان بالصفة الأخلاقية، محاولة ضرب الأمثلة الواضحة عن الرذيلة والفضيلة السياسية، وكان يستلهم إنتاجه من الشعور الملتهب بالكراهية ضد ما كان يعده ظلم الإمبراطورية الرومانية. وقد حدا هذا الاتجاه بتاسيتوس إلى تشويه التاريخ، بحيث ظهر وكأنه صراع بين شخصيات بولغ في تصوير الخير منها،

---

[1] حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ...، ص ١٢٧-١٣٢؛ بتري، مدخل إلى تاريخ الرومان...، ص ١١٣؛ بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ج١، ص٦٠-٦١؛ كولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ٨٥-٨٧.

كما بولغ في تصوير الشرير. ولهذا، فإن الإنتاج الضخم الذي خلفه هذا المؤرخ يتميز بضعف منهج البحث التاريخي فيه، على الرغم مما يحويه من أحداث وأخبار ذات أهمية تاريخية، ولاسيما مؤلفاته المعروفة باسم الحوليات التي تضمنت أحداث الإمبراطورية الرومانية عاماً بعام، منذ (سنة ١٤-٦٨م) تقريباً[١].

وعلى وجه الإجمال، كان مؤرخو الرومان مقلدين بالنسبة للإغريق وهم أضعف منهم في ميدان الأصالة التاريخية ولا يمثلون إضافة حقيقية للفكر التاريخي، ولم يستطع المؤرخون الذين أعقبوا ليفي وتاسيتوس، أن يصلوا بإنتاجهم إلى مستوى يتكافأ مع هذين المؤرخين، فقنعوا بمجرد جمع البيانات التي عثروا عليها في الكتب القديمة "جمعاً لا يعرف روح التحليل والنقد، بل يكتفي بترتيبها ترتيباً لم يكن يستهدف غرضاً من الأغراض، اللهم إلا شيئاً من التهذيب أو لوناً من ألوان الدعاية"[٢]. ومع هذا، فإن مستوى التدوين التاريخي في عهد الرومان، كان أرفع من نظيره في العصور الوسطى الأوربية التي استغرقت أكثر من ألف عام.

٢-تطور علم التاريخ في أوروبا العصور الوسطى:

يتفق أغلب المؤرخين على أن سنة ٤٧٦م، التي تمثل انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية على يد القبائل الجرمانية، هي بداية العصور الوسطى الأوروبية التي تميزت بانحطاط سياسي وحضاري دام نحو ألف عام، لقد شهدت هذه العصور انتشار المسيحية وتوسعها في أوروبا بعد القضاء على الوثنية الرومانية في حدود القرن الرابع للميلاد. وقد تحوّل تدوين التاريخ في هذه الفترة إلى أيدي القساوسة والرهبان، وأصبح بذلك خاضعاً للاهوت، وفقد صفة علمية محتملة كان

---

[١] بتري، مدخل إلى تاريخ الرومان...، ص ١١٥؛ باونز، تاريخ الكتابة التاريخية، ج١، ص٦١

[٢] كولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ٩١.

يتمتع بها في عصور الإغريق والرومان. فغدا مشحوناً بأخبار الخوارق والكرامات لا يعنى إلا بما له علاقة بالدين، وجملة القول كما يرى هرنشو: "أن تحول التاريخ إلى رجال الدين كان معناه محو التاريخ الصحيح من الوجود محواً دام ألف عام"[1].

وكانت طريقة تدوين التاريخ في العصور الوسطى تجري بحسب السنين، أي الحوليات، التي تدون فيها حوادث كل سنة[2]، لكنها كانت تركز على أمور غير جادة أحياناً، مثل الاقتصار على المعجزات، وخوارق العادات، من قبيل الزلازل، وتداول المخلفات المقدسة، لكنها ابتدأت بالارتقاء التدريجي، ولاسيما في أواخر العصور الوسطى، بحيث أصبحت، إلى حد ما، سجلات قيمة لأحداث التاريخ، كذلك اتبع مؤرخو العصور الوسطى نوعاً من التدوين الذي يتبع التواريخ المتسلسلة في عدد السنين، أي هو من قبيل التقويم للحوادث وكان الغرض منها هو تلخيص تاريخ البشرية منذ الخليقة إلى وقت تدوينها[3].

وقد برز من المؤرخين المسيحيين الذين ساروا على هذا النهج من التأليف المؤرخ يوسيبيوس "Eusebius" المتوفى في حدود سنة ٣٤٠ م[4]، والقديس جيروم "Jerom" المتوفى في حدود سنة ٤٠٠ م، الذي يعد مؤسس الكنيسة اللاتينية، وأفريكانوس "Africanus" الذي كتب تاريخاً للعالم منذ الخليقة حتى وفاته عام ٢٢١م، وبولوس هروشيش "Paulus Orosius" الذي عاش في القرن الخامس الميلادي، وكتب مجموعة من الأساطير القائمة على التحيز والهوى، أسماها الكتب

---

(١) علم التاريخ...، صـ٢٥.

(٢) بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية...، ج١، ص ٩٥.

(٣) هرنشو، علم التاريخ...، ص ٢٩؛ حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ ...، ص٣٦١-٣٦٤.

(٤) كولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ١١٠.

السبعة المؤلفة في الرد على الوثنيين[1]، وكانت مراكز المراجع التاريخية طوال العصور الوسطى مقتصرة على بعض الاديرة والكنائس، كما أولى بعض المؤرخين اهتماماً بحفظ أخبار القديسين المسيحيين الشهداء وتكريمهم، وبيان ما امتحنوا به من مصاعب في سبيل إيمانهم، وهكذا حلّت سيرة القديسين محل سير العظماء وتراجمهم[2].

كانت مؤلفات هؤلاء المؤرخين بعيدة كل البعد عن الحس النقدي الذي يُعدُّ صفة من صفات المؤرخ الحديث، كذلك امتازت بعدم الحياد وأبعد عن الموضوعية والتحزب والانحياز بحسب هوى المؤرخ وتعلقه بما يكتب عنه. وهكذا أخفقت الحركة التاريخية في العصور الوسطى في تحري الحقائق، لكنها مع هذا شهدت نوعاً من الفلسفة التاريخية التي تقوم على إيجاد نظرة شاملة، أو تعليل عام لمجرى التاريخ وتوجيه الاهتمام إلى أن العنصر الأساسي في التاريخ يتمثل في الصراع بين عوامل الخير المتمثلة بالدين، وعوامل الشر التي هي كل ما عدا ذلك، ويمثل هذا الاتجاه القديس أوغسطين "St. Augustin" المتوفى سنة ٤٣٠ م، في كتابه "مدينة الله"، حيث حاول أن يبرهن، أن المهم هو مدينة الله السماوية التي هي هدف جميع المؤمنين[3]، ويُعدُّ هذا الكتاب ثمرة مجهود جليل قام به خيال هذا القديس، لكن محاولته الفلسفية هذه لم تكن موفقة إلى حد كبير، كما يرى أحد المؤرخين الغربيين المحدثين[4]، لأن الكتاب "لا يحوي فلسفة ولا تاريخاً ولكن مجرد لاهوت وقصص".

---

[1] هرنشو، علم التاريخ...، ص ٢٦؛ حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ ...، ص ٣٦٩.

[2] هورس، قيمة التاريخ...، ص ٣٣.

[3] حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ...، ص ٣٦٨-٣٦٩.

[4] هرنشو، علم التاريخ...، ص ٢٧-٢٨.

وقد تطورت التواريخ التي كتبت في أواخر العصور الوسطى وأصبح بالإمكان تسميتها تاريخاً[1]. وقد ظهرت نماذج جيدة منها، مثل تاريخ نانت، في فرنسا، والتاريخ الإنكلوسكسوني في ألمانيا، والتاريخ الأكبر لماثيو باريس في إنكلترا، ثم أخذ الكتّاب في القرنين الرابع عشر والخامس عشر يعدلون عن الشكل الحولي ويقللون من ذكر المعجزات والكرامات، ويتوخون أسلوب القصة المنسقة، ويرى هرنشو[2]، أن التقدم الملحوظ في تاريخ العهد الأخير من العصور الوسطى، ربما كان ناشئاً إلى حد بعيد عن تأثير الحضارة العربية والإسلامية، التي انتقلت إلى العالم الغربي نتيجة الحروب الصليبية، ومن صقلية وجنوبي إيطاليا والأندلس، فكان ذلك إضافة إلى عوامل أخرى داخلية، من أهم الحوافز القوية التي ساعدت على انتهاء العصور الوسطى الأوروبية وانبثاق فجر العصور الحديثة.

٣- تطور التاريخ في عصر النهضة الأوروبية:

الواقع أنه لا يوجد انقطاع بين العصور الحديثة والعصور الوسطى، وأن هذا التقسيم ما هو إلا نوع من أنواع الاصطناع لتسهيل دراسة التاريخ الأوروبي، فالتاريخ هو سلسلة متصلة من الحلقات التي يتمم بعضها بعضاً، وأن النهضة التي تمّت في حدود القرن الخامس عشر للميلاد ليست في منطلقها سوى عود على القديم، والتفاتة إلى الماضي، حيث ظهر ما يعرف بعصر الانبعاث أو النهضة "Renaissance" وقد توجه انتباه المفكرين في هذا العصر إلى الماضي القديم، أي أدب الإغريق والرومان، وأهملوا إهمالاً يكاد يكون تاماً تلك الحقبة التي عرفت بالعصور الوسطى، فصبغ التاريخ بالصبغة الزمنية، نتيجة لتقدم النظم الدولية،

---

[1] بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية...، ج١، ص ٩٧-١٠١.

[2] علم التاريخ، ص ٣١-٣٣.

وتعقد العلاقات بين البلدين، واحتياج كل بلد إلى كتابة تاريخه، وقد بدأت هذه النهضة في دويلات المدن الإيطالية، التي عُدت مهد المدينة الجديدة، نتيجة للازدهار الاقتصادي الكبير الذي حققته هذه المدن، ومنها انتشر الأسلوب الجديد في تدوين التاريخ إلى بقية أنحاء أوروبا، فتولى الرجال العلمانيون كتابة التاريخ بدل رجال الدين، وعدلوا عن الصيغ السابقة التي تهتم بالخرافات والخوارق والمعجزات، واجتاحت العقلانية الحقل التاريخي، وتحسنت الأساليب الكتابية، نتيجة للرجوع إلى الآداب القديمة، وازدياد اهتمام المفكرين بشؤون الإنسان، الأمر الذي أدى إلى تسمية الحركة الفكرية التي سادت عصر النهضة باسم الحركة الإنسانية "Humanism"[1].

وكانت من أهم ميزات هذه الحركة محاولة تنقيح المادة التاريخية التي كُتبت في العصور الوسطى من كل ما علق بها من وهن وخرافات، ومحاولة التفتيش عن النصوص القديمة وتمحيصها، ونمو روح النقد وطلب المعرفة والبحث الحر، وتحكيم العقل في مسائل التاريخ. ولكن من جهة أخرى، ظهرت في كتابات الإنسانيين نزعة وطنية، ولاسيما بالنسبة إلى المدن والبلاد التي كان ينتسب إليها كل واحد منهم، ما أدى إلى زيادة الاهتمام بتحري الحقائق والبحث عن السجلات. وقد اعتمدت بعض الأسر الحاكمة في أوروبا بعض المؤرخين الذين عُينوا لغرض القيام بوظيفة تدوين التاريخ ووضع المؤلفات التي تخدم أهدافها وتوضح نظمها الدستورية والقضائية وتشيد بعظمائها[2].

---

[1] هرنشو، علم التاريخ، ص ٤٧-٤٨؛ هورس، قيمة التاريخ...، ص ٣٦-٣٨؛ كولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ١١٩ وما بعدها؛ حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ...، ص ٤٣٧ وما بعدها.

[2] هورس، قيمة التاريخ...، ص ٤٩.

ومن أشهر المؤرخين الذين برزوا في عصر النهضة هو لورنزو فالا "Lorenzo Valla" (ت ١٤٥٧م)، الذي تميز بملكة النقد، ولاسيما بالنسبة إلى نظم الكنيسة والعقيدة المسيحية، وأسس السلطة الزمنية للباباوات[١]. وكذلك برز ليوناردو برونيLeonardo Bruni" (ن ١٤٤٤م) الذي كتب في تاريخ فلورنسا وكانت كتاباته تتميز بإظهار الخصائص البارزة للعصر، من التأكيد على الصفة الزمنية، والاهتمام بتحليل الأحداث السياسية، والرجوع إلى القديم، والتعقل للأشياء، والعناية بالإنسان[٢]. ولقد أنجبت مدينة فلورنسا مؤرخاً قديراً آخر، وهو نيكولو ميكافيلي "Niccolo Machiavelli" (ت ١٥٢٧م) مؤلف كتاب "الأمير" الشهير الذي قدم فيه خلاصة فلسفته السياسية التي ضمنها في هذا الكتاب، الذي يذكر فيه أنه لم يزوقه بالجمل الطويلة، ولا بالزخارف اللفظية الطنانة، ولا بالحلي الجذابة التي يلجأ إليها الكثير من الكتّاب لتنميق مؤلفاتهم، هي أن الغاية تبرر الواسطة. وقد تأثر بفلسفته كثير من ساسة أوروبا بوجه عام[٣].

وكان من أهم نتائج النهضة الأوروبية قيام حركة الإصلاح الديني في أوائل القرن السادس عشر التي تزعمها المصلح مارتن لوثر"Martin Luther" (ت ١٥٤٦م) الذي تحدى البابوية، وترجم الإنجيل إلى اللغة الألمانية، وظهر نتيجة لحركته المذهب البروتستانتي. وقد تأثر تدوين التاريخ بهذه الحركة لما صاحبها من حروب ومجادلات بين الفرق المتخاصمة، التي احتاجت إلى حجج تاريخية لإثبات وجهات نظرها، فزاد الاهتمام بالبحث التاريخي، لكنه لم يكن بحثاً نزيهاً لأنه استخدم لغرض الدعاية المذهبية، لا للتوصل إلى الحقيقة التاريخية العلمية، ولكن

---

[١] حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ...، ص٤٣٩.

[٢] هرنشو، علم التاريخ...، ص ٤٩.

[٣] بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية...، ج١، ص ١٧٥.

على الرغم من ذلك، فإن هذه الحركة أظهرت تهالكاً كبيراً على نبش أكداس التاريخ الكنسي، وأصبحت المادة التاريخية متوافرة بأيدي الباحثين، فجاءت الحقيقة التاريخية نتيجة غير مباشرة لتصادم الدعايتين المتنافستين، أي الكاثوليكية، والبروتستانتية، وأصبحت الوثائق والمعلومات التي استخرجت في أثناء الصراع مادة أولية مهمة جداً استخدمت فيما بعد لدراسة التاريخ الكنسي الحديث القائم على التعقل والفهم[1].

وظهرت في القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد، بواعث أخرى عدا اللاهوت شجعت على دراسة التاريخ في أوروبا، منها حركة الاستكشافات الجغرافية، والنهضة الاقتصادية التي أعقبت اكتشاف العالم الجديد، واتصال موانئ أوروبا الغربية بالتبادل التجاري مع البلاد البعيدة ونشوء الاستعمار والرأسمالية، ونمو الطبقة الوسطى، وانحسار الإقطاع. فنشأ عن ذلك كله مؤلفات تاريخية تصف هذه الأحداث الكبرى والظروف التي أدت إليها، والنتائج التي ترتبت عليها[2]. كذلك أثر في الحركة التاريخية ما دار في أوروبا من تيارات سياسية تركزت على النزاع الدستوري ما بين (١٥٥٠-١٦٥٠م) وظهور شخصيات من كبار المفكرين أثرت في النهضة الجديدة وفي أساليب تدوين التاريخ، ومن هؤلاء فرانسيس بيكون"Francis Bacon" (ت ١٦٢٦م) الذي وضع الأسس لمنهج البحث العلمي[3]، كذلك رينيه ديكارت "Rene Descartes" (ت ١٦٥٠م) الذي

---

(١) هرنشو، علم التاريخ...، ص ٥٤-٥٧؛ حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ...، ص ٤٤٠-٤٤٣؛ بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية...، ج١، ص ١٧٥.

(٢) حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ...، ص ٤٤٣؛ بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية...، ج١، ص ١٩٦-١٩٧.

(٣) كولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ١٣٠.

استندت فلسفته في كتابة التاريخ إلى الشك العلمي والتسليم المطلق بمبادئ النقد والتحليل[١].

وتميز التدوين التاريخي في القرن الثامن عشر للميلاد، باعتماده الشديد على العقل والمنطق، وانتقاده لكل ما يخالف ذلك مما ساد العصور الوسطى، فاعتبر مؤرخو هذه الفترة أن العقل هو الأساس المهم في تطور الحوادث البشرية، وأن جوهر الإنسان هو العقل، وقد سُمي العصر كله باسم عصر الاستنارة أو التعقل "Age of Enlighlement"[٢]، وظهر في هذا العصر فلاسفة ومفكرون كبار في كل من إنكلترا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا، منهم جيوفاني باتتست فيكو "G.B. Vico" (ت ١٧٤٤م) الذي ألف كتاب "العلم الجديد"، وعُدَّ التاريخ فيه "فرعاً من علم واسع شامل لشؤون المجتمع الإنساني، وأن منهجه يقوم على أصول منطقية دقيقة"[٣]، وقد وضع عدة قواعد لتحذير المؤرخين من الوقوع في الأوهام والأخطاء، وأخرى للمساعدة في التوصل إلى الحقائق التاريخية بشكل أفضل[٤].

واشتهر من مفكري هذا العصر أيضاً جماعة من فرنسا أطلق عليهم اسم الموسوعيين منهم مونتسكيو "Montesquieu" (ت ١٧٥٥م) الذي اشتهر بكتابه "روح القوانين"، وفولتير "Voltaire" (ت ١٧٧٨م) الذي كتب عن عصر لويس الرابع عشر، وألف "مقالة عن الآداب"، تعد أول محاولة صادقة لوضع تاريخ عام للثقافة، وقد اعترف فيها صراحة بفضل الثقافة العربية على الحضارة الغربية،

---

[١] كولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ١٢٧؛ باقر وحميد، طرق البحث العلمي ...، ص ٤٤.

[٢] كولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ١٤٨ وما بعدها؛ أبو ضيف أحمد، منهج البحث التاريخي...، ص ١٠٣ وما بعدها.

[٣] هرنشو، علم التاريخ...، ص ٦٢.

[٤] كولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ١٣٧-١٤١؛ هاشم يحيى الملاح وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ، دار الكتب للطباعة، الموصل ١٩٨٨م، ص ١٩٢-١٩٦.

وجان جاك روسو "J.J. Rousseau" (ت ١٧٧٨م) الذي ألف كتاب "العقد الاجتماعي"، الذي أكد فيه أن الحاكم سواء أكان اميراً أم حكومة، يحكم بتفويض من الشعب، وأنه ليس بمقدور الحكام أن يعطوا شيئاً غير الذي تهيأت هذه الشعوب لقبوله، وكانت كتاباته من قبيل رد الفعل على ما شاع في أيامه من حركة التعقل المتزمتة، ولهذا فهو يعد من أوائل المفكرين الرومانتيكيين[١]، وكان لكتابات هؤلاء الموسوعيين جميعاً أثر كبير في قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩[٢]، وبرز من مؤرخي هذا العصر أيضاً المؤرخ الإنكليزي إدوارد جيبون " Edward Gibbon" (ت ١٧٨٤م)، الذي ألف كتاباً في "اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية". وكان هؤلاء الفلاسفة والمؤرخون جميعاً يحاولون اتباع المنهج النقدي في التاريخ، لكنهم، كما يرى هرنشو[٣]: "إن كانوا قد حاموا حول تمحيص المصادر الأصلية ونقدها، كانوا أميل إلى الشروع في الكتابة قبل تمام التمكن من المصادر"، وقد شملت بحوثهم ومؤلفاتهم مجالات أخرى اوسع من دائرة الدين والسياسة المحدودة.

وقد ظن هؤلاء المفكرون أن قيام الثورة الفرنسية هو برهان ساطع على انتصار العقل، وتحقيق ما كانوا يدعون إليه من أفكار، لكن الأحداث المتطرفة التي أعقبت هذه الثورة، والمآسي التي جاءت بها حروب نابليون، بددت الآمال، ووجد الناس أن العقل الذي كانوا يؤمنون به لم يحقق لهم ما كانوا يأملون به من أمن وسلام ورخاء، فحدث رد فعل على مبادئ الثورة وفلسفتها، وغلب على كتابة التاريخ في

---

[١] تولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ١٦٥؛ نازلي إسماعيل حسين، الشعب والتأريخ، هيجل، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦، ص ٩٩.

[٢] هرنشو، علم التاريخ...، ص ٦٥؛ حسين، الشعب والتاريخ...، ص ٨٥-١٠٠.

[٣] هرنشو، علم التاريخ...، ص ٦٥.

أوائل القرن التاسع عشر للميلاد، الحركة الرومانتيكية، التي ظهرت بذورها أولاً في كتابات روسو، ووجهت الانتباه إلى أهمية العاطفة والخيال، والقوى المعنوية الأخرى في دراسة شؤون البشر، وفي مقدمتها التاريخ، وهي بطبيعة الحال، عكس الإيمان المطلق بسيطرة العقل وأهميته بحسب ما شاع في عصر التنوير[1].

وكان من تأثير الحركة الرومانتيكية، أنها جعلت نفراً من المؤرخين يوجهون الانتباه والعناية إلى العصور الوسطى، باعتبارها بحسب ما يقولون عصور الإيمان والطمأنينة النفسية، كما ازداد الاهتمام بجمع المراجع التاريخية، ولاسيما ما تعلق منها بالتاريخ القومي، وإرجاع جذور ذلك التاريخ إلى العصور الوسطى، كذلك أنتجت مؤلفات كثيرة تستند إلى بحوث تفصيلية ودراسات عميقة، وظهرت عدة فلسفات للتاريخ، مثال ذلك فلسفة هيجل الألماني "Hegel" ت(١٨٣١م) المثالية، التي تؤكد أن التطور البشري يجري بصورة حتمية، ويؤدي إلى الانتقال تدريجياً من عصور الاستبداد إلى دور الحرية[2]. كما ظهرت نظريات فلسفية أخرى تتعلق بتفسير التاريخ مثل نظرية عظماء الرجال لكارلايل "T. Caryle" (ت ١٨٨١م)، والنظرية الاقتصادية لكارل ماركس "K. Marx" (ت ١٨٨٣م) وغيرها من النظريات التي جمعت بين الاقتصاد وكتابة التاريخ وتفسيره[3]. ومن الكتاب الفرنسيين الذين اتصفوا بالنزعة الرومانتيكية والقومية ميشيليه "Michelet" (ت ١٨٧٤م) الذي كتب عن تاريخ فرنسا، فبالغ في الدور الذي قامت به هذه البلاد في التاريخ، فأغرق في العاطفة الشديدة التي دوّن بها كتابه.

---

(١) كولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ١٦٥-١٦٩؛ الدوري وآخرون، تفسير التاريخ...، ص ٤.

(٢) كولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ٢١٠؛ حسين، الشعب والتأريخ...، ص ١٨١ وما بعدها.

(٣) كولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ٢٤٢ وما بعدها؛ الدوري وآخرون، تفسير التاريخ...، ص ٣٤-٤٨؛ الحفو، نظريات تفسير التاريخ، ضمن كتاب دراسات في فلسفة التاريخ، تأليف الملاح وآخرون، ص ٦٥-١٦٩.

وإلى جوانب العوامل التي أشرنا إليها، امتازت حركة التدوين التاريخي في القرن التاسع عشر أيضاً بظهور النزعة العلمية في التدوين، بزعامة الألماني ليوبولد فون رانكه "L. V. Ranke" (ت ١٨٨٦م) الذي تميز بالموضوعية المطلقة والتجرد التام، وعدم التحيز والكشف عن الحقائق التاريخية وكتابتها بالصورة التي حدثت بها هذه الحقائق فعلاً. وكان المثل الأعلى للمؤرخ عنده، وعند أتباعه الذين ساروا على نهجه ضمن هذه المدرسة العلمية، أن يكون شبيهاً بالمرآة الصافية المجردة التي تنعكس عليها صورة الحوادث دون أن يكون له أي تأثير فيها[1].

وقد تطورت مناهج البحث التاريخ في أواخر القرن التاسع عشر، فكتب الباحث الألماني أرنست بيرنهايم "Ernst Bernheimm" مؤلفاً بعنوان: "كتاب في الطريقة التاريخية"، صدرت طبعته الأولى عام ١٨٨٩م، كذلك أصدر الباحثان الفرنسيان لانجلوا "Langlois" (ت ١٩٢٩م) وسينوبوس "Seignobos" (ت ١٩٤٢م) كتابهما "المدخل إلى الدراسات التاريخية" عام ١٨٩٨م[2]، الذي ترجم إلى اللغة العربية بقلم عبد الرحمن بدوي سنة ١٩٦٣م[3]، وهو يعد خير كتاب في النقد التاريخي، واعتمدت عليه معظم الأبحاث التاريخية التي اهتمت بمجال كتابة التاريخ وتدوينه.

---

(١) هرنشو، علم التاريخ...، ص ٨١-٨٢؛ إيمري نف، المؤرخون وروح الشعر، ترجمة توفيق اسكندر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ١٩٦١، ص ٢٤٠؛ كولنجوود، فكرة التاريخ...، ص ٢٣٦؛ بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية...، ج٢، ص ٥٦ وما بعدها.

(٢) زريق، نحن والتاريخ...، ص ٩٨.

(٣) هرنشو، علم التاريخ...، ص ١١.

وقد سارت مبادئ البحث التاريخي في القرن العشرين[1]، من حيث الأساس على تلك التي نشأت في أواخر القرن التاسع عشر، لكن الاهتمام تركز على الإفادة من جميع نظريات التفسير التاريخي، فظهر ما يعرف بنظرية الجمع والاختيار، التي تأخذ العوامل المؤثرة جميعاً بنظر الاعتبار، دون تركيز على عامل واحد فقط. كما ظهرت في هذا القرن أيضاً المؤلفات التعاونية في كتابة التاريخ، مثل سلسلة كامبردج في تاريخ العصور الوسطى، وفي التاريخ الحديث، وظهرت أيضاً بحوث ضخمة في فلسفة التاريخ والحضارة، ومنها ما كتبه المؤرخ الألماني شبلنغر "Spengler" (ت ١٩٢٣م) عن "تدهور الحضارة الغربية وسقوطها"، ودراسات المؤرخ الإنكليزي المشهور أرنولد توينبي "Arnold Toynbee" (ت ١٩٧٥م) الموسومة بدراسات في التاريخ وغيرها من البحوث القيمة الأخرى.

كذلك ظهر الاهتمام بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية إلى جانب الأمور السياسية وغيرها، واستفادت الدراسات التاريخية في هذا الصدد من العلوم الأخرى، مثل علم الاجتماع وعلم الأجناس البشرية، والجغرافية والاقتصادية، وغيرها. وركزت الدراسات الحديثة أيضاً على الاختصاص، والاقتصار على مواضيع فرعية من التاريخ، لزيادة الاطلاع والتعمق في التاريخ المعاصر أيضاً بموضوع الدراسات العليا، ومنح الشهادات في هذا المجال بالنسبة إلى البحوث التاريخية الأصيلة، وأصبح لمنهج البحث التاريخي الحديث قواعد وأسس رصينة يتم بموجبها البحث.

---

[1] بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية...، ج٢، ص ٢٢٩ وما بعدها؛ حاطوم وآخرون، المدخل إلى التاريخ...، ص ٤٦١؛ أبو ضيف أحمد، منهج البحث التاريخي...، ص ١٢٤-١٣٢.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الثالث

العلوم المساعدة لعلم التاريخ

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

مقدمة:

على الرغم من أهمية المؤهلات الشخصية، والصفات التي يجب أن يتحلى بها المؤرخ، فإن المقبل على دراسة التاريخ وكتابته يجب أن ينال إعداداً ثقافياً جيداً، ليستطيع أن يقوم بمهمته على خير وجه، ومهمة المؤرخ في هذا الأمر تشبه معظم المهن الأخرى، حيث يستحيل ممارستها دون أن تكون لدى المرء المستلزمات الأساسية التي لا غنى عنها للتوصل إلى النجاح في العمل، والتاريخ شأنه شأن العلوم والمعارف الأخرى لا يمكن أن يُدرس مستقلاً بذاته عن سائر العلوم أو المعارف، فمثلاً لا يمكن لدارس علم التفسير أن يفهم القرآن الكريم ويتبين معانيه، ويستخرج حكمه وأحكامه دون أن يكون ملماً بعلوم اللغة العربية، وعلم القراءات، وأسباب النزول وأحكام الناسخ والمنسوخ وأصول الفقه والحديث النبوي الشريف وغيرها[1].

وكذلك فإن دارس التاريخ يحتاج إلى أنواع مختلفة من العلوم الإنسانية، وذلك لأن التاريخ يتناول جميع النشاط الإنساني، وقد تطرق بعض علماء القرن التاسع عشر الميلادي، الفرنسيين من أمثال دونو"Daunou" ومابلي"Mably" إلى هذا الموضوع فطالبوا المؤرخ بدراسة مجموعة كبيرة من العلوم والمعارف، والعلوم الأخلاقية والسياسية والأدبية والتاريخية[2]، كما أن بعضهم الآخر غالى في التطرف، فقرروا أن المؤرخ يجب أن يعرف كل شيء تقريباً، ولاسيما الفلسفة والقانون والمالية والأجناس والجغرافيا، وعلم الإنسان والعلوم الطبيعية... إلخ[3].

---

(1) أسد رستم، مصطلح التاريخ، ط٣، منشورات المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، د.ت، ص ٤٦؛ عثمان، منهج البحث ...، ص ٢٥.

(2) شارل فكتور لانجلوا وشارل سينوبوس، المدخل إلى الدراسات التاريخية، نشر ضمن كتاب :النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٢، ص ٥٢-٥٤.

(3) المرجع نفسه، ص ٥٥.

وبطبيعة الحال، فإن من الصعب على المؤرخ أن يتخصص بهذه العلوم كلها. ولكن من الضروري أن يكون واسع الثقافة، عارفاً بالعلوم المتصلة بدراسة التاريخ وكتابته، ملماً بالعلم الذي له صلة مباشرة بموضوع بحثه، وتختلف هذه العلوم بالنسبة إلى دارس التاريخ من عصر إلى آخر ومن مادة إلى أخرى، فالعلوم المساعدة اللازمة لدارس التاريخ العربي الإسلامي، تختلف عن العلوم المساعدة اللازمة لدارس تاريخ اليونان والرومان، أو عصر النهضة الأوروبية، أو تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، كذلك لا فائدة ترجى من معرفة علم الخطوط القديمة لمن يقوم بأبحاث تتعلق بالدولة العربية في العصر الأموي، أو بدراسة الثورة الفرنسية مثلاً، لذا، فإن العدة الأولية لكل من يريد أن يقوم بأبحاث أصيلة في التاريخ يجب أن تتألف من جانب من جوانب التاريخ، ويكون الإعداد عادة قصيراً نسبياً وسهلاً بالنسبة إلى من يشتغل في التاريخ الحديث أو المعاصر، ولكنه شاقّ وطويل بالنسبة إلى من يشتغل في التاريخ القديم، أو في تاريخ العصور الوسطى الأوروبية أو الإسلامية[1].

١ – علم اللغات:

تأتي اللغات في مقدمة العلوم المساعدة التي ينبغي للباحث في التاريخ أن يتزود بها، ويتوجب على المؤرخ أن يلمّ باللغة الأصلية الخاصة بموضوع البحث التاريخي الذي ينوي الكتابة به، لأن الترجمة لا تفي بحاجة المؤرخ للتوصل إلى الفهم الكامل لما يراد الاطلاع عليه. فعلى سبيل المثال، إن من يرغب في دراسة العصور الوسطى الأوروبية، يجب أن يكون عارفاً باللغة اللاتينية، كذلك الحال بالنسبة إلى من يريد دراسة تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، لكن هذه اللغة "اللاتينية"

---

[1] لانجلوا وسينوبوس، المدخل إلى الدراسات التاريخية ....، ص ٦١.

ليست ضرورية لدراسة تاريخ الثورة الفرنسية، بل إن اللغة الأصلية المطلوبة هنا هي اللغة الفرنسية[1]، كذلك لا بُدَّ لمن يود دراسة العلاقات بين قطرين، أو مجموعتين من البلدان، أن يعرف لغة الاثنين، حتى يطلع على وجهات النظر المختلفة، فدراسة العلاقات المصرية–الإنكليزية بعد الحرب العالمية الأولى، تتطلب معرفة باللغة العربية واللغة الإنكليزية، ودراسة علاقات العرب في الأندلس بالممالك الإسبانية، تتطلب أيضاً معرفة كل من العربية والإسبانية، وربما الفرنسية أيضاً لوجود الكثير من البحوث والدراسات التي كتبت عن هذا الموضوع باللغة الفرنسية، وهكذا فكلما تعددت اللغات التي يتقنها الباحث، اتسع أمامه مجال الفهم والمعرفة والاستقصاء للموضوعات الخاصة ببحثه، وأمكنه الاطلاع على مختلف المقالات والبحوث والكتب التي يمكن أن تضيف معلومات قيمة إلى ما يتوصل إليه من نتائج.

ولا يكفي لمن يرغب في التخصص بموضوع معين في التاريخ أن يعرف اللغة الأصلية الخاصة بذلك الموضوع، بل عليه أيضاً أن يكون ملماً بفقه اللغة "الفيلولوجيا Philology" الذي يُعَدُّ أيضاً من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة التاريخ لأن اللغة تتطور وتتغير معانيها، ومعاني مفرداتها من عصر إلى آخر، فلا بد للمؤرخ إذاً أن يتفهم النصوص التاريخية الخاصة بالعصر الذي يدرسه بدقة تامة، ولا يتأتى له ذلك إلا إذا عرف اللغة معرفة تامة، واطلع على ما نال ألفاظها من تغييرات مختلفة، ويستطيع الباحث أن يعتمد على المعاجم اللغوية الموثوق بها في هذا المجال، لاسيما تلك التي تذكر تاريخ استخدام المفردات اللغوية وتغير معانيها من عصر إلى آخر، مثل معجم أكسفورد "Oxford" بالنسبة للغة الإنكليزية، أما بالنسبة للغة العربية، فلا يتوافر قاموس حديث لهذا الغرض، ولكننا

---

[1] عثمان، منهج البحث ...، ص ٢٦.

نستطيع العثور على تطور معاني الكلمات، ومعرفة المراد منها بمراجعة قواميس اللغة العربية الشهيرة، مثل لسان العرب، لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي وغيرها.

وإذا أراد دارس التاريخ القديم القيام بأبحاث أصيلة تعتمد الأصول الأولية في هذا الميدان، وجب عليه أن يدرس كيف يقرأ النقوش القديمة، وهذا ما يسمى بعلم قراءة الخطوط القديمة "Paleography"، وهو من العلوم المساعدة للتاريخ، ولاسيما في دراسة الحضارات القديمة الكبرى، مثل قراءة الخط المسماري الخاص بحضارة بلاد الرافدين، والخط الهيروغليفي الخاص بحضارة وادي النيل، والخط المسند الخاص بكتابات الدول العربية الجنوبية في شبه الجزيرة العربية، والخطوط اليونانية والرومانية القديمة، والخطوط الأوروبية في العصور الوسطى. فالذي يريد التخصص في تاريخ العرب قبل الإسلام، ودراسة إحدى الدول الجنوبية كالسبأية والحميرية مثلاً، يجب أن يتعلم الخط المسند، ولا يمكن أن يخطر ببال أي مؤرخ، أن يكتب تاريخاً لإحدى تلك الدول دون معرفة لهذا الخط، إن الخطأ الذي ينجم عن عدم إتقان قراءة الخطوط القديمة، يمكن أن يؤدي إلى نتائج عكسية وتفسيرات لا تمت إلى الواقع بصلة، الأمر الذي ينجم عنه عدم الدقة في الجمع والنقد والتفسير[1].

إن هذه الخطوط التي أشرنا إلى عدد منها لم تبق على شاكلة واحدة، فقد أصابها التطور والتغيير بحسب العصور المختلفة التي مرت بها، كما أن الخط الواحد يمكن أن يختلف في الشكل من كاتب إلى آخر، الأمر الذي يتطلب من الباحث الدقة التامة في تمييز هذه الخطوط وتطورها، ليتمكن من الرجوع إلى

---

[1] لانجلوا وسيتوبوس، المدخل إلى الدراسات التاريخية ....، ص ٥٧.

الوثائق التي دونت بها، وليكون على دراية تامة بالمقصود من الكتابة المدونة بهذه الخطوط.

٢- علم الوثائق:

يُعَدُّ علم الوثائق أو علم الديبلوماتيك "Diplomatics" من العلوم المساعدة الضرورية للمؤرخ، وهو الذي يُعنى بدراسة الوثائق ونقدها وتحديد أزمانها. وعلى الرغم من أن هذا المصطلح حديث النشأة في العالم الغربي[١]، فإنه كان معروفاً عند العرب المسلمين، ولاسيما المتخصصين في علم الفقه والحديث، بحيث سُمّي بمصطلح علم الشروط. وقد اشتهر من العرب في هذا الموضوع جملة من العلماء ألفوا فيه مثل هلال بن يحيى الرازي (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) وكتابه "تفسير الشروط"[٢] وأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م) وكتابه الموسوم "الجامع الكبير في علم الشروط"[٣]، وأبي بكر محمد بن عبد الله البهيقي الذي ألف في "أدب القضاة والشروط والوثائق"[٤].

وتعني كلمة "الوثائق" في مفهومها العام كل الأصول التي يستخدمها المؤرخ للحصول على معلومات تاريخية، سواء كانت مكتوبة على الورق أو غير مكتوبة

---

[١] للتوسع في هذا العلم والاطلاع على أصل المصطلح انظر: سالم عبود الآلوسي، علم تحقيق الوثائق- الدبلوماتيك، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٧م، ص ١٠ وما بعدها.

[٢] محمد بن إسحاق بن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨، ص ٢٨٨.

[٣] مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، المعروف بكاتب جلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، استانبول قوجة راغب باشا كتبخانة سي، ١٩٤١، أعادت طبعه بالاوفسيت مكتبة المثنى في بغداد، ج٢، ص ٥٦٧.

[٤] طه باقر وعبد العزيز حميد، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٨٠، ص ١٣٢-١٣٣.

كالآثار المادية، ولكنها تعني في المعنى الدقيق الذي اصطلح عليه المؤرخون: "الكتابة الرسمية أو شبه الرسمية، مثل الأوامر والقرارات والمعاهدات والاتفاقيات والمراسلات السياسية والكتابات التي تتناول مسائل الاقتصاد أو التجارة أو عادات الشعوب أو المقترحات المتنوعة التي تصدر عن المسؤولين في الدولة أو التي تقدم إليهم أو المذكرات الشخصية أو اليومية"[1].

فلا بُدَّ للمؤرخ أن يتقن الأسلوب والمصطلحات الخاصة بوثائق العصر الذي يبحث فيه، وهناك طرق وأساليب فنية خاصة تتبع في تحديد أزمانها، والتعرف إلى المداد المستعمل في كتابتها، ونوعية الأقلام المستخدمة، ونوع الورق وعمره، والعلامات المائية والألياف، والتي تتضح عند تعريض الورقة للضوء. وتستخدم بعض الوسائل العلمية لفحص الخط والحبر والورق، فبواسطة بعض العدسات المكبرة الخاصة، وبواسطة المجهر يمكن تحديد ضغط القلم وميل الكتابة، والصفات الخاصة بالكاتب وطريقة كتابته لبعض الحروف، ولون الحبر. كذلك يمكن بواسطة المجهر والتحليل وطريقة التحليل الكيميائي معرفة عمر الورق. وأحياناً يمكن الاستعانة ببعض أنواع الأشعة الحمراء والبنفسجية لإظهار الخطوط غير الواضحة أو المطموسة أو المغيرة عمداً. وكل ذلك لأجل المساعدة في التثبت من صحة هذه الوثائق، أو بطلانها[2].

---

[1] عثمان، منهج البحث ...، ص ٣٠.

[2] عثمان، منهج البحث ...، ص ٣٠.

٣- علم التوقيت (الكرونولوجيا)

هو في تعريفه العام، العلم الذي يبحث في الزمن بصفته بعداً يقاس من أبعاد الوجود الإنساني. فمن الملاحظ أن حياة الانسان تجري في زمن، وفي الزمن تتالى الأحداث وأنماط التفكير، ونشاطات الإنسان، التي يكوّن مجموعها تاريخ العالم.

وقد رأى الإنسان أنه من الممكن قياس الزمن، فسعى لقياسه فعلاً، وربط به بالطبع قصة حياته وحوادثه. وقد استطاع الإنسان أن يقيس الزمن باليوم والشهر والسنة. ومع تطور تفكيره، واتصاله مع البشر في بقاع أخرى، رأى أن التحديد العام للزمن يتطلب استخدام منطق واحد في حساب توالي الزمن، أو بتعبير أدق تقويم زمني مشترك. ويشاهد اليوم أن معظم شعوب العالم قد تبنّت "التقويم الميلادي الغريغوري"، الذي شرعت أوروبا بتطبيقه منذ عام ١٥٨٢م. ولكن هذا الأمر ظاهرة حديثة. أما بالنسبة للفترات القديمة، فإن دراسة النصوص والوثائق التاريخية تثير دائماً أبحاثاً زمنية حول تاريخ واقعة ما، أو تحقيقه، لأن معظم الشعوب القديمة كان لها تقويمها الخاص، وطريقتها في عدّ توالي السنين. فمن مهام المؤرخ الرئيسية أن يجيب عن السؤال المهم: كيف يمكن تحويل تاريخ الأحداث المختلفة الواردة في شتى المصادر، وبصفة خاصة القديمة منها، إلى التقويم المستخدم اليوم؟ إن الكرونولوجيا أو علم الوقت هو في الواقع العلم الذي يساعد على الجواب عن ذلك السؤال[١].

ولا بد من التأكيد أن الباحث التاريخي والمؤرخ يجب أن يكون دقيقاً في فحص الوثائق المتوفرة بين يديه من الناحية الزمنية، سواء أكانت تحمل تأريخ معينة، أم كانت هذه التأريخ غير كافية، أم غير واضحة، أم مشكوكاً بها. أو بتعبير آخر،

---

[١] ليلى الصباغ، دراسة في منهجية البحث التاريخي، ط١١، جامعة دمشق ٢٠٠٥، ص ١٢٠-١٢١.

على الناقد التاريخي أن يجهد ليثبت بأقصى دقة ممكنة، وانطلاقاً من التقويم الزمني الذي نستخدمه، تأريخ الأحداث. إن مهمة المؤرخ هي نقد العناصر التي تركب تلك الوثائق، والتحقق من توافقها، وهذا لا يمكن أن يتم إلا بالتعريف بهوية الحساب الزمني الذي استخدم سابقاً فيها، وإكماله إذا كان ضرورياً، أو إحلال غيره مكانه، إما بوساطة محتوى النص المدروس نفسه، أو بوساطة وثائق أخرى.

ولا غنى لمن يشق طريقه عبر البحث التاريخي من معرفة التقاويم الكبرى التي كانت مستخدمة سابقاً، وتلك المستخدمة حالياً.

- **التقويم الميلادي الغريغوري:**

هو التقويم الميلادي الذي أمر به البابا غريغوري الثالث عشر (١٥٠٢-١٥٨٢م)، ليحل محل التقويم اليولياني الذي أوجده يوليوس قيصر في عام ٤٦ ق.م (أي في عام ٧٠٨ من تأسيس مدينة روما) بمعرفة الفلكي اليوناني المقيم في الإسكندرية سوزيجين "Sosigene" الذي اكتفى بكبس السنة كل أربع سنوات، وجعل أول العام، الفاتح من شهر كانون الثاني، بدل الأول من شهر آذار. وقد أصبح التقويم الغريغوري يتبع في معظم أنحاء العالم. وهو يعتمد على السنة المدارية، وتُعَدُّ مدتها (٣٦٥،٢٤٢٥) يومٌ، وبذلك فهي قريبة جداً من المدة الحقيقية لها. إن السنة في الواقع كما هي في تقويم اليوم تعادل مبدئياً ٣٦٥ يوماً، إلا أنه كل أربع سنوات يضاف إلى السنة يوماً، فتصبح سنة كبيسة (وهو يوم ٢٩ شباط). ويمكن النظر إلى هذا التقويم اليوم على أنه يستخدم من قبل الجزء الأكبر من العالم. فالتقاويم القديمة أهملت، ولم تعد لها قيمة إلا في الطقوس والأعياد والشعائر الدينية[١].

---

[١] الصباغ، دراسة في منهجية ....، ص ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩.

- **التقويم الهجري:**

يعتمد التاريخ الإسلامي على التقويم الهجري، الذي يستند بدوره إلى "السنة القمرية". فالسنة تضم ١٢ شهراً قمرياً تتراوح مددها بين ٢٩ و ٣٠ يوماً، ومجموع أيامها هو ٣٥٤ يوماً. فهناك فرق (١١،٢٥) يوماً بين طول السنة المدارية والسنة القمرية. وتبدأ السنة القمرية في الفاتح من شهر محرم، ويدور هذا اليوم على مدار السنة الشمسية، فيتأخر كل عام عن العام الذي سبقه بمقدار أحد عشر يوماً، ومن ثم فإنه لا يعود إلى التاريخ نفسه من السنة الميلادية إلا بعد ٣٣ سنة تقريباً، وهذا يوجد اختلافاً بيّناً بين التقويمين الهجري والميلادي.

وحتى يوجد الباحث التاريخي التوافق بين التأريخ الميلادي الغريغوري القائم حالياً والتأريخ الهجري، لا بد له من الرجوع إلى جداول خاصة أعدت لهذا الغرض إعداداً خاصاً ودقيقاً[1]. ويمكن كذلك اتباع القاعدة التالية لتحويل سني الهجرة (هـ) إلى سنين ميلادية (م) وبالعكس.

قوانين التحويل من الهجري إلى الميلادي وبالعكس:

السنة الميلادية= (عدد السنين الهجرية × ٣٣/٣٢) + ٦٢٢

السنة الهجرية= ٣٢/٣٣ (عدد السنين الميلادية -٦٢٢)

---

[1] من أشهر هذه الجداول أو اللوحات ما قام بعمله المستشرقان "فستنفلد ومالر". وفي العربية هناك كتاب التوفيقات الإلهامية للواء محمد مختار باشا بمجلدين، بيروت ١٩٨٠م/١٤٠٠هـ.

إن الرقم ٣٣ يعادل عدد السنين الهجرية التي تمر حتى يقع أول السنة الهجرية موافقاً على وجه التقريب ٣٢ سنة شمسية. أما عام ٦٢٢م فهو عام هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من مكة إلى المدينة وفيه يبدأ التاريخ الهجري[١].

وجدير بالذكر أنه في الوقت الحاضر يوجد تقاويم دائمة تمكّن لوحاتها من معرفة تقويم أي عام وحلّ كل مشكلة تتعلق بالتأريخ وأيام الأسبوع المقابلة لها، وأشهر هذه التقاويم تلك التي أعدها موره "G.D. Moret".

وختاماً لبحث الزمن وأهمية تحديده في الكتابة التاريخية، لا بُدَّ من التأكيد أن الزمن هو إحدى عيني التاريخ اللتين يبصر بهما، فكلما كان دقيق التعيين كان البصر ثاقباً، والرؤية أقرب للحقيقة. ومن ثم فلا بد للباحث التاريخي من جعله دعامة من دعامات بحثه، وألا يصرف عنه عينه أبداً في كل خطوة يخطوها.

٤ – علم الأختام والرنوك:

ويتصل بعلم الوثائق دراسة علوم أخرى خاصة بالأختام والرنوك التي تمهر بها هذه الوثائق، بحيث كانت تختلف من عصر إلى آخر. وقد استخدمت الأختام المعدنية من قبل الملوك والأمراء في أزمنة مختلفة ووجدت أختام الذهب عند بعض الملوك في أوروبا في العصور الوسطى. وقد تعددت هذه الأختام وتنوعت، فمنها المستدير ومنها البيضوي الشكل، ومنها ما يشبه المثلث أو القلب أو الصليب، وكان لمعظم الحكام والأمراء والخلفاء المسلمين أختام خاصة بهم، عليها شعارات وعبارات معينة تميزها من غيرها، وكانوا يستعملونها في تواقيعهم على الوثائق والسجلات التي يختم عليها كما يقول ابن خلدون[٢]: بـ "خاتم السلطان وهو طابع

---

[١] الصباغ، دراسة في منهجية ...، ص ١٢٩.

[٢] المقدمة، ص ٢٤٦.

منقوش فيه اسم السلطان أو شارته يغمّس في طين أحمر مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفي السجل عند طيه وإلصاقه..."

كذلك كان للحكام والأمراء في أوروبا في العصور الوسطى شاراتهم ورموزهم وتواقيعهم الخاصة، وكان بعضها لا يقتصر على الحاكم فحسب، بل هو رمز خاص بأسرته الحاكمة، ويضاف إلى هذه الشارات العلامات المميزة التي تظهر على الأختام أو الدروع أو على ملابس النبلاء والجند أو الأعلام، والتي تعرف عادة بالرنوك "Heraldry"، ومن هذه العلامات، الكأس والسيف والنسر والهلال وذيل الحصان وزهرة الزنبق وغيرها، وقد استخدمت هذه الشارات في أثناء الحروب الصليبية للتمييز بين الجيوش المختلفة التابعة لشعوب متعددة حتى لا يقع الالتباس بين أفرادها، كذلك استخدمت في العصور التالية في المشرق الإسلامي ولا سيما لدى الأيوبيين والمماليك والعثمانيين[1]، وقد زُينت في العصور الإسلامية بأنواع الزخارف والنقوش المختلفة كأوراق الأشجار والأزهار والأهلة والكواكب واللآلئ والحبال المظفورة بأشكال مختلفة[2].

إن معرفة الباحث التاريخي بهذه العلامات وبالأختام الخاصة بالفترة التي يدرسها تساعده في تحديد زمن الوثائق التاريخية الخالية من التاريخ، كذلك يستفيد من هذه الكتابات والرموز في التعرف إلى ألقاب الحكام والملوك والأمراء، وشعاراتهم التي يستعملونها في تواقيعهم. فعلى سبيل المثال، كان نقش ختم الخليفة عبد الملك بن مروان "آمنت بالله مخلصاً"[3]، ونقش ختم الخليفة محمد المهدي

---

[1] عثمان، منهج البحث ...، ص ٣١؛ باقر وحميد، طرق البحث العلمي ...، ص ١٣٠-١٣١.

[2] أسامة ناصر النقشبندي وحياة عبد علي الحوري، الأختام الاسطوانية في المتحف العراقي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٧٤، ص ١٦.

[3] المرجع نفسه، ص ٦٢.

العباسي هو "الله ثقة محمد وبه يؤمن"[1]، وكان للخلفاء أكثر من ختم واحد فللأمين محمد بن هارون الرشيد ثلاثة أختام مكتوب عليها على التوالي "حسبي القادر" و"لكل عمل ثواب" و "محمد واثق بالله"[2]، وهكذا الأمر بالنسبة إلى معظم الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين.

أما بالنسبة إلى الرنوك فإن تعرّف الباحث إليها، يجعله قادراً على إثبات صحة ما يقع تحت يده من الوثائق أو الأسلحة كالدروع وغيرها، كما يزيده هذا التعرف قابلية في الحكم على هذه الوثائق والآثار المادية وتحديد زمنها الحقيقي.

٥ – علم النقود والمسكوكات "النميات":

أخذ علم المسكوكات "Numismatics"، منذ وقت طويل ميزة مستقلة كفرع خاص قائم بذاته، وكلمة نومسماتكس "Numismatics" أو علم النوميات كما يقال في اللغة العربية أحياناً، جاءت من الكلمة اليونانية الأصل "**نومسما**" التي تعني عملة متداولة بموجب عُرف أو قانون، والكلمة مشتقة في الأصل من كلمة "**نوموس**" وتعني دستوراً أو قانوناً وحتى في العربية يقال ناموساً[3].

يهتم علم المسكوكات بدراسة أشكال العملة وتطورها عبر العصور منذ أن بدأت بشكل حلقات أو قضبان أو سبائك معدنية مدموغة برموز أو صور تعطيها قيمة حقيقية إلى أن سُكّت نقوداً حوالي ٧٠٠ ق.م، وما طرأ عليها من تطورات فنية ومادية خلال القرون المتعاقبة على ذلك التاريخ[4].

---

[1] المرجع نفسه، ص ٥٢–٦٥.

[2] المرجع نفسه، ص ٦٦.

[3] زكي حامد قادوس: العملات اليونانية والهللينستية، الإسكندرية ٢٠٠١، ص ٣.

[4] Ch.Seltman, Greek Coins. A History of metallic currency and coinage down to the fall of Hellenistic Kingdoms, Methuen & Co. London, 1960, p.5.

وتكمن أهمية دراسة المسكوكات في أنها تمثل إحدى المخلفات الحضارية المهمة التي تعكس لنا الأوضاع السياسية والاقتصادية والمستويات الفنية للمجتمعات التي خلفتها[1]، كما أنها تعكس روح العصر الذي ضُربت خلاله وذلك لتأثر المسكوكات بشكل مباشر بما يدور في عصور سكّها من أحداث سياسية واقتصادية ودينية واجتماعية وفنية فأحياناً نجدها مزدهرة كماً وكيفاً، وأحياناً أخرى نرى هبوط مستواها الفني وقلة عددها نتيجة لظروف أو ضغوط سياسية أو اقتصادية أو ضعف في المهارات الفنية. ومجمل القول إن المسكوكات تُعَدُّ مصدراً وثائقياً مهماً لحضارات المجتمعات الإنسانية.

في بداية الأمر، لم تأخذ المسكوكات الاهتمام والدراسة التي تستحقها كغيرها من المخلفات الحضارية الأخرى بسبب صغر حجمها نسبياً مما يعطيها دوراً محدوداً في المجال الفني، بحيث لا يسمح للإبداع كغيرها من المخلفات الأخرى. إلا أن هذا الادعاء قد فقد مفهومه كما ثبت من أهمية المسكوكات في الدراسات الأثرية والسياسية والاقتصادية والدينية والفنية للحضارات القديمة[2].

ولا شكَّ أن المعادن عند اكتشافها كانت نادرة واقتصر استعمالها على القادرين من الأثرياء أو الملوك وتشكيلها حلي وأدوات زينة وأسلحة. وشيئاً فشيئاً تم استعمالها في شتى احتياجات الإنسان. فكان معدن الذهب هو الأساس الذي اعتمد في المجال التجاري وتبعه معدن الفضة وأخيراً جاء معدن البرونز ليدخل مضمار صناعة النقود[3]. فمنذ أقدم العصور أوجد معدنا الذهب والفضة حلولاً منطقية للتبادل والاتفاقات التجارية، وحددت قيمة كل معدن بالنسبة للمعدن الآخر بطريقة مناسبة إلا أنه بالرغم من هذين المعدنين قد أوجدا حلاً مناسباً للتعامل التجاري

---

(1) M.J. Price, Coinc and their cities, London, 1977, p. 19ff.

(2) زكي حامد قادومي: العملات اليونانية ...، ص ٤.

(3) Ch.Seltman, Op.Cit., p.7.

باستعمالهما كمعيار ذي قيمة في الشرق القديم، فإنه لم يعثر على أية قطعة مسكوكة أو دليل على مثل هذا المفهوم ويعود إلى تلك العصور المبكرة. كما أنه لم يأت ذكر عملة مسكوكة في أي أثر كتابي قبل العصر الفارسي أي في النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد، ففبل ذلك التاريخ كان الذهب والفضة يقدران وزناً وليس بقيمة رقمية أو فئة. كما أنه لم يكن الميزان يستخدم دائماً في المبادلات التجارية الصغيرة حيث كانت الحبيبات أو الكتل الصغيرة من هذين المعدنين ذات وزن محدد تقريباً وبدون علامة رسمية تحدد قيمتها أو وزنها وهكذا فقد قامت تلك الحبيبات أو الكتل الصغيرة من الذهب والفضة نفس مقام النقود[1].

ويُعَدُّ علم المسكوكات أو النقود من العلوم المساعدة الأخرى المهمة في البحث التاريخي، فالنقود تُعَدُّ وثائق تاريخية لا يمكن الطعن بها بسهولة وهي مهمة في إعانة المؤرخ على التوصل إلى الحقائق التاريخية، لأنها بما تحمله من كتابات ورسوم وعلامات، تقدم مادة أساسية، يمكن أن تخدم الباحث في ضبط الأسماء والتواريخ، وتعطي فكرة عن الأحوال التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والدينية للفترة التي يؤرخ لها[2]. كما يمكن أن يستخلص من النقود أيضاً معلومات ثمينة عن الأحوال المعيشية والأسعار، وأساليب التعامل التجاري، وأسماء الملوك والحكام، ودور الضرب التي سكّت فيها هذه النقود، والعلاقات التجارية السائدة في عصرها. والنقود سجل للألقاب والنعوت، التي يدونها الحكام والأمراء عليها؛ لذا فهي تلقي الضوء على كثير من الأحداث السياسية، فبالإمكان مثلاً نفي أو إثبات تبعية بعض الولاة أو السلاطين والبلاد للخلافة أو للحكومات المركزية في

---

(1). G.J Milne, Greek Coinage, Clarendon, Oxford, 1931, p. 18ff.

(2) ناجي علي محفوظ، النقود في المصادر العربية، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٢؛ ناهض عبد الرزاق، المسكوكات وكتابة التاريخ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨، ص٥.

التاريخ الإسلامي بواسطة النقود[1]، كذلك يمكننا أن نحكم على أهمية التبادل التجاري بين الأمم من العثور على المسكوكات القديمة في مناطق مختلفة من العالم، فعلى سبيل المثال، إن العثور على كميات وفيرة من النقود العربية في أماكن بعيدة، ولاسيما الدول الإسكندنافية، ومنطقة بحر البلطيق، وأودية الأنهار في روسيا، يُعدّ دليلاً ملموساً على قيام تجارة واسعة النطاق بين العالم الإسلامي وهذه المناطق النائية[2].

ويستفيد المؤرخ أيضاً من النقود في إثبات أو نقض الكثير من الأخبار التي وصلت إلينا عن طريق المدونات التاريخية والوثائق الرسمية. فيحتمل أن تأتي بعض هذه الأخبار مخالفة للواقع نتيجة لتأخر تدوينها، أو أنها وصلت عن طريق السماع، أو سقطت من أيدي النسّاخ أو أهملت سهواً، أو عمداً[3]، كتحديد زمن حكم بعض الملوك والخلفاء، أو إثبات تاريخ ثورات معينة، أو انقضائها، وهكذا يمكن أن نستفيد من المسكوكات التي تعود إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) تؤكد الأخبار المدونة التي تشير إلى أنه كان أول من ضرب المسكوكات في العصر الإسلامي[4]، كذلك تؤكد المسكوكات الإسلامية التي وصلت إلينا الأخبار التاريخية التي دعت الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إلى

---

(1) عبد الرحمن فهمي محمد، النقود العربية ماضيها وحاضرها، دار القلم، القاهرة ١٩٦٤، ص ٥.

(2) أمين الطيبي، النقود العربية انتشارها وأثرها في أوروبا في القرون الوسطى، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٩، بغداد ١٩٨١، ص ١٩٦.

(3) باقر محمد الحسيني، تطور النقود العربية الإسلامية، دار الجاحظ، بغداد ١٩٦٩، ص ٨.

(4) تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، كتاب النقود الإسلامية، منشور ضمن ثلاث رسائل، مطبعة الجوائب، القسطنطينية ١٢٩٨هـ، ص ٤؛ وانظر:

J.A. Walker, A. Catalogue of the Arab-Byzantine and Post Reform Umaiyad Coins, London 1956, P. 46.

القيام بعملية إصلاح شاملة لإصلاح وتعريب النقود في الدولة العربية الإسلامية، لأنه وجد من الضروري إضفاء الطابع القومي العربي على النقود، من أجل التوصل إلى الاستقرار السياسي والاقتصادي، وتوحيد الأمة العربية الإسلامية، فضرب نقوداً عربية خالصة، وصل إلينا الكثير منها، وهي محفوظة في العديد من المتاحف العربية والعالمية، وتُعَدُّ سنة ٧٧هـ/٦٩٦م سنة حاسمة في تاريخ النقود العربية، حيث ضرب فيها أول دينار على الطراز الإسلامي الخالص[١]، وقد قدمت لنا المسكوكات الأموية في مراحل التعريب بالذات صورة للملابس العربية، والسيف المستقيم، التي ظهرت للشخص الذي يُعتقد أنه الخليفة عبد الملك بن مروان وهو يعتمر الكوفية، ويتمنطق بسيفه، رمز الجهاد والإمامة. كذلك قدمت لنا المسكوكات صورة للعقود المعمارية والأعمدة وتيجانها في العصر الأموي أيضاً عندما حمل أحد الدنانير ذلك وهو في مرحلة التعريب[٢].

وتساعد المسكوكات أيضاً في تقديم معلومات تفيد في تفهم بعض النظم والاتجاهات السياسية، التي قد يغفل المؤرخون عن ذكرها وذلك بدراسة الكنى والألقاب التي ترد عليها، فالألقاب توضح ميول الحكام والأمراء ومساعديهم وما يسيطر عليهم من نزعات، كذلك فإن الألقاب الفخرية التي تظهر على المسكوكات الإسلامية لها أهمية كبيرة وهي بلا ريب تلقي الأضواء على الأحداث السياسية والاجتماعية، فظهور ألقاب السلاطين السلاجقة على النقود في فترة التسلط السلجوقي على الخلافة العباسية مثلاً، يشير إلى مدى ما تمتع به هؤلاء من نفوذ

---

[١] السيد ناصر محمود النقشبندي، الدينار الإسلامي في المتحف العراقي ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٥٣، ج١، ص ٢٤. وانظر:

Walker, A. Catalogue of..., p. 43.

[٢] السيد ناصر محمود النقشبندي ومهاب درويش البكري، الدرهم الأموي المعرب، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٤، ص ٢٤، ٢٤١.

واسع لاسيما الأوائل منهم، مثل طغرل بك ، وألب أرسلان، وملكشاه، وأن نظرة واحدة إلى هذه الألقاب التي حملتها المسكوكات تؤيد ما نذهب إليه في هذا المجال، ومن هذه الألقاب على سبيل المثال لا الحصر: "مغيث الدين والدنيا" و"معز الدنيا والدين" و"السلطان الأعظم مغيث الدنيا والدين" والسلطان المعظم ملك الإسلام ومغيث الدنيا والدين"[1].

وتفيد المسكوكات أيضاً في تخليد بعض الانتصارات التاريخية التي حققها العرب في العصور الإسلامية المختلفة. ومن هذه المسكوكات درهم فضي محفوظ في متحف الفن بفيينا، نقش على أحد جوانبه صورة للخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧-٨٦١م)، الذي يبدو مرتدياً ملابس فاخرة، وعلى الجانب الثاني صورة لرجل يقود جملاً. وقد خلدت هذه المسكوكة انتصاراً للدولة العباسية على أعدائها من البجاة في مصر العليا سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م، حيث استسلم قائد هؤلاء الذي جاء لطلب الصفح من الخليفة، ويرجح بأن صورة قائد الجمل على النقد هي صورته[2]، ومن المحتمل أيضاً أن الخليفة المتوكل قد أمر بسك هذه النقود وتوزيعها على المقربين من الدولة، لتكون تذكاراً لذلك الانتصار، بحيث إن هذا النوع من النقود يختلف عن نقود التعامل الاعتيادية من حيث الوزن، وما تحمله من مأثورات[3]. ومن أمثلة المسكوكات التي خلدت الانتصارات العربية أيضاً، ما ضربه السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد انتصاره على الصليبيين في معركة حطين سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، فبعد هذا الانتصار الكبير سكّت الدنانير الذهبية، والدراهم الفضية والفلوس النحاسية، وحملت العديد من العبارات والألقاب،

---

[1] باقر وحميد، ص ١٢٢.

[2] عبد الرازق، المسكوكات وكتابة التاريخ، ص ٤٨-٥٠.

[3] باقر وحميد، ص ١٢٣-١٢٤.

منها دينار ذهبي سكّ في دمشق سنة الانتصار (٥٨٣هـ/١١٨٧م) عليه لقب "سلطان الإسلام والمسلمين"، ومنها دراهم فضية حملت عبارة: "الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين"، وتتلخص أهمية هذه العبارات في أنها أكدت قيمة الانتصار، ولاسيما عبارة "محيي دولة أمير المؤمنين"[١].

ويرجع الفضل إلى بعض المسكوكات في كشف أو تغيير بعض حقائق التاريخ ومسلماته. وقد كشفت المسكوكات على سبيل المثال حقيقة الغزاة البويهيين الذين استخدموا المكر والخداع للسيطرة على بغداد، وذلك بإظهار الولاء للخليفة ولابنه ولي العهد، وقد سكّوا أربعة أنواع من النقود خلال أربعين يوماً، كشفت عن الصراع الذي حدث بينهم للوصول إلى الحكم، كما حملت الكثير من الألقاب الرنانة التي منحوها لأنفسهم دون استحقاق، وأوضحت الفوضى والاضطرابات التي سادت البلاد أثناء وجودهم[٢]، كذلك فقد أثبتت المسكوكات أن مدينة سامراء قد هُجرت، وآلت إلى الخراب الشامل بعد أن تركها الخلفاء العباسيون في سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م)[٣]. وهناك مثال آخر من المغرب العربي تكشف فيه المسكوكات عن حقائق تناقض ما أشارت إليه المصادر التاريخية المدونة، حيث يشير معظم الكتّاب والمؤرخين القدامى إلى أن إدريس بن عبد الله (١٧٧-٢١٣هـ/٧٨٣-٨٢٨م) هو الذي أسس مدينة فاس سنة (١٩٢هـ/ ٨١٦م)، في حين أننا نجد نقدين ضربا في هذه المدينة نفسها، الأول يحمل تاريخ (١٨٥هـ/٨٠١م)، والثاني يحمل

---

[١] عبد الرازق، المسكوكات وكتابة التاريخ، ص ٥٨.

[٢] عبد الرازق، المسكوكات وكتابة التاريخ، ص ٥١-٥٢؛ ناهض عبد الرزاق، مسكوكتان بويهيتان تميطان اللثام عن حقائق أغفلها المؤرخون، مجلة المسكوكات، العدد ٤، بغداد ١٩٧٣، ص ٣٩-٤٠.

[٣] باقر وحميد، ص ١٢٥.

تاريخ (١٨٩هـ/ ٨٠٤-٨٠٥م) الأمر الذي دعا بعض المحدثين إلى ترجيح إنشاء مدينة فاس في عهد إدريس الأول، مؤسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى[١].

وقبل أن نختم الحديث عن النقود، لا بُدَّ من الإشارة إلى أهمية المسكوكات التي سُكّت من قبل الثوار والمتمردين في مختلف العصور التي مرت بها الدولة الإسلامية في المشرق والمغرب، فقد ثبتت هذه المسكوكات الكثير من الحقائق التاريخية، وسلطت الأضواء على جوانب غامضة في تاريخ هذه الحركات، ومن أوائل الذين ضربوا هذا النوع من النقود عبد الله بن الزبير الذي أعلن نفسه خليفة في الحجاز بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان (٦٤هـ/٦٨٣م) كذلك ضرب أخوه مصعب بن الزبير باسمه في العراق، واشتهر من الخوارج قطري بن الفجاءة، الذي ضرب نقوداً عليها شعار الخوارج الشهير "لا حكم إلا الله". كما وجدت أيضاً مسكوكات ضربت من قبل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إبان تمرده على الحجاج بن يوسف الثقفي، والي العراق زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان[٢].

٦- علم الآثار:

علم الآثار هو ذلك العلم من "دراسة التاريخ" الذي يعنى بدراسة المخلفات المادية والحضارية لماضي الإنسان. إن دارس التاريخ بمعناه الشامل يهتم بكل المصادر، سواء أكانت مكتوبة أم منقوشة أم مخلفات مادية. ومن خلالها يهدف

---

[١] ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، تعريب محمود عبد العزيز سالم، وصلاح الدين حلمي، نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٦، ص ١١٧؛ صالح بن قربة، المسكوكات المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٦، ص ١٤.

[٢] السيد ناصر محمود النقشبندي، الدرهم الإسلامي المضروب على الطراز الساساني، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٦٩، ص ٦٢-٦٧، ١١١، ١٢٨، ١٣١.

المؤرخ إلى رسم صورة مكتملة وصادقة لماضي الإنسان ما وسعه ذلك. أما الآثاري فيتعامل مع الأدوات والأشياء المادية التي كان يصنعها الإنسان مثل أسلحته ومساكنه ومقابره وأماكن عبادته. لقد عُرفت المصادر المكتوبة أول مرة منذ حوالي خمسة آلاف سنة مضت وعليه، وبصفة عامة فإن هناك فرعين من علم الآثار: أولهما هو ذلك الفرع الذي يهتم بماضي الإنسان قبل المعرفة بالكتابة، وهو الذي يسمى بعلم "ما قبل التاريخ" ويرجع إلى عهد المجموعات البشرية المبكرة التي عاشت في شرق إفريقية، التي يعود تاريخها إلى مليونين ونصف مليون سنة خلت، أو ربما يزيد على ذلك. أما الفرع الثاني من علم الآثار فهو الذي يختص بالمخلفات المادية للحضارة البشرية التي عرفت الكتابة[1].

في بادئ الأمر كانت المخلفات المادية لهذه المجتمعات تحظى بالقدر نفسه من الأهمية التي تحظى به المصادر المكتوبة والمدونة، وربما تفوقها أحياناً. تلك هي الفترة التي يشار إليها بفجر التاريخ. وعند ظهور المصادر المكتوبة وتعددها تنتقل الحضارة من مرحلة فجر التاريخ إلى الفترة التاريخية بمعناها الدقيق. عندها تصبح دراسة المخلفات المادية للإنسان أداة مساعدة تخدم التاريخ[2].

علم الآثار "Archaeology" هو جزء لا يتجزأ من علم الإنسان "Anthropology" الذي يلتقي فيه كل من له اهتمام بالإنسان، وعلم الإنسان يهتم بدارسة الجماعة أو القرية أو المدينة ليس فقط لتكوين المعلومات الأساسية عن

---

[1] تقسم الحضارة البشرية حقبتين رئيسيتين هما: أ- حقبة ما قبل التاريخ، ب- الحقبة التاريخية. وقد اتفق على جعل الكتابة فيصلاً بين الحقبتين. أما أقدم دليل للكتابة معروف لدينا فهو المخطوطات السومرية التي عثر عليها في موقع الوركاء بجنوب وادي الرافدين التي يرجع تاريخها إلى ٣٢٠٠-٣٠٠٠ ق.م.

[2] غلين دانيال: موجز تاريخ علم الآثار، ترجمة عباس سيد أحمد محمد علي، دار الفيصل الثقافية، الرياض ٢٠٠٠، طبعة أولى، ص ١٥-١٦.

هذه الجزئيات ولكن للأهم من ذلك وهو الرقي إلى بلورة مفاهيم وقواعد ثابتة شبيهة بالقوانين في العلوم الأخرى[1].

نحن نعلم أن الثقافة بمفهومها الواسع تتعرض لجميع النواحي التي تلمس حياة الإنسان المادية والمعنوية والروحية والأخلاقية والتربوية.

إن الثقافة هي مجموع ما لشعب من أفكار وتقاليد ونظم اجتماعية وسياسية ومثل عليا وفلسفة وعلوم وفنون وآداب وصناعات تهدف جميعها إلى تحقيق الخير للإنسان وزيادة رفاهية الحياة ومتعها، وبهذا يمكن تمييز الجماعات والشعوب المتحضرة من الجماعات والشعوب المتأخرة وإن كان ليس هناك حد فاصل بين الشعوب المتحضرة والشعوب في بداية حضارتها.

إن علم الآثار كجزء من علم الإنسان يهتم أولاً وأخيراً بدراسة ثقافة الإنسان القديم من تلك الجوانب من الثقافة التي يمكن في الإمكان التوصل إلى معرفتها عبر الأزمان البعيدة وبالطبع فنسبة البعد أو القرب في الزمن الذي يدرسه علم الآثار لها تأثير مباشر في نوع واختلاف المادة الثقافية التي يتوصل إليها العلم من خلال البحث.

لقد انقضى قرن ونصف قرن منذ أن شبَّ علم الآثار عن طوقه متجاوزاً مرحلة التكوين والميلاد إلى مرحلة البلورة والنضج، وعلى امتداد مسيرته ظل هذا العلم يضع لبنات متزايدة لتاريخه بتجدد أهدافه وتوسع مجالات بحثه وتصارع مدارسه وتطور مناهجه وأساليبه، كل ذلك وفق إيقاع حافل بالتوافق والتعارض وبالتداخل والتشعب[2].

---

[1] علي حسن: الموجز في علم الآثار، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٣، ص ٩، ١٠.

[2] غلين دانيال: موجز تاريخ علم الآثار، ٦.

إن تاريخ علم الآثار ينبغي ألا يُفهم على أنه سجل للأحداث التي شكلت مسيرة ذلك العلم وقادت إلى تطوره، كما أنه ليس رصداً للشخصيات التي أسهمت في وضع لبنات صرحه، وإنما هو قبل هذا وذاك تتبع لتطور الفكر النظري والوسائل التطبيقية التي لازمت تلك الأحداث والأفراد وحددت مسار ذلك العلم ومصيره[1].

ليس من السهل مطلقاً تحديد تعريف دقيق لعلم الآثار فالمؤلفون يستخدمون كلمة "**أركيولوجيا**" "Archaeology" اليونانية الأصل التي تتألف من كلمتين معنى الأولى البدء بـ "Arche" والثانية معناها كلمة أو حديث "Logos". وهي تحمل معانٍ متعددة ومنها "**علم الأشياء القديمة**". فهل المقصود هو حديث مستمد من دراسة الماضي، أو بداية الإنسان؟ أم كان المقصود من هذه الكلمة اليونانية دراسة عهود التاريخ البعيد أو التاريخ القديم بوجه عام؟[2].

يحدثنا قاموس أكسفورد الإنجليزي أن أصل كلمة آثار "أركيولوجيا" مشتقة من الكلمة الإغريقية "أرخيولوجيا" التي تعني "الاهتمام بالأشياء القديمة"، ويحدثنا كذلك عن كيفية استعمالها، فهي تعني أولاً التاريخ القديم بصفة عامة، وتعني ثانياً وصفاً تفصيلياً أو دراسة تفصيلية للمخلفات الأثرية، ثم تعني ثالثاً الدراسة العلمية للمخلفات الأثرية والحضارية لفترة ما قبل التاريخ. في الوقت الذي لم يعد فيه الاستعمال الأول للكلمة مجدياً فإن الاستعمال الثالث لها أصبح محدوداً. إن حقبة ما قبل التاريخ، وإن كانت تُعنى بأطول الفترات عمراً تلك التي يهتم بها الآثاري، إلا أنها تمثل جزءاً من علم الآثار الذي يعني حسب التعريف الثاني للكلمة: "الوصف المنهجي للآثار ودراستها"، وهكذا يكون التفسير الثاني للكلمة هو الأقرب

---

[1] المرجع نفسه، ص ٥.

[2] Hawkes, Atlas of Ancient Archaeology, London, 1974.

للحقيقة. أما الشيء الذي لم يوضحه تعريف قاموس أكسفورد الإنكليزي فهو أن الوصف التفصيلي للمخلفات الأثرية ليس المقصود منه وصف المخلفات الأثرية لذاتها، وإنما هو وسيلة لتسليط الضوء على ماضي الإنسان في مرحلة ما قبل التاريخ والفترة التاريخية[1].

وقد تناولت باليونانية عهود التاريخ البعيدة والتاريخ بوجه عام. وقد ظهرت كلمة "**أركيولوجيا**" "Archacology" في القرون الأولى من تاريخنا بمعنى خاص تماماً؛ فهي تدل، في البلدان التي تتكلم اليونانية، على صنف من الممثلين، ممثلي الدراما الإيماء الذين يمثلون الأساطير القديمة على المسرح؛ وليس ذلك سوى حادث عرضي، فالعبارة تموت مع الشيء. واللغة اللاتينية لم تستقبل كلمة عالم الآثار ولا علم الآثار[2]، كذلك فعلت اللغة العربية فلم تظهر فيها هذه الكلمة حتى إن كلمة تاريخ لم تذكر في القرآن الكريم ولم يذكرها العرب في الجاهلية، وهذه الكلمة ظهرت لأول مرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وربما أخذت من اليونانية. ولم تظهر هذه الكلمة أيضاً في الأحاديث النبوية الشريفة ويعتقد أنها

---

[1] جاء تعريف **علم الآثار** في دائرة المعارف البريطانية على أنه : 'ذلك الفرع من المعرفة الذي يدرس المخلفات المادية لماضي الإنسان'. أما دائرة المعارف الأمريكية فتعرفه على أنه: "العلم الذي يتعامل مع ماضي الإنسان بهدف اكتشاف تاريخه، وصياغة تسلسل الأحداث التي شهدتها حقب ما قبل التاريخ والحقب التاريخية المبكرة". كذلك تجدر الإشارة هنا إلى أن المصادر الأمريكية تورد عبارتي علم الآثار، وآثار ما قبل التاريخ وهما يتبادلان معناهما أحياناً. لعل ذلك يرجع إلى حقيقة أن المخلفات الحضارية هناك، التي يتعامل معها علم الآثار، تعود في غالبها، وخاصة في أمريكا الشمالية إلى حقب لم تعرف الكتابة.

[2] علي حسن: الموجز في علم الآثار، ص ١١-١٣. وانظر أيضاً: جورج منو: تاريخ علم الآثار، ترجمة بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط٣، ١٩٨٢، ص ٧.

مستمدة من الكلمة التي تعني القمر أو الشهر وهي في الأكادية "أرخو" وربما كانت تعني "التوقيت بحسب القمر."

والواقع أن هذه الكلمة بعثت من جديد، بعد كسوف طويل، في القرن السابع عشر بواسطة جاك سبون (١٦٤٧-١٦٨٥) وهو طبيب عاش في مدينة ليون الفرنسية والذي كان يخلط بين كلمة أركيولوجيا وأركيوجرافيا، ولكن الذي عاش واستمر في كل اللغات هو كلمة "**أركيولوجيا**" "Archaeology"[1].

إن أي عمل بشري يعثر عليه يدخل تحت مظلة علم ما قبل التاريخ وعلم الآثار، والبعض يقول إن علم الآثار يبدأ من العصور الحجرية الأولى حتى القرن الثامن عشر، والسؤال الآن: هل هناك علم آثار واحد أم هناك علوم آثار خاصة لكل منها متطلباته ومشاكله؟.

والجواب عن ذلك أن هناك علوم آثار لم تنشأ في آن واحد وكل منها يهتم بأنواع من الأشياء المختلفة، فمثلاً علم آثار ما قبل التاريخ يدرس قطعة صغيرة من الفخار وبعض الأدوات المصنوعة من الصوان أو بعض الزخارف البدائية، في حين أن علم الآثار الإغريقية يدرس آثاراً فنية وزخرفية لا مثيل لها وليس لها نفس الأسلوب أو المظهر أو حتى الموطن الواحد[2].

إن أهمية ما يعثر عليه من آثار هي أنها تلقي ضوءاً على تاريخ رجال مثلنا تماماً وعلى حضارة متصلة بنا وبحضارتنا الحالية.

إن الكشف عن العالم القديم يؤثر فينا جميعاً ويصبح جزءاً من الميراث الثقافي العام ونحن ننصف إذا قلنا عن علم الآثار بأنه العلم الذي يهم كل إنسان ومرجع ذلك إلى أن هدفه المباشر خاصة إذا ما قارناه بالعلوم الطبيعية هو أنه

---

[1] علي حسن: الموجز في علم الآثار، ص ١٣.

[2] E Baumgartel, The Culture of Prehistoric Egypt, 2 vols. I(1955); II (London 1960); P. Singh, Neolithic Culture of Western Asia, London 1974, p2-3.

يأتي بمقدمات أبسط، فهو يبحث في كل ما خلفه الإنسان منذ أن خلق على هذه الأرض.

إن النظر نحو الماضي والرغبة في معرفة الحضارات القديمة والاهتمام بأشياء وأعمال فنية من العصور القديمة، كل هذا كان ومازال موضع اهتمام الإنسان عامة ورجال الآثار خاصة.

٧- علم الشيفرة (Cryptographic)

هو مجموعة التقنيات المستخدمة لفك رموز الشيفرة أو رموز كتابة اللغة الاصطلاحية التي تبناها طرفان لإخفاء مضمونها عن ثالث. كما تطلق هذه التسمية كذلك على التقنيات المستخدمة في تدوين تلك الكتابة. فهو إذاً بمفهومه العام: "فن حفظ أسرار المراسلات عن طريق كتابة اصطلاحية" وهذا الفن قديم جداً، وقد كشف العلماء الحديثون عن الطرائق الكريبتوغرافية في الهيروغليفية، والنصوص المسمارية، كما استخدمه اليونان والرومان، بل أن اسم "يوليوس قيصر" قد اطلق على الطرائق الكريبتوغرافيا. وللكريبتوغرافيا نظم معينة يجري فك الرموز بحسبها وهي تستخدم الأبجدية بتسلسلات مختلفة عن الأبجدية العادية، كما تستعمل الأرقام لتحل محل الحروف[1].

وفي الواقع لابد للمؤرخ من أن يعرف علم الشفرة ليتمكن من قراءة الوثائق وفهم محتوياها. وقد تشير دور الأرشيف لمفتاح مثل هذه الوثائق فتسهل عمل الباحث.

ويمكن في هذا المجال الإشارة إلى ما يسمى "بالتأريخ الشعري" ، ومعناه أن تؤرّخ حادثة ما كتابياً في بيت أو شطر بيت من الشعر اعتماداً على القيمة العددية

---

[1] الصباغ، دراسة في منهجية ...، ص ١٦٥.

لكل حرف، وفقاً لقواعد معروفة. وقد عَرَف العربُ هذا النوع من التأريخ منذ العصر الجاهلي، لكنه لم ينتشر على نطاق واسع ويصبح بدعة العصر إلا في العصر العثماني، وبعد الاستقلال تقلص استعماله واقتصر على الأحاد. وقد رُتِّبت الحروفُ الهجائية في اللغة العربية وفق عدة أشكال، نكتفي منها الآن بالترتيب الهجائي والأبجدي ، وكثير من الناس يخلطون بينهما. فالترتيب الهجائي هو الترتيب المعروف الذي نراه في المعاجم والفهارس، ويدرس في المدارس، ولا يعنينا أمره اليوم، وإنما يعنينا الترتيب الأبجدي[1].

وكان بيت الشعر أو صدره أو عجزه يرمز إلى تاريخ معين، كتاريخ تولي سلطان العرش، أو تاريخ وفاته، أو تاريخ بناء مدرسة أو مسجد أو غير ذلك. ويؤخذ من بيت الشعر عادة ما يأتي بعد كلمة تاريخ أو أرخوه أو غير ذلك ما يفيد التاريخ، ومن الأمثلة على التاريخ الشعري:

قال ابن المبلّط في تاريخ جلوس السلطان العثماني سليم الثاني بن سليمان القانوني:

ودولة ملكٍ قلت فيها مؤرّخاً سليمٌ تولّى الملكَ بعد سُليمان[2]

١٩١+٧٦+١٢١+٤٤٦+١٤٠= ٩٧٤ هـ

---

[1] جمعت الأبجدية العربية بترتيبها الأول في الكلمات الآتية: "أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ". فالألف يقابلها رقم ١، والباء ٢، الجيم ٣، والدال ٤، والهاء ٥، الواو ٦، والزاي ٧، والحاء ٨، والطاء ٩، والياء ١٠، والكاف ٢٠، واللام ٣٠، والميم ٤٠، والنون ٥٠، والسين ٦٠، والعين ٧٠، والفاء ٨٠، والصاد ٩٠، والقاف ١٠٠، والراء ٢٠٠، والشين ٣٠٠، والتاء ٤٠٠، والثاء ٥٠٠، والخاء ٦٠٠، والذال ٧٠٠، والضاد ٨٠٠، الظاء ٩٠٠، والغين ١٠٠٠. الصباغ، دراسة في منهجية ....، ص ١٦٥.

[2] دائرة المعارف، البستاني، ج ١٩، ص ٨٨.

وكُتب على حمام « الرّاس » الذي كان في مدخل سوق السُّروجية ، والذي بناه لالا مصطفى باشا سنة ٩٧١:

نادتْ طرباً وأرّختْ مُنْشِدةً حمّامك أصل راحة الأجسامِ[١]

سنة ٩٧١هـ

قال القاضي إبراهيم الغزالي في رثاء الشيخ محمد البطنيني المحدث:

عِلمُ الحديثِ فنُّه لذاك زانَ سردُهُ

ماتَ فقلتُ أرّخوا ماتَ الحديثُ بعده[٢]

سنة ١٠٧٥هـ

ومن الضروري التأكيد أن التأريخ الشعري لا يقصد منه السرية، وإنما هو نوع من الفذلكة الشعرية تشبه بتعقيداتها وتقنياتها الكريبتوغرافيا إلى حد ما.

وعلى الباحث التاريخي إذا ما أراد فك رموز الشفرة السرية، ودراسة الوثائق التي كتبت بها، أن يعرف أولاً اللغة التي كتبت بها الوثيقة، ثم النظام المتبع في الشفرة المستخدمة، وذلك بالرجوع إلى كتب الكريبتوغرافيا ومعلوماتها. وأن معرفة قواعد كتابة الوثائق السرية الخاصة بكل بلد تسهل مهمة الباحث. ومع كل هذه التسهيلات فإن عملية فك رموز الكتابات السرية عملية شاقة تتطلب وقتاً وجهداً كبيرين، وصبراً وخيالاً، وكلها صفات مطلوبة من المؤرخ. وإذا كان فك رموز الكتابة الهيروغليفية والكتابة المسمارية قد تم بالاستعانة بلغة ثانية، فإن كشوفاً أحدث من تلك ككشف المقطعية الفينيقية ما بعد الهيروغليفية في جبيل، أو الكتابة الخطية الكريتية قد جرت دون عون من لغة ثانية، وإنما باستخدام طرائق

---

[١] الكواكب السائرة، ج٣، ص ٢٠٧.

[٢] خلاصة الأثر، ج٤، ص ٢٣٢.

الكريبتوغرافيا. وهذا وحده يكفي لإعطاء هذا العلم مكانته بين العلوم المساعدة للتاريخ[1].

٨- العلوم الاجتماعية:

هناك جملة من العلوم الاجتماعية الوثيقة الصلة بالتاريخ، والتي لا يمكن للمؤرخ الذي يسعى إلى فهم الواقع الاجتماعي للحقبة التي يدرسها الاستغناء عنها، لأن التاريخ شامل كل الشمول، ولا يمكن أن يكون لدى المؤرخ، مهما كان لامعاً، معرفة وخيال كافيان لإدراك جميع وجوه مادته، فالعلوم الاجتماعية تعالج موضوعات صريحة يستطيع المؤرخ أن يكتشفها خلال بحثه[2]، ومن أهم هذه العلوم علم الجغرافيا، وعلم الاقتصاد، وعلم الاجتماع، والفلسفة، وعلم الإنسان "الانثروبولوجي Anthropology".

أ- علم الجغرافيا:

تُعدُّ الجغرافيا من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة التاريخ. والارتباط وثيق بين التاريخ والجغرافيا. فالأرض هي المسرح الذي حدثت عليه وقائع التاريخ، وهي ذات أثر كبير في توجيه مصائر النوع الإنساني، فهي التي أطعمت الإنسان وأنشأته وعينت واجباته، وأوجدت المصاعب والعقبات الطبيعية التي تشحذ قريحته للتغلب عليها والتأثير بدوره في البيئة التي يعيش فيها والعمل على استغلاله[3].

---

[1] الصباغ، دراسة في منهجية .....، ص ١٦٦.

[2] هيوج اتكن، دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، ترجمة محمود زايد، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٣، ص ٨٨.

[3] عثمان، منهج البحث .....، ص ٣٢-٣٣.

وتُعَدُّ الجغرافيا في مقدمة العلوم الاجتماعية التي لها صلة وثيقة بالتاريخ حيث إن للظواهر الجغرافية المختلفة، والعوامل الطبيعية منزلة رئيسة في التأثير في الإنسان، وبالتالي في التاريخ. ويمثل الفيلسوف الفرنسي فيكتور كوزان " F. Cousin" هذا الأمر خير تمثيل، حيث يقول كما ينقل عنه ولدرج وايست "Wooldrige and East"[1]: "أعطني خريطة قطر ما واذكر لي صفاته السطحية ومناخه ومياهه ورياحه وكل جغرافيته الطبيعية واذكر لي إنتاجه الطبيعي وحياته النباتية والحيوانية وسأخبرك ما سيكون عليه الإنسان في هذا القطر وأي دور سيلعبه هذا القطر بالتأكيد في التاريخ، ليس خلال حقبة واحدة من الزمن، بل في جميع الفترات".

إن هذا الترابط بين البيئة الطبيعية وقابليات الإنسان وقدراته وسلوكه، هو شيء محتم، فالحضارة والتاريخ ما هما إلا تفاعل بين البيئة والإنسان وقابليته. فنرى مثلاً أن المناخ العام، كحالة الأمطار، والأنهار والطقس وما تقدمه البيئة من إمكانيات اقتصادية، وكذلك موقع القطر الجغرافي، واتصالاته يؤثر في تكوين الإنسان، وفي خلقه ونفسيته، وفي حياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد أدرك المؤرخون القدماء هذه الحقيقة، فاهتموا كثيراً بالعوامل الطبيعية، وخصصوا لكتبهم التاريخية مقدمات جغرافية، ذكروا فيها الخصائص والعناصر التي أثرت في سير تاريخ البلد الذي يكتبون عنه، ولعل أوضح مثال على ذلك، ما جرى عليه معظم المؤرخين العرب في الأندلس، الذين قدموا للتاريخ بالجغرافيا، فوصفوا الميدان قبل ذكر

---

(1) The Spirit and Purpose of Geography, London 1960, P.16.

نقلاً عن: حسن طه نجم، ضوء على الفكر الجغرافي الحديث، مجلة الأستاذ، م١١، بغداد ١٩٦٢-١٩٦٣، ص ٢٩٨.

الوقائع[1]، وبذلك استطاعوا أن يفسروا كثيراً من الخصائص والمقومات الحضارية لبلدهم في ضوء المعطيات الجغرافية، وكذلك يستطيع الباحث المعاصر أن يلم بالكثير من المسائل والأحداث التاريخية الخاصة بالحضارات القديمة كتفسير بعض العقائد الدينية، والأحوال السياسية والفنية والأدبية في حضارة وادي الرافدين، ووادي النيل، وذلك إذا ما أولى انتباهه إلى الخلفية.

ويتضح لنا أيضاً أثر الجغرافيا في التاريخ من تدخلها أحياناً تدخلاً حاسماً في تغيير مجراه، فعلى سبيل المثال، كان للعوامل الجغرافية أثر بارز في عدم نجاح الحملات العربية الإسلامية على أوروبا عبر جبال البيرينيه التي تفصل إسبانيا عن فرنسا، وذلك لأن العرب لم يكونوا متعودين على القتال في تلك المناطق الوعرة، التي تتميز بشدة الأمطار، والأراضي الموحلة، والأجواء القارسة البرد[2]، فتوقف نشاطهم العسكري في حدود تلك الجبال، وانحسر تاريخهم في شبه الجزيرة الإيبيرية، التي أثروا فيها تأثيراً كبيراً، في حين أن المناطق الأوروبية الأخرى في الشمال نحت منحى آخر في التطور، وسار تاريخها باتجاه يختلف تماماً عن الاتجاه الذي ساد شبه الجزيرة الإيبيرية في القرون الوسطى، كذلك فقد عاق البحر تقدم تيمور لنك عن العبور إلى أوروبا بعد انتصاره على السلطان بايزيد الأول في موقعة أنقرة سنة (٨٠٥هـ/١٤٠٢م)، ولذلك لم يتمكن من القضاء على الدولة العثمانية الناشئة، كما كانت سهول روسيا الشاسعة، وبردها القارس، عوامل أدت

---

[1] حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط١، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ١٩٦٧، ص ٥٤-٥٥.

[2] علي محمد المياح، العوامل السوقية والتعبوية وأثرها على الفتوحات العربية الإسلامية في فرنسا، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، م٥، بغداد ١٩٦٩، ص ١٢٩؛ عبد الواحد ذنون طه، دراسات أندلسية، المجموعة الأولى، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٨٦، ص ٦٨-٧٢.

إلى إخفاق حملة نابليون عليها عام ١٨١٢م، كما أدت هذه العوامل الجغرافية أيضاً إلى فشل هجوم هتلر على روسيا في الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤١م[١].

ويكون للموقع الجغرافي لقطر من الأقطار دور بارز في تاريخه، فإن إحاطة الجزر البريطانية بالمياه من جميع جهاتها، وانفصالها عن بقية أجزاء القارة الأوروبية، قد أثر في تاريخها وحوّلها من مجرد بقعة نائية في طرف قارة كبيرة، إلى بلاد مستقلة بذاتها، لها قوانينها الخاصة، وقد ساعدها موقعها الجغرافي الفريد في عدم تدخل أوروبا في شؤونها، كما ساعدها أيضاً على أن تسيطر على البحار، وتتدخل هي في الشؤون الأوروبية، وأن تكون لنفسها أسطولاً بحرياً كبيراً، تمكنت بواسطته من فرض سيطرتها الاستعمارية على أنحاء كبيرة من العالم. إن هذه الأمثلة توضح تماماً أهمية الجغرافيا لمن يدرس التاريخ، وتبين مدى الترابط بين الاثنين. فلا بد إذاً للباحث في التاريخ، أن يتعرف إلى الأحوال الجغرافية المختلفة للمنطقة التي يريد التخصص في تاريخها، من أجل أن يفهم الظروف الطبيعية كافة، التي تؤثر في هذا التاريخ[٢].

ب- الاقتصاد:

الاقتصاد من العلوم الأساسية التي يساعد الإلمام بها على دراسة التاريخ، إذ إن العوامل الاقتصادية ذات أثر فعّال في سير التاريخ. فالثروة الطبيعية في بلد ما تحدد نوع الإنتاج الزراعي والصناعي، ونوع التبادل التجاري ومدى نشاطه. وطريقة توزيع الثروة الطبيعية أو الأموال ومدى تركزها في يد طبقة أو طبقات معينة، أو مستوى توزيعها بين فئات أكثر عدداً، يؤثر في السياسة الداخلية لدولة ما، ويؤثر

---

(١) عثمان، منهج البحث ....، ص ٣٣-٣٤.

(٢) عثمان، منهج البحث ....، ص ٣٦.

في نظام الحكم بها، وفي مستوى الرخاء أو الفقر، وفي حياة الشعب، وفي علاقة طوائفه بعضها ببعض، ويؤثر في مستوى العمران ونهوض الحضارة أو تدهورها، وتؤثر الظروف الاقتصادية في علاقة الدولة بالعالم الخارجي، سواء أكان ذلك في الناحية الاقتصادية البحتة، أم في العلاقات السياسية، وكذلك تؤثر في مستوى قوتها العسكرية ومركزها في المجتمع الدولي.

مثال ذلك، الثورة الصناعية التي حدثت في بلدان أوروبا في القرن الثامن عشر للميلاد نتيجة للمخترعات الحديثة، والتي احدثت أيضاً ثورة في النظم الاقتصادية، الأمر الذي فرض على دول أوروبا الغربية أن تنتهج سياسة التوسع والاستعمار للحصول على المواد الخام والبحث عن أسواق لتصريف المنتجات الصناعية، وكان للسلاح الاقتصادي أثر فعال في الصراع الذي نشب بين نابليون بونابرت وإنكلترا. فقد حاول كل منهما أن يستخدمه للقضاء على الطرف الآخر، ففرضت إنكلترا الحصار الاقتصادي على فرنسا، في حين أن نابليون حاول قبل ذلك غزو مصر، وكان أحد أهدافه من هذه العملية الاستعمارية تهديد مركز انكلترا الاقتصادي في الهند[1].

والظروف الاقتصادية واضحة الأثر في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) وفي الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، وفي العلاقات بين الدول الكبرى والصغرى بعضها وبعض، وهي من الأسباب الرئيسة للمشاكل والاتجاهات المختلفة البادية في شتى أنحاء العالم، لدى الشعوب والأمم الكبيرة أو الصغيرة، العريقة أو الناشئة، المتقدمة أو الناهضة أو البدائية. وستظل الظروف الاقتصادية عاملاً مهماً في توجيه مصائر الشعوب بل الإنسانية جميعاً، وقد يؤدي التنافس في

---

[1] عثمان، منهج البحث .....، ص ٣٦-٣٧.

سبيلها إلى كوارث وويلات تحل بالبشرية، كما يمكن أن يؤدي التفاهم والتقدير المتبادل في شأنها إلى أن تسلك البشرية في حياتها سبيلاً معقولاً.

وهذه أمثلة على أهمية الظروف الاقتصادية التي تُعَدُّ عنصراً أساسياً -ولكنه ليس وحيداً- في فهم وتفسير التاريخ. فينبغي على الباحث في التاريخ أن يُسلِّم بتاريخ الحركات الاقتصادية، ويدرس الأحوال الاقتصادية للعصر أو الناحية التاريخية التي يتناولها بالدراسة ويرغب في الكتابة عنها[1].

جـ- علم الإنسان (الانثروبولوجيا):

يعود لفظ أنثروبولوجيا إلى أصل يوناني مركب من قسمين: أنتوبوس "Anthropos" بمعنى إنسان ولوغوس "Logos" بمعنى علم، فهو إذاً علم الإنسان على مختلف الأصعدة انطلاقاً من الجانب الفيزيائي إلى الفكري أو الرمزي، لذلك عرفه بعضهم على: "أنه التاريخ الطبيعي للجنس البشري". ودأب الأنثروبولوجيون على تقسيم هذا العلم إلى فرعين كبيرين هما: الأنثروبولوجيا الطبيعية أو الفيزيائية وتدرس خاصة البنية الخارجية للإنسان أو التركيبة البيولوجية للإنسان. والأنثروبولوجيا الثقافية وتدرس الانتاجات الفكرية للمجموعات البشرية وسلوكهم وعلاقتهم بالمحيط الذي يعيشون فيه. كل ذلك عبر الأحقاب التاريخية ومع مراعاة اختلاف الأزمنة والأماكن التي وجد فيها العنصر البشري المدروس[2].

يعَدُّ علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) من أكثر العلوم الاجتماعية صلة بالتاريخ، فهو يعالج المسائل التاريخية عند تتبعه مجرى التطور البشري وانتشار بني الإنسان

---

[1] عثمان، منهج البحث .....، ص ٣٨.

[2] فريد بن سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس ٢٠٠٠، ص ١٢٧.

على سطح الأرض، ونشوء الثقافات الإنسانية[1]، كما يدرس مؤسسات المجتمعات الأولى، وأديانها وفنونها وطقوسها وشعائرها وقيمها، ونظرتها إلى الحياة وتقاليدها. فهو يهتم بحضارتها جملة وتفصيلاً، لهذا فإن الاهتمام به لمعرفة أصول المجتمعات مفيد جداً لدارس التاريخ الذي يهتم هو الآخر بالإنسان والمجتمع.

ربما كان علم الإنسان أشد العلوم الاجتماعية ملاءمة للمؤرخين، لذلك فإن علماء الإنسان والمؤرخين يواجهون مشكلات كثيرة مشتركة، وتظهر بينهم عند بحثها اختلافات متشابهة في الرأي. والخط الفاصل بين علم الآثار والتاريخ غير واضح، وقد جرى علماء الإنسان على دراسة ثقافة الإنسان البدائي، أما المؤرخون فيدرسون الإنسان المتحضر.

ومن أعظم أسباب التخبط بشأن مكانة علم الإنسان في باب العلوم الإنسانية العلمية هو أن مادته ذات صبغة عامة. وهذا ما حدا بوليم شتراوس الابن أن يقول: "لا اعتقد أن لعلم الإنسان وجوداً منفصلاً كالطبيعيات، وإنما هو موجود من حيث إنه ميدان يلتقي فيه كل من لهم اهتمام بالإنسان"[2].

وعلم الإنسان يعالج بالضرورة المسائل التاريخية عند تتبعه مجرى التطور البشري، وانتشار البشرية على سطح الأرض، ونشوء الثقافات الإنسانية. ثم إن مناهج علم الآثار والعلم الإنسان الفيزيائي هي في أساسها مناهج التاريخ مع تعديلات تتطلبها المعطيات، فنجد مثلاً أن مرحلة الإنسان الفيزيائي التي تدور حول تطور البشر والحيوانات العليا هي في جوهرها بحث تاريخي؛ ثم إن عادة التمييز في علم الإنسان الثقافي بين تاريخ الثقافة أو علم الأجناس البشرية (الأنثروبولوجيا)، وبين علم الإنسان الاجتماعي تزداد رسوخاً. فتاريخ الثقافة وعلم

---

(1) أتكن، دراسة التاريخ ...، ص٢٦ - ٢٨

(2) Sol, Tax, Loren C, Eiseley, Irving Rouse, and Carl F. Voegelin, eds, Chicago, Unversity of Chicago press, 1953.

الأجناس يدرسان الانتشار والهجرات والتغير الثقافي، أما علم الإنسان الاجتماعي فينصب على دراسة نماذج معينة من الثقافة والشخصية والبناء الاجتماعي[1].

وقد ساهمت الأنثروبولوجيا بمختلف فروعها (اجتماعية، سياسية، ثقافية، تاريخية...) في توسيع دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية شأنها في ذلك شأن علم الاجتماع والجغرافيا... وقد تم ذلك في ظرفية تاريخية معينة اتسمت بتفوق النزعة الاستعمارية في العالم الغربي، فأسدى آنذاك الأنتروبولوجيون خدمات جليلة لرجالات السياسة في القرن التاسع عشر. كما تكتسي تقارير الأنثروبولوجيين أهمية كبيرة لدى المؤرخين والمهتمين بالأنثروبولوجيا التاريخية إذ تمثل المصدر لمعلوماتهم الرئيسية عن الظاهرة الاستعمارية وتطورها في تلك الفترة[2].

د- علم الاجتماع:

علم الاجتماع هو علم دراسة الإنسان والمجتمع دراسة علمية تعتمد على المنهج العلمي وما يقتضيه هذا المنهج من أسس وقواعد وأساليب في البحث. فهو يدرس المجتمع ككل في ثباته وتغيره، ويدرس الإنسان من خلال علاقته بالمجتمع. وإذا كان كل علم من العلوم الإنسانية يدرس جانباً من الإنسان والمجتمع فإن علم الاجتماع يدرس حصاد تفاعل العلاقات بين هذه الجوانب من ناحية وبينها وبين الإنسان من ناحية أخرى، فعلم الاجتماع يستفيد من دراسة هذه النواحي ونتائج

---

(1) أنكن، دراسة التاريخ ....، ص ٢٨

(2) سليمان، مدخل إلى دراسة التاريخ...، ص ١٢٧.

دراستها مما يساعد في النهاية على إقامة وحدة فكرية شاملة حول الإنسان والمجتمع ماضياً وحاضراً وتوجهاً نحو مستقبل مفقود ومرغوب به[1].

ومن أول من تعرض لأهمية علم الاجتماع من المسلمين ابن خلدون في مقدمته حيث كان أول من نادى بضرورة إنشاء علم العمران البشري وهذا العمران لديه يعني الاجتماع الإنساني وظاهراته، فهو لم يدرس الاجتماع الإنساني إلا بقصد ما يلحقه من العوارض والأحوال واحدة بعد الأخرى. لقد تطلع إلى المجتمع من خلال الطفولة والشباب والهرم كما الدولة أيضاً، وأشبع هذا الموضوع إشباعاً يكاد يكون متكاملاً بالنسبة إلى غيره من الذين أتوا بعده مثل أوغست كونت وأميل دوركايم وكارل ماركس وغيرهم ممن طرق هذا الموضوع كل حسب نظرته التي ظلت قاصرة عما جاء به شيخ علم الاجتماع ابن خلدون، وإن الكل تقريباً يتفقون على أن علم الاجتماع هو البحث بطبائع المجتمع وتطوره مع الأخذ بعين الاعتبار تصنيف كل واحد منهم لهذا العلم في درجة معينة من العلوم فكونه يضعه في المرتبة الخامسة أو السادسة بعد العلوم الأخرى ويقوم عنده على دعائم الفلسفة الوضعية التي تنظر إلى جميع الظاهرات على أنها خاضعة لقوانين طبيعية لا تتغير[2].

والمؤرخ غالباً ما يقدم مادة يستعين بها عالم الاجتماع، كما يستفيد المؤرخ من علم الاجتماع كما يستفيد من الفلسفة التي كان يستمد منها المفاهيم والأفكار العامة، وأصبحت الآن تؤخذ من علم الاجتماع.

---

[1] قاسم يزبك، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٠، ص ٦١-٦٢..

[2] يزبك، التاريخ ومنهج ...، ص ٦٣.

وكل من التاريخ الحديث وعلم الاجتماع يتأثران على وجه الشبه بفلسفة التاريخ التي تؤكد للمؤرخ تصور المراحل التاريخية وتمنحه أفكاراً نظرية لم تكن موجودة في أعمال المؤرخين الحوليين والإخباريين القدامى، كما أنها زودت علم الاجتماع بفكرة النماذج التاريخية للمجتمع.

على هذا فإن التاريخ الحديث وعلم الاجتماع الحديث يستخدمان الإطار المرجعي الرسمي نفسه في دراسة نماذج المجتمع. وقد نستطيع القول في هذه الأوجه التي يلتقي فيها التاريخ بعلم الاجتماع ما قاله أحد المفكرين: "**إن التاريخ هو علم الاجتماع الماضي وعلم الاجتماع هو تاريخ الحاضر**"[1].

٩- الآداب والفنون:

أ- الأدب:

الأدب وثيق الصلة بالتاريخ، فهو مرآة العصر، وهو تعبير عن أفكار الإنسان وعواطفه، وهو يفصح عن دخائل البشر ويصور أحلامهم وأمانيهم، ويرسم نواحي مختلفة من حياتهم الواقعية، من حياة الأفراد أو الجماعات، ومن حياة المدينة أو الريف، بل من النظم، ومن الحال الاقتصادية، ومن العلم والفن، ومن الحرب والسلام، ومن كل ما يقع تحت حسّ الإنسان ويدخل في نطاق إدراكه أو تصوره.

فالأدب المصري القديم، مثلاً، على الرغم من قلة ما وصل إلينا من آثاره، يساعد الباحث في التاريخ على فهم نواح مختلفة من الحياة المصرية القديمة. والباحث في ناحية من التاريخ الإيطالي في القرن الرابع عشر مثلاً، لا يمكنه أن

---

[1] المرجع نفسه، ص ٦٤.

يفهم موضوع بحثه دون دراسة آثار دانتي[1] الأدبية. فهو يصور في كتاباته العواطف الإنسانية، ويرسم الإنسان الذي يتألم والذي يتعرض للخطيئة، ويصور القلب المليء بالأسرار، ويرسم اليأس والأمل، والغلظة والرقة، والطغيان والحرية، والظلم والعدالة، والشقاء والسعادة، والكراهية والمحبة. وتشرح آثاره الأدبية مساوئ العصر الذي عاش فيه، وتبين رغبته وأمله ووسائله في إصلاح المجتمع البشري بتحرير الناس من أدرانهم، وبتعليمهم وتهذيبهم وصقلهم، حتى يكونوا مواطنين صالحين، ثم بالقضاء على الأحزاب السياسية والمنازعات الداخلية، وإيجاد إمبراطور عالمي بسط عدالته ورعايته على أنحاء العالم وينظم العلاقة بين كل دولة ورعاياها.

فكتابات دانتي المتنوعة تشرح هذه النواحي المختلفة في الحياة الإيطالية في أواخر العصور الوسطى، وتمهد لعصر النهضة فالعصر الحديث، والإلمام بها شيء ضروري لتناول كل ناحية من تاريخ ذلك الزمان، ولا نبالغ إذا قلنا إن الإلمام بأشياء من آثار دانتي أمر ضروري لدراسة كل ناحية في التاريخ أو المجتمع الإيطالي حتى الوقت الحاضر.

والقياس صحيح بالنسبة لضرورة الأدب العربي لدراسة موضوع ما من التاريخ العربي، أو بالنسبة لأهمية الأدب الإنكليزي لفهم التاريخ الإنكليزي وهكذا. ودراسة

---

[1] دانتي اليجيري Dante Alighieri (١٢٦٥-١٣٢١): أحد عظماء الشعراء في العالم ويعد واحداً من العباقرة في تاريخ البشرية. عاش حياة متأرجحة وتعرض لأهواء السياسة الحزبية وقاسى من حياة المنفى. امتاز برهافة الحس وصدق القول ودقة التعبير. وأعظم آثاره الأدبية هي الكوميديا الإلهية. وهي ثلاثة أقسام الجحيم والمطهر والفردوس، وقد استمدها من عناصر وثقافات متنوعة من القديم والحديث، ومن الشرق والغرب والجنوب، ومن الأسطورة والتاريخ والسياسة والعلم والدين واللاهوت والفلسفة والطبيعة والمجتمع والفن. انظر: عثمان، منهج البحث....، هامش ص ٣٩.

الأدب بصفة عامة توسع عقل الإنسان وتصقل نفسه وتجعله أقدر على الفهم والاستيعاب. ولابد للراغب في كتابة التاريخ أن يتذوق الشعر لكي يفهم ملكة الخلق والابتكار، ويلزمه أن يقرأ شيئاً من القصص الأدبية لكي يتعلم فن عرض الموضوع، وإبراز الحوادث الهامة، وبحث الشخصيات الأساسية والثانوية، ووضع التفاصيل والجزئيات في المكان الملائم، وإحكام الإطار العام للموضوع الذي يدرسه، وإثارة انتباه القارئ، وجعله قادراً على استيعاب ما يقدم إليه وتذوقه. ويحسن بدارس التاريخ كذلك أن يلم بشتى مذاهب النقد الأدبي، إذ إن دراسة حياة الأدباء، وتحليل آثارهم وتذوقها، ونقدها من ناحية اللفظ والموضوع والمعنى تقدم للمؤرخ ذخيرة قيمة تعينه في دراسته التاريخية[1].

ب- الفنون:

والإلمام بنواحٍ من فنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة الخاصة بعصر ما، تساعد كذلك على فهم تاريخه. وهذه الفنون -كالآثار الأدبية- مرآة العصر. فهذه الفنون في مصر القديمة، أو في آشور، أو في الهند والصين، أو في اليونان، أو في إيطاليا أو فرنسا، تعكس جميعها صوراً دقيقة من حضارات تلك البلاد، وتبين كثيراً من خفايا أهلها ومن حياتهم ومن تقاليدهم ونظمهم وأحلامهم وأمانيهم.

ونضرب مثلاً على ذلك، فمن يرغب في التخصص في ناحية من تاريخ العصور الوسطى في جنوب فرنسا، عليه أن يعرف شيئاً من الألحان الشعبية لشعراء التروبادور التي كانوا يؤدونها مصحوبة بحركات الرقص الجماعي والغناء، وأن يدرك أن هذا الفن ما هو إلا حصيلة التأثير الذي تركته الحضارة العربية

---

[1] عثمان، منهج البحث ....، ص ٣٨-٤٠.

الإسلامية، التي انتقلت من المشرق عبر الأندلس إلى جنوب فرنسا ومنها إلى أقطار أوروبا[1]

وكيف يمكن لمن يرغب في دراسة ناحية من تاريخ عصر النهضة في إيطاليا بخاصة، أو من تاريخ إيطاليا بعامة أو ناحية من تاريخ فرنسا مثلاً -كيف يمكنه أن يستوعب ما يدرسه منها ويدرك دخائلها، دون أن يكون ذا حظ مناسب من هذه الثقافة الفنية التشكيلية أو المعمارية؟ لقد أدركت الجامعات ومعاهد العلم في كثير من أنحاء العالم المتحضر أهمية هذه الناحية، فأدخلت هذا النوع من الثقافة الفنية في مناهج الدراسة في كليات الآداب بها، إلى حد إنشاء الكراسي الخاصة بالأساتذة في بعض الكليات. والمقصود بذلك أن تخدم هذه الثقافة الفنية سائر الدراسات الأدبية أو الإنسانية أو العلمية، والتي من بينها دراسة التاريخ، فضلاً عما في هذه الثقافة في حد ذاتها من السعي إلى السمو بالروح وتهذيب النفس. ومجمل القول إن دراسة شيء من فنون الرسم والتصوير والنحت والعمارة لعصر ما، يساعد على دراسة تاريخه والكتابة عنه.

وإن تذوق طرف من موسيقى العصر المسمى بما قبل الرومنسي في مجالي الفن والأدب في القرنين السابع عشر والثامن عشر، والتي تبلورت في روائع الألحان التي ألفها أمثال بالسترينا، أو مونتفيردي، أو فالفيردي، أو باخ، أو فيفالدي، والتي تتضمن ألحاناً راقية أو ألحاناً تصف الطبيعة، أو ألحاناً دينية تعبر عن عذاب البشرية وخلاصها، أو ألحاناً تعبر عن نواح من خفايا النفس البشرية، يساعد بلا ريب في جعل المتذوق أقدر على فهم روح هذين القرنين، وأقوى على

---

[1] عثمان، منهج البحث .....، ص ٣٩-٤٠.

الكتابة في الموضوع التاريخي الذي يقع اختياره عليه منهما بخاصة أو في دراسة التاريخ والكتابة عنه بعامة[1].

وختاماً من المفيد أن يلّم الباحث في التاريخ بطائفة أخرى من العلوم المساعدة، فيلزمه أن يدرس شيئاً من المنطق الذي يفيده في بنائه التاريخي. وكذلك يفيده الإلمام بتقسيم العلوم في أن يفهم موضوع التاريخ من سائر العلوم. كما ينبغي عليه أن يدرس أشياء من فلسفة التاريخ وآراء المفكرين فيه مثل إشبنغلر وبرجسون وكروتشي وكولنجوود. وهو في حاجة كذلك إلى أن يعرف أشياء عن علم الأجناس ومن علم الاجتماع، ومن علم النفس، ومن القانون، ومن النظريات السياسية، ومن علم الإحصاء، ومن الرياضة أو الفلك أو النبات أو الحيوان... إذا ما عرضت له نواح من هذه المسائل. وإذا لم يكن له بها معرفة سابقة فيمكنه تحصيل القدر الذي يكفيه منها لفهم الموضوع التاريخي الذي يعالجه، حينما يصبح في حاجة إلى ذلك[2].

---

[1] عثمان، منهج البحث .....، ص ٤٤-٤٧.

[2] عثمان، منهج البحث .....، ص ٥١.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الرابع

اختيار موضوع البحث التاريخي

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

تمهيد:

يعد اختيار الموضوع في مقدمة الأمور التي يجب أن يضطلع بها الباحث عند قيامه بعملية البحث التاريخي، وتختلف مسألة اختيار البحث بالنسبة إلى الباحث في المراحل الأولى للتعليم الجامعي، عنها عند الباحث الذي يلتحق بالدراسات العليا لإعداد رسالة الماجستير أو الدكتوراه، فالطالب المبتدئ في الجامعة لا يُنتظر منه أن يقدم بحثاً علمياً أصيلاً، غير أنه يقوم بعملية البحث من أجل الإعداد والتدريب، ولهذا فإن اختياره لموضوع البحث يتم عادة بإرشاد أساتذته الذين يشيرون عليه بمواضيع تاريخية متنوعة لها علاقة بمادة الدرس التي يكون فيها عمل البحث، وغالباً ما يكون موضوع البحث موضوعاً عاماً، ليتمكن الطالب من التعرف إليه والإحاطة به بسهولة، ويمكن للطالب أن يزيد معلوماته الأولية عن موضوع البحث المختار في هذه الحالة بقراءة المصادر والمراجع الخاصة بمادة الدرس، ومراجعة دوائر المعارف، والمعاجم التي توفر معلومات سريعة عن الأعلام والأماكن، وتزود الطالب بقائمة من المصادر والمراجع التي لها صلة بالموضوع، وبعد ذلك، يتجه الطالب إلى الكتب التي تختص أكثر بموضوع بحثه، ليستخلص منها المعلومات التي يستعين بها على إعداد البحث[1].

إن هذا النوع من البحوث يدخل ضمن البحوث القصيرة أو المقالة، والمطلوب من الطالب أن ينجزه خلال الفصل الدراسي، والهدف منه كما أسلفنا، وهو تدريب الطالب على استخدام المصادر والمراجع، واستعمال الوثائق والكتب المتوفرة في مكتبة الجامعة، لدفعه إلى القراءة والمراجعة ومحاولة ترتيب المعلومات وتحليلها، واستخلاص النتائج، وتعويده على التفكير والنقد الحرّ، وبالنظر إلى ضيق الوقت وانشغال الطالب بمواد أخرى في أثناء الفصل الدراسي، وكثرة عدد

---

[1] عثمان، منهج البحث التاريخي...، ص ٥٣.

الطلبة في السنة الواحدة، يكون البحث قصيراً ومركزاً ليتمكن الطالب من إعداده بشكل جيد[1]، وكلما تدرج الطالب في مراحل التعليم الجامعي وجب أن تكون البحوث التي يقوم بها أقل عمومية من بحوث المراحل الأولى.

وهنا لابد من أن يتم الاختيار بإرشاد من الأساتذة المختصين الذين هم أقدر على توجيه الطالب إلى البحوث التي يمكن أن ينجح فيها بتقديم بحث مصغر، يدل على مدى تدريبه وإعداده ويستخدم فيه خبرته التي حصل عليها في السنوات الدراسية السابقة، ولا يشترط في كل هذه البحوث الأصالة، إنما الغرض منها الإعداد والتدريب للمستقبل ولاسيما إذا فكر الطالب في إكمال تعليمه الجامعي والالتحاق بالدراسات العليا.

أما البحوث التي يقع الاختيار عليها بالنسبة للدراسات العليا، فيجب أن تتميز بميزات معينة، فهي أطول وأكبر من حيث الحجم والمادة التي يجب أن تتضمنها، كما أنها يجب أن تتميز بالأصالة والجدية والابتكار، لأنها ستكون جزءاً أساسياً من المواد التي يجب أن يستوفيها الطالب للحصول على الشهادة العلمية، وفي مثل هذا النوع من البحوث تقع مسؤولية الاختيار على عاتق الطالب وحده، الذي يجب أن يقرأ ويطالع الكثير من المصادر التي لها علاقة قريبة، بالموضوع، وفي الحقيقة إن اختيار مواضيع البحوث لهذه الدراسات ليس أمراً سهلاً، لذلك نرى أن معظم طلبة الدراسات العليا يلجؤون إلى أساتذتهم ليختاروا لهم الموضوعات التي يبحثونها، وهذا أمر خطير يجب التحذير منه، لأن هؤلاء الأساتذة ربما كانوا لا يعرفون ميول الطلبة أو قدراتهم الحقيقية، فيشيرون عليهم بموضوعات لا تتفق مع هذه القدرات والميول، فيبدأ الطالب بالعمل، لكن سرعان ما يتعثر نتيجة لعدم

---

(1) عمار بوحوش، دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٥، ص ١٢-١٣.

انسجامه مع الموضوع، أو عدم رغبته فيه واضطراره إلى اختياره اعتماداً على توجيه الأستاذ المشرف بسبب ضيق الوقت، فتكون النتيجة تعثر الطالب وتأخره ومحاولاته المستمرة لتغيير موضوع بحثه، ولهذا يجب الانتباه جدياً إلى موضوع الاختيار، لأن أي خطأ في الموضوع قد يوقع الطالب الباحث في متاهات يمكن أن تؤدي إلى بعثرة جهوده[1].

وفي الحقيقة إن صنع معرفة علمية من الماضي الإنساني عمل شاق ومعقد، إلا أنه يمكن تحليله إلى مراحل أو خطوات تجعل إدراكه أكثر سهولة ويسراً[2].

وهذه الخطوات هي:

١. اختيار موضوع البحث
٢. خطة البحث
٣. جمع المادة العلمية للبحث (المصادر والمراجع)
٤. النقد
٥. التركيب التاريخي
٦. إنشاء الموضوع

وسنكتفي هنا بتناول اختيار موضوع البحث وخطة البحث وجمع المصادر والتوثيق فقط.

---

[1] محمد أزهر سعيد السماك وقيس سعيد الفهادي وصفاء يونس الصفاري، أصول البحث العلمي، ط٢، مطبعة جامعة صلاح الدين، أربيل ١٩٨٦، ص ٢٠؛ أميل يعقوب، كيف تكتب بحثاً أو منهجية البحث، جروس برس، طرابلس-لبنان، ١٩٨٦، ص ٣٠.

[2] الصباغ، دراسة في منهجية ...، ص ١٩٤.

أولاً- اختيار الموضوع:

اختيار موضوع البحث أو الرسالة قد يبدو مهمة شاقة على الطالب؛ إذ إنه ربما يظن أن أهم الموضوعات التي تتصل بتخصصه قد بُحثت ووضحت، والحقيقة أن هذه الفكرة لا تتفق مع الواقع في شيء؛ فأغلب الأساتذة -إن لم يكن كلهم- يدركون أن موضوعات كثيرة لا تزال في حاجة إلى من يدرسها ويخرجها للوجود، وكثير منهم يشغلون أنفسهم بإخراج واحد من هذه الموضوعات، ويتمنون لو أتيح لهم أن يحصلوا على من يعمل معهم في الموضوعات الأخرى، ولكن الأساتذة يحرصون على أن يتركوا للطالب أو الباحث حرية اختيار موضوعه، ومن أجل هذا كان على الطالب أن يثابر على حضور محاضرات أستاذه، وأن يكون وثيق الصلة بأساتذة المادة التي تخصص فيها، ويجالسهم ويناقشهم، وسيصل حتماً إلى معرفة الموضوعات التي تستحق دراسة أوسع وأعمق؛ فيختار منها ما يلائمه ويوافق ظروفه[1].

إن أهم ما يجب مراعاته في اختيار مواضيع البحث هي رغبة الطالب فيه، والجدة في الموضوع، وأهميته وحصر وضيق ميدانه ووفرة المادة ومصادر البحث ومراجعه والقدرة على معالجتها، ويجب على الباحث إذ وجد في نفسه ميلاً لدراسة موضوع ما أن يسأل نفسه الأسئلة الآتية[2]:

١. هل يستحق هذا الموضوع ما سيبذل من جهد؟

٢. أمن الممكن كتابة رسالة عن هذا الموضوع؟

---

[1] أحمد شلبي، كيف تكتب بحثاً او رسالة، ط٦، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٨، ص ٢٣-٢٤.

[2] شلبي، كيف تكتب بحثاً ...، ص ٢٤؛ يوسف مصطفى القاضي، مناهج البحوث ودراستها، دار المريخ للنشر، الرياض ١٩٧٩، ص ١٢٩؛ أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط٥، وكالة المطبوعات، الكويت د.ت.، ص ٨٠-٨٤.

٣. أفي طاقتي أنا أن أقوم بهذا العمل؟

٤. هل أحب هذا الموضوع وأميل إليه؟

فإذا كانت الإجابة بالنفي عن أي من هذه الأسئلة، على الباحث أن يحاول الكتابة في موضوع آخر، دون أن يهدر جهده في بحث لا يمكن أن تستكمل فيه عوامل النجاح.

وإذا ما أعدنا النظر في الأسئلة المذكورة سابقاً، نجد أن الباحث لا يستطيع أن يبحث في أي موضوع كان، فلا تكفي الرغبة مثلاً في استمرار الباحث بالبحث، لأن المفروض أن يكون عمله مبتكراً وأصيلاً في العلم، ويكشف عن حقائق تاريخية جديدة، ومن الضروري الابتعاد ما أمكن عن المواضيع المطروقة، ولا بأس من اختيار موضوع مطروق إذا رأى الباحث أنه يمكن أن يأتي فيه بأمور جديدة أو أنه عثر على وثائق جديدة لم يستعملها الباحثون من قبله، والمهم في الأمر أن يكون الموضوع بذاته ذا أهمية ويستحق الدراسة، لا من أجل الحصول على شهادة الماجستير أو الدكتوراه فحسب، بل لنشره فيما بعد على القراء للإفادة منه والاستمتاع به، ولهذا ينصح الطالب باختيار الرسائل النافعة لا تلك التي تختفي في مكاتب أصحابها، وفي ركن الرسائل الجامعية في المكتبات المركزية، بمجرد حصول أصحابها على الدرجة العلمية التي تقدموا لها[1]. ومن المفضل أن يكون البحث المختار ذا نفع علمي للباحث والمجتمع، كأن يحاضر فيه إذا كان مدرساً، أو ينتفع به في تطوير تخصصه، وزيادة معلوماته في دراسة عصر من العصور أو حقبة معينة من الزمن.

وعند اختيار البحث لا بد أيضاً من مراعاة إلمام الطالب بالعلوم المساعدة المرتبطة به، ولاسيما اللغات، فلو رغب الطالب في دراسة تاريخ اليونان القديم

---

[1] شلبي، كيف تكتب بحثاً...، ص ١٢٥؛ يعقوب، كيف تكتب بحثاً، ص ٢٥.

مثلاً، يجب عليه أن يتعلم اللغة اليونانية القديمة، وإن أراد أن يدرس العلاقات بين فرنسا وبريطانيا في حقبة من العصر الحديث، يجب عليه أن يلم باللغتين الفرنسية والإنكليزية، إضافة إلى لغته الأصلية، كذلك الحال إذا اختار موضوعاً عن العصور الوسطى الأوروبية وغيرها من المواضيع التي تتطلب معرفة اللغة اللاتينية، وغيرها من اللغات الأخرى الضرورية للبحث، فإذا لم يكن الباحث مستعداً، أو قادراً على أن يفعل ذلك يتوجب عليه الابتعاد عن مثل هذه المواضيع والاتجاه إلى مجال آخر يمكن أن يكون ذا خبرة بأصوله وقواعده أو على استعداد لدراسته[1].

كذلك يجب على الباحث أن يلتزم بالزمن المحدد لإنجاز بحثه، فيكون اختياره للموضوع ضمن الإطار، إذ ينبغي ألا يختار بحثاً طويلاً لا يمكن إنجازه أو الإتيان فيه بجديد ضمن المدة المقررة وليس من الضروري أن يتم تحديد العنوان الرئيس في أول الأمر، ويكفي تحديد العصر والنواحي التي تصلح موضوعاً للبحث في نطاق معين، ثم يمكن التحديد النهائي بعد المضي قدماً في القراءة والبحث، وذلك بتوافر المصادر والمراجع والمعلومات الخاصة به، وسهولة الحصول عليها في الوقت المحدد لإنجازه[2]، كما يجب أن يكون البحث محصوراً في نطاق ضيق[3]، وكلما كان البحث أكثر تخصصاً كان أكثر صلاحية، لأن الإحاطة بالمواضيع الواسعة عملية صعبة جداً، لا ينجم عنها إلا المعالجة السطحية، ولا يمكن أن يكتب عنها بحث علمي تاريخي، فلا يجوز مثلاً أن يتخذ الباحث التاريخ

---

(1) عثمان، منهج البحث...، ص ٥٧.

(2) Rall Berry, How to Write A Research Paper, 2cd ed. Pergamon Press, Oxford 1969, P.7.

(3) سيد محمود الهواري، دليل الباحثين في كتابة التقارير والمقالات ورسائل الماجستير والدكتوراه، ط٢، مكتبة عين شمس، القاهرة ١٩٧١، ص٣.

الأموي بأكمله موضوعاً للبحث، لأنه موضوع طويل جداً، ولا يمكن دراسته دراسة عميقة في سنوات قلائل، فالمفروض أن يتخذ الطالب، إذا رغب في دراسة هذا العصر، جزءاً منه كأن يدرس فتوحات الخليفة عبد الملك بن مروان، أو التعريب في عهده، أو جانباً من المعارضة في العصر الأموي[1].

والمسألة الأخرى التي يجب أن ينتبه إليها الباحث عند اختياره لموضوع دراسته، هي التجرد وعدم التحيز واستعداده التام لإعلان نتائج البحث، لهذا يفترض ألا يتجه إلى المواضيع التي لا يشعر بالميل إليها، أو أنه يمكن أن يتعصب لها أو عليها، فلا يختار مثلاً موضوعاً يتنافى مع عقيدته وعاطفته وكذلك يجب أن يحذر من المواضيع التي لا يستطيع فيها أن يكبح جموح هواه، فيفقد ميزة الموضوعية، والنزاهة العلمية والإنصاف التي يجب أن يتحلى بها الباحث[2].

وأخيراً ينبغي لدارس التاريخ الحديث والمعاصر أن يلاحظ مسألة تتعلق بالفترة التي يبدأ فيها البحث، فهناك من يرى أن التاريخ الحديث يبدأ من القرن السادس عشر للميلاد، في حين أن آخرين يرونه يبدأ بعصر النهضة، كما أن هناك من يعد بداية التاريخ المعاصر منذ الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، في حين أن هناك من يعد بداية التاريخ المعاصر منذ ثورة السبعين ١٨٧٠م بين فرنسا وبروسيا، غير أن المصطلح المتفق عليه لدى الدارسين: "أن التاريخ كموضوع للدراسة العلمية لا يجوز أن يتعدى فترة تبعد مدة خمسين سنة –على الأقل– بالنسبة إلى الوقت الذي يتناول فيه الباحث بالدرس والتأليف العلمي"[3]، ويرجع سبب هذا التحديد إلى إعطاء المؤرخ فرصة ليبعد قدر الإمكان عن الأحداث، حتى

---

[1] عثمان، منهج البحث...، ص ٥٧؛ أحمد ابو ضيف، منهج البحث التاريخي...، ص ١٤٣.

[2] شلبي، كيف تكتب بحثاً...، ص ٣٨؛ يعقوب، كيف تكتب بحثاً، ص ٣١.

[3] عثمان، منهج البحث...، ص ٥٩.

لا يتأثر بها من الناحية الشخصية من حيث الميول والأهواء، أو الاندفاع وراء التيار العام، الذي يمكن أن يؤثر في حكمه على الأحداث. كما يتيح له تقدم حقبة زمنية تهدأ فيها حركة الاحداث التاريخية، ويتبلور مضمونها وبذلك تصبح أقرب إلى التصور والدراسة والاستيعاب.

وهناك سبب آخر لهذا التحديد، وذلك أن دور الأرشيف التاريخية لا تفتح أبوابها للباحثين إلا بعد انقضاء تلك المدة –أي خمسين سنة– وذلك مراعاة للمصالح السياسية أو العسكرية التي تحرص عليها الدول. ومع ذلك، فإن هذه الوثائق التي تنشر، لا تتضمن كل الحقائق، بل هناك ما يحرص على عدم نشره، إذا كان في ذلك ضرر للدولة المعنية. مثال ذلك الوثائق السرية جداً التي يكتبها رجال الدولة والمسؤولون فيها والتي تتناول بعض المسائل الخطيرة، وقد تظل محجوبة عن الدارسين فترة تصل إلى قرنين من الزمن[1].

---

[1] عثمان، منهج البحث...، ص ٦٠.

ثانياً – خطة البحث:

بعد أن يتم اختيار الموضوع الذي يتفق مع اختصاص وميول ومقدرة الباحث يجب التفكير في وضع خطة أو هيكل عام مؤقت للبحث، يتوخى فيه الترتيب المنطقي المتسلسل، والوحدة في الموضوع. وتختلف المواضيع عادة في الخطة المقترحة، وذلك تبعاً لطبيعة المادة وحجم البحث، والمدة المقررة لدراسته وغيرها من المؤثرات الأخرى. وفي أي حال يمكن للباحث أن ينتفع بجهود من سبقوه، ولاسيما أولئك الذين كتبوا رسائل جامعية ناجحة، بحيث يستطيع أن يراجع تلك الرسائل التي تماثل موضوعه، وضمن اختصاصه العام. وليس معنى هذا أن الطالب سيتبع الخطة نفسها التي كتبت بها تلك البحوث العلمية، بل ليسترشد بها في وضع الخطوط العامة لبحثه، مع ملاحظة اختلاف الظروف من موضوع إلى آخر ومن فكرة إلى أخرى[1].

وفي أي حال، فإن كل خطة أو هيكل للبحث لابد من أن تحتوي على العنوان الذي يجب أن يكون مختصراً وواضحاً، ومنبثقاً من الموضوع نفسه، والمقدمة التي تشير إلى أهمية الموضوع ومبررات اختياره ووصف البحوث التي اعتمدها الباحث بالدرجة الأولى، ثم يلي المقدمة متن البحث الذي يحتوي على أبواب وفصول بالنسبة للرسائل الكبيرة، ولاسيما رسائل الماجستير والدكتوراه. أما بالنسبة إلى البحوث الصغيرة التي تقدم في المراحل الأولى من الدراسة الجامعية، فلا تحتاج إلى مثل هذا التفصيل، بل يُكتفى بتفريع الخطوط الأساسية للبحث على أساس سليم وأفكار منظمة، كالترتيب الزمني مثلاً، أو بحسب الأهمية، ثم تأتي الخاتمة في آخر البحث بحيث يجمل فيها الأفكار والنتائج. ولا يجوز أن تعد

---

[1] شلبي، كيف تكتب بحثاً...، ص ٣٣-٣٤؛ عبد الله الفياض، التاريخ فكرة ومنهجاً مطبعة أسعد، بغداد ١٩٧٢، ص ٥٠-٥٢.

الخطة ارتجالاً، دون أساس مقبول، بل يجب أن تكون مدروسة وبعد قراءات منظمة في أهم المصادر والمراجع. ولا بد من عرض هذه الخطة على الأستاذ المشرف لإبداء رأيه فيها ومناقشتها، حتى يمكن تدارك الأخطاء منذ البداية وتوجيه الباحث التوجيه الصحيح. وكما أسلفنا، فإن الخطة تكون مؤقتة منذ بداية البحث وهي عرضة للتغيير والزيادة، والحذف والتقديم والتأخير، بحسب الظروف والمادة التي يحصل عليها الطالب في أثناء جمع المعلومات.

وفيما يلي نموذج لخطة أحد البحوث العلمية المنشورة:

فن النحت في عصريه اليوناني المبكر والكلاسيكي

مقدمة: عن التعريف بفن النحت وأهميته

الفصل الأول: فن النحت الإغريقي في المرحلة المبكرة:

١. المصادر والمواد المستخدمة وطرق الصناعة:

٢. صفات النحت الإغريقي في المرحلة المبكرة:

٣. المدارس الفنية الابتدائية (الفترة المبكرة):

الفصل الثاني: نماذج من فن النحت في العصر الآرخي القديم (٦٦٠- ٤٨٠ ق.م):

أ- العصر الأرخي المبكر (٦٦٠-٥٨٠):

ب- العصر الآرخي المتوسط (٥٨٠- ٥٣٥ ق.م):

ت- العصر الآرخي المتوسط (٥٤٠- ٤٨٠ ق.م):

ث- نماذج من فن النحت في العصر الكلاسيكي المبكر (٤٨٠- ٤٥٠ ق.م):

الفصل الثالث: فن النحت في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد:

١- أشهر نحاتو القرن الخامس قبل الميلاد:

- **الفنان ميرون (٤٩٥ ق.م -....؟):**
- **الفنان بولوكليتوس "Polykletos":**
- **فيدياس "Phidias" (٤٩٠-٤٣١ ق.م):**

الفصل الرابع: فن النحت في عصريه اليوناني المبكر والكلاسيكي

أولاً- فن النحت من مطلع القرن الرابع حتى العصر الهيلينستي

١- فن النحت في القرن الرابع ق.م:

٢- أشهر نحاتو القرن الرابع قبل الميلاد:

- **سكوباس Scopas :**
- **براكسيتلس "Praxitles":**
- **لوسيبوس "Lysippos":**

- الخاتمة .
- المصادر والمراجع .
- الملاحق .

ثالثاً- جمع المادة العلمية للبحث (المصادر والمراجع):

إن اختيار موضوع البحث ووضع خطة أولية له، ما هو إلا بداية الطريق للشروع في عملية إنجاز البحث، ولا بُدَّ من الرجوع إلى الأصول أو المصادر والوثائق لجمع المادة التاريخية اللازمة لكتابة البحث ويُطلق على هذه العملية اسم جمع الأصول أو "التقميش". وقد جاءت اللفظة الأخيرة في المعاجم العربية بمعنى "جمع الشيء"[1]. وأول من استخدمها بهذا المعنى من المحدثين هو أسد رستم[2]. والأصول أو المصادر، ما هي إلا الآثار المتخلفة من الأحداث التاريخية. ولهذا فهي تسمى أيضاً بالوثائق ولا يمكن أن يقوم التاريخ إلا على أساس من الوثائق، وإذا ما فُقدت هذه الوثائق أو الأصول، ضاع التاريخ "إذ لا بديل عن الوثائق وحيث لا وثائق لا تاريخ"[3]، لذا فإن الخطوة الأولى بعد اختيار الموضوع هي البحث عن الوثائق المتعلقة به.

وتقسم الوثائق أو الأصول عادة إلى قسمين:

١. **الأصول أو المصادر المدونة.**

٢. **المصادر المادية**، أي المخلفات الأثرية من نقوش وآثار قديمة قد ورثناها من الماضي البعيد أو القريب، كالأهرامات في مصر والأبراج المدرجة في العراق وغيرها من المباني وأنواع الفنون والصناعات الفخارية والمنحوتات والنقود[4].

---

(١) ابن منظور، ج٣، ص ١٦٢، مادة قمش.

(٢) مصطلح التاريخ، ص ١.

(٣) لانجلوا وسيتوبوس، المدخل إلى الدراسات التاريخية...، ص ١٣٣؛ رستم، مصطلح التاريخ...، ص١.

(٤) باقر وحميد، طرق البحث العلمي ...، ص ٦٢-٦٣.

وتصنف المجموعة الأولى أي الأصول أو المصادر المدونة إلى صنفين أساسيين وهما:

١. المصادر الأولية:

وهي تضم الوثائق والكتب القديمة التي دونها المؤرخون القدماء الذين عاصروا الأحداث التي كتبوا عنها أو كانوا قريبين منها. وهي تشمل أيضاً الوثائق الخاصة بأحداث التاريخ الحديث، والمذكرات الشخصية التي كان مؤلفوها شهود عيان للوقائع التي عاصروها في الحقب الحديثة التي عاشوا فيها[١].

٢- المراجع الثانوية:

وهي تضم المؤلفات الحديثة التي كتبها مؤلفون معاصرون عن موضوعات قديمة وهي تعتمد في معلوماتها على المصادر الأولية[٢].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الخلط الذي يقع أحياناً بين المصادر والمراجع فهناك من يقول المصادر ويقصد بها المراجع، ومنهم من يقول المراجع ويريد بها المصادر، ومنهم من يُطلق إحدى اللفظتين ويقصد بها الاثنين. ولكن لا بُدَّ من التحديد وعدم الخلط، فالمراجع الثانوية مؤلفات حديثة ألفت لعامة القراء لتكون أنسب ما يرجعون أليه للعلم بالشيء، أو جمع مادتهم وتأليفها.

وخلاصة القول في المراجع: "أنها أُلفت للقراءة أولاً، أما المصادر فهي للمؤلفين أولاً، إن المراجع العامة لطالبي المعرفة، أما المتخصصون فيذهبون إلى ما هو أبعد منها إلى المصدر أو المنبع إن شئت"[٣]. ومهما تبلغ المراجع من القوة والأهمية، فهي تظل ثانوية في عمل الباحث، وثانوية جداً ويرجع إليها للإلمام

---

(1) L.G. Brandon, History A Guide to Advanced Study, Edward Arnold, London 1976, p. 1-2.

(2) Ibid., p.2.

(٣) جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، ط٢، منشورات مكتبة النهضة، بغداد ١٩٧٢، ص ٧٧.

بأوائل الأشياء أو للوقوف على وجهة نظر، أو رأي خاص أدلى به المؤلف الحديث، أو الاطلاع على خبر روي في مصدر قديم لم يتيسر للباحث الحصول عليه.

ولتوضيح الفرق بين هذين المصنفين من الموارد نشير إلى المثال الآتي:

هذا المثال من التاريخ العربي الإسلامي، وهو خاص بمسألة فتح الأندلس، فالوثائق القديمة التي دونت هذا الموضوع ولاسيما الحوليات اللاتينية المعاصرة للفتح، والكتب العربية القريبة العهد بدخول المسلمين إلى تلك البلاد، تُعدُّ من المصادر الأولية الأصلية، لأنها عاصرت الحدث أو كان مؤلفوها قريبي الصلة بتاريخ الفتح فدونوا كتبهم هذه بالاستناد إلى الرواة الذين تناقلوا أخبار الفتح، وأخذوها عن شهود العيان ممن شاركوا في العبور إلى الأندلس، ثم رجعوا إلى شمال إفريقيا، وحدثوا بما كان من أمر افتتاح المسلمين لتلك البلاد، فدونت تلك الروايات في الكتب التي وصلت إلينا، والتي لا يمكن كتابة تاريخ الفتح العربي الإسلامي للأندلس دون الرجوع إليها وتحليل رواياتها بدقة بالغة.

أما الكتب الحديثة والمقالات والدراسات العديدة عن الفتح العربي الإسلامي للأندلس، مما يكتبه المختصون والباحثون في هذا المجال، فهي تدخل ضمن المراجع الثانوية، التي اعتمدت تلك الأصول أو المصادر الأولية التي أشرنا إليها أعلاه، وقدمت تصوراً حديثاً مستنداً إلى الأحداث القديمة المذكورة في المصادر الأولية عن كيفية الفتح وتطور مراحله[1].

---

[1] حسين مؤنس، رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، العدد ١٨، مدريد ١٩٧٤-١٩٧٥، ص ٧٩-١٣٠؛ عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد-سيلانو ١٩٨٢، ص ١٥٧-١٩٩.

ولا بد لنا هنا من التعرف على فنون الكتابة التاريخية وبشكل خاص عند العرب والمسلمين، ويمكن تصنيفها في الزمر النوعية الآتية[1]:

- **كتب السيرة:** والمقصود بها "السيرة النبوية" وأشهر من كتب في هذا المضمار محمد بن إسحاق وقد لخص له وتقح عبد الملك بن هشام، وملخصه هو المصدر الأول المستخدم عن سيرة الرسول الكريم(ﷺ). ولقد عمل عدد من المؤرخين عبر القرون المتتالية لإعادة كتابة السيرة. وأبرز من فعل ذلك في القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، الحافظ بن سيد الناس وكتابه "عيون الأثر في فنون المغازي الشمائل والسير"، وفي القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، نور الدين الحلبي صاحب كتاب "إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون" والمعروف باسم السيرة الحلبية.
- **كتب الطبقات:** وتبحث في تراجم الشخصيات التي لعبت دوراً معيناً في تاريخ الأمة مقسمة إلى طبقات. فمحمد بن سعد في كتابه "طبقات الصحابة" كان البادئ في هذا المضمار، وقد سار في تصنيفه طبقات الصحابة والتابعين مراعياً عنصري الزمان والمكان، فصنف الصحابة إلى طبقات بحسب أسبقيتهم في الإسلام. وقد انتقل المؤرخون العرب من طبقات علماء الحديث إلى طبقات غيرهم من الشعراء، والأدباء، والنحاة، والعلماء والأطباء. ومن أشهر كتب الطبقات "طبقات الشعراء" لمحمد بن سلّام الجمحي، و"طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة.

---

[1] الصباغ، دراسة في منهجية البحث...، ص ٤٩-٥٤.

- **كتب التراجم:** وهي التي تتحدث عن سير الصحابة والخلفاء، والقادة والعلماء والفقهاء والمحدثين وغيرهم. وهي تشبه كتب الطبقات، إلا أنها لا تختص بفئة معينة، ولا تلتزم بترتيب تراجمها الأسس المتبعة في كتب الطبقات، وإنما قد تسير في أغلب الأحوال بحسب الترتيب الأبجدي. ويمكن أن يطلق عليها اسم "معجم" وأشهر كتب التراجم كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان، و"معجم الأدباء" لياقوت الحموي، وفي القرون اللاحقة ظهر كتاب "الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع" للسخاوي، وغيره من الكتب.
- **كتب المغازي والفتوح:** ويتحدث عن غزوات الرسول وسراياه (المغازي) وعن الفتوحات الإسلامية في مختلف الامصار. وأول من فتح باب المغازي كان عروة بن الزبير، واتبع خطاه محمد بن إسحاق وأدمج المغازي في سيرة الرسول، وسار الباحثون في سيرة الرسول (ﷺ) على نهجه. أما الفتوح، فكان أول من فتح باب الكتابة فيها محمد بن عمر الواقدي، مؤرخ الرشيد والمأمون، وتبعه أحمد بن يحيى البلاذري في كتابه "فتوح البلدان"، وغيره كثيرون ممن بحث في فتوح منطقة دون غيرها.
- **تاريخ البلدان:** أو ما أسماه السخاوي بالتواريخ المحلية. ويبحث في تاريخ مدينة أو إقليم من أول نشأته حتى فترة مؤرخه، مع بيان بالعلماء والمشهورين فيه. ويعدد السخاوي عديداً منها بحسب أبجدية المكان، أكان في المشرق أو المغرب أو الأندلس. ومن التواريخ المشهورة والمتداولة "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي، و"تاريخ دمشق" لابن عساكر، و"الخطط" للمقريزي.

- **كتب التاريخ العامة:** وتبحث في تاريخ البشر عامة، ومنذ بدء الخليقة حتى عصر المؤرخ، وتركز على التاريخ الإسلامي. وأغلبها ينقل عما قبله، إلا أنها في بحثها للفترات المعاصرة للمؤلف تُعَدُّ مصدراً أولاً أساسياً. وتقسم كتب التاريخ العام بحسب طريقة عرضها إلى قسمين: ١- **طريقة الحوليات:** وفيه تعرض الحوادث سنة فسنة بشكل متسلسل، وفيه يشير المؤرخ إلى أنه "في سنة كذا" قد تم الأمر الفلاني. أما الصلة بين الحوادث المتعددة التي تحدث في السنة نفسها فكانت عادة بإضافة جملة "وفيها" أي في السنة نفسها. وإن أول مؤرخ عربي دوّن التاريخ على ترتيب السنين وبقي لنا كتابه هو الطبري في كتابه "تاريخ الرسل والملوك". وقد لا يكون هو أول من استخدم هذا الأسلوب، وقد يكون سبقه غيره، ولكن لم تصلنا كتبه. وأشهر الكتب العامة التي سارت على هذا النمط كتاب "الكامل" لابن الأثير، وكتاب "المختصر في تاريخ البشر" لأبي الفداء وغيرهم. وهناك من المؤرخين، من يضيف إلى الحوادث في السنين الوفيات التي تمت في كل سنة. ويلاحظ نمو هذا النمط منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر للميلاد. أما الأسلوب الثاني في كتابة التواريخ العامة فهو ٢- **كتابة تواريخ السلالات الحاكمة أو الدول أو الشعوب:** ومن هؤلاء المسعودي، وشيخ المؤرخين العرب ابن خلدون.

إن عملية البحث عن الأصول أو الوثائق الخاصة بموضوع معين هي من الأهمية بمكان، وعلى الباحث أن يتتبع ما كُتب عن موضوع في مختلف المؤلفات التي تتحدث عن الكتب مثل، كتاب "الفهرست"، لأبي الفرج محمد بن اسحق المعروف بابن النديم (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م)، الذي يُعدُّ من أوائل كتب المراجع

العربية (الببليوغرافيات)، لأنه جمع أسماء الكتب التي عرفها حتى عام (٣٧٧هـ/ ٩٩٥م) ورتبها بحسب الموضوعات وكتاب يوسف إليان سركيس الموسوم "معجم المطبوعات العربية والمعربة"، وهو معجم شامل لأسماء الكتب العربية والمترجمة التي ظهرت منذ انتشار الطباعة حتى نهاية عام ١٩١٩م/١٣٣٨هـ، وجميعها مرتبة بحسب أسماء المؤلفين، كما ينتهي بفهرس هجائي لعناوين الكتب، كذلك يراجع الطالب بعض الدوريات المتخصصة في الفهرسة، مثل "النشرة العراقية للمطبوعات"، التي صدرت في بغداد عن المكتبة المركزية لجامعة بغداد سنة ١٩٦٤م، و"النشرة المصرية للمطبوعات" التي صدرت في القاهرة عن دار الكتب القومية سنة ١٩٥٦م، وهي تتضمن الكتب والمطبوعات التي تنتشر في جمهورية مصر العربية، ويضاف إلى هذه الفهارس، فهارس عربية أخرى تم إعدادها حديثاً، مثل مجموعات المخطوطات العربية التي أعدتها إدارة جامعة الدول العربية وفهارس أخرى مماثلة في المغرب، كذلك تم على الصعيد الفردي في العراق فهرسة بعض المخطوطات في المتحف العراقي ببغداد، كما أصدر كوركيس عواد "معجم المؤلفين العراقيين" في ثلاثة مجلدات من سنة ١٨٠٠-١٩٦٣م، وله أيضاً كتاب "المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي".

وكان الباحثون في الغرب قد تنبهوا إلى أهمية كتب المراجع (الببليوغرافيات) بالنسبة إلى الدارسين، فأصدروا الكثير منها، والتي تختص بقطر معين، او بشخصية معينة أو أنها ببليوغرافية عامة، وأبرز مثال على ذلك مجلدات المراجع التي تصدرها الجمعية العالمية للعلوم التاريخية في الولايات المتحدة. ويصدر هذا المجلد مرة واحدة في السنة منذ سنة ١٩٢٦م، وهو ينشر قوائم مختارة من المصادر الأولية والمراجع التي صدرت خلال عام واحد، ويكتفي بذكر مكان الطبع وتاريخه وعدد الصفحات وتتناول المؤلفات جميع نواحي التاريخ، سواء في طرق البحث وعلم التاريخ أو العلوم المساعدة ودور حفظ الوثائق، والمؤلفات العامة

عن التاريخ الدستوري، والاقتصادي وتاريخ الحضارة والتاريخ القديم في مصر والعراق وتاريخ اليونان والرومان والتاريخ الكنسي وتاريخ العصور الوسطى ومختلف نواحي التاريخ الحديث كالتاريخ الديني والثقافي والاجتماعي وتاريخ العلاقات السياسية وتواريخ مختلف قارات العالم[1].

وتعد دوائر المعارف أي الموسوعات أيضاً في طليعة الكتب التي يجب مراجعتها، مثل الموسوعة العربية، ودائرة المعارف الإسلامية، ودائرة المعارف البريطانية، والموسوعة العربية الميسرة، وغيرها من الموسوعات وقواميس الأعلام في مختلف المواضيع[2]، ولكن على الطالب أن يجيد التعرف إلى المقالات التي تتصل بموضوع بحثه، وذلك بالكشف عن أسماء الأشخاص والأماكن التي لها صلة بذلك الموضوع، فإذا كان يريد القراءة عن الحروب الصليبية مثلاً، فسيجد ذلك فيما كُتب من مقالات عن الخليفة الفاطمي العاضد وصلاح الدين الأيوبي والملك الكامل، وغيرهم، وإن كان يريد أن يقرأ عن دولة معينة، يطلع على المقال العام الذي كُتب عن تلك الدولة، ثم ما كتب عن أبرز حكامها ورجالها، وتفيد المعارف الطالب في وضع يده على المصادر الأصلية التي تثبت في نهاية كل مقال، فيدون الطالب هذه المصادر ليراجعها الواحد تلو الآخر[3]. ومن الكتب المفيدة في إعطاء فكرة عن الموضوع الذي يبحث به الطالب ولاسيما إذا كان شخصية معينة، كتاب "الأعلام" لخير الدين الزركلي الذي يجد فيه الباحث بغيته في التعرف إلى أسماء ونبذ مختصرة عن معظم الأعلام، مع الإشارة إلى أهم المصادر والمراجع التي تتحدث عنهم فينقلها الباحث ويضمّها إلى قائمته.

---

[1] عثمان، منهج البحث...، ص ٦٨.

[2] جونشلك، كيف نفهم التاريخ...، ص ٨٨.

[3] بوحوش، دليل الباحث في المنهجية...، ص ٤٣.

ويتحتم على الباحث أن يراجع فهارس المكتبات العامة في المادة التي يبحث عنها لأن فهارس المكتبات هي المفتاح الرئيس للحصول على المصادر والمراجع التي يحتاجها. وفي العادة توجد عدة أقسام أو أنواع من الفهارس منها:

- فهرس خاص بعناوين الكتب.
- فهرس خاص بعناوين الموضوعات.
- فهرس خاص بأسماء المؤلفين.

وكل مصنف في المكتبة يحمل الرقم نفسه سواء تم البحث عنه تحت العنوان أو الموضوع أو اسم المؤلف، وعادة تكون الكتب كافة التي تعالج موضوعاً معيناً في مكان واحد من رفوف المكتبة، وذلك لتمكين الباحث من اختيار ما يريد وبأسرع وقت ممكن فإذا ما عثر الطالب على رقم أحد الكتب في موضوع بحثه فسيجد على الرف الذي فيه الكتاب كتباً أخرى تخص الموضوع[1]، كما ينصح الطلاب والباحثون بالاطلاع على فهارس المجلات العلمية المتخصصة للاستفادة من البحوث القريبة الصلة بموضوعه، ولاسيما المتخصصة بالتاريخ أو بفروع خاصة منه.

وتكون مهمة من يضطلع بالكتابة في موضوع لنيل الماجستير أو الدكتوراه، أصعب في عملية البحث عن الوثائق والمصادر الأولية الأصلية. فلابد له من الاطلاع على الأصول التاريخية اللازمة لدراسته، ولاسيما تلك التي لا تزال مخطوطة لم تر النور، ومحفوظة في مختلف المكتبات ودور الأرشيف العالمية، وفي بعض المواضيع يكون الكشف عن وثائق مهمة هو الذي يحدد إمكانية الاستمرار في البحث أو العدول عنه إلى موضوع آخر ° والباحث الذي يكتب

---

[1] شلبي، كيف تكتب بحثاً...، ص ٣٨-٣٩؛ أحمد ابو ضيف، منهج البحث التاريخي...، ص ١٤٧-١٤٨.

التاريخ دون أن يحصل على مجموعة من الوثائق الأساسية الجديدة، أو التي لم يكن قد سبق استخدامها استخداماً علمياً مكتملاً تنقص قيمة بحثه العلمية، أو تتضاءل أو تنعدم مهما بذل من مجهود"[1].

ويلاقي الباحثون صعوبات كثيرة في سبيل العثور على هذه الوثائق، ولاسيما إذا لم تكن مفهرسة في دور الأرشيف التابعة لها[2]، وعلى الباحث في كثير من الأحيان أن يشد الرحال إلى أماكن متعددة لغرض الحصول على مثل هذه المصادر الأولية، بحيث لا يقتصر الباحث على العمل في أرشيف واحد، أو مكتبة واحدة، بل يقتضي البحث العلمي أن يتجه إلى العمل في دول كثيرة. فعلى سبيل المثال، إن الباحث في تاريخ المغرب والأندلس الذي يعد رسالة علمية في هذا التخصص، لا بد له من زيارة مكتبة الأسكوريال "Elescorial" في إسبانيا للبحث عن المخطوطات التي تخص موضوعه، كذلك يتوجب عليه أن يزور المكتبة الوطنية في مدريد، ومكتبة الأكاديمية الملكية للتاريخ في المدينة نفسها، كذلك يتوجب عليه العمل في مكتبة المتحف الوطني البريطاني في لندن، والمكتبة الوطنية في باريس، وغيرها من المكتبات الكبرى المتخصصة التي يمكن أن تتوافر فيها وثائق غير منشورة تتعلق بموضوع بحثه.

وعلى الباحث في تاريخ الوطن العربي الحديث، ولاسيما سورية أو بلاد الشام أو الخليج العربي غيرها من مناطق المشرق العربي، أن يراجع دور الأرشيف الإنكليزي التي تضم الوثائق غير المنشورة الخاصة بهذه البلاد، وهي:

١- وثائق دائرة السجلات العامة في لندن"Public Record Office"

- وثائق وزارة المستعمرات"Colonial Office"

---

[1] عثمان، منهج البحث التاريخي...، ص ٧٠.

[2] انجلوا وسيتوبوس، المدخل إلى الدراسات التاريخية ....، ص ٤١.

- وثائق وزارة الخارجية"Foreign Office"

٢- وثائق وزارة الهند"Indian Office Record and Library"

ولا بد لدارس تاريخ الأقطار في العصر الحديث من أن يطلع على دور الأرشيف التركية، ولاسيما الأرشيف الرسمي في استانبول، الذي يضم الكثير من الوثائق الخاصة بالوطن العربي، الذي خضعت أجزاء عديدة منه للإمبراطورية العثمانية، وفي هذه الوثائق يمكن أن يجد الباحث المراسلات الرسمية، أو التعليمات أو الأوامر أو التقارير الخاصة بهذه الأقطار.

وتجدر الإشارة إلى ضرورة قيام الباحث بعمل قائمة لمصادره الأولية ومراجعه الثانوية، التي استخرج أسماءها من مختلف الفهارس والموسوعات والمجلات وغيرها. وعليه أن يثبت أمام كل مصدر أو مرجع مكان وجوده، ويُنصح الطالب بشراء بعض الكتب الأساسية التي يحتاجها، إن أمكنه ذلك لأن اقتناء الكتاب خير من استعارته من المكتبات العامة والخاصة، لما يوفره ذلك من وقت وجهد، وسهولة في الرجوع إليه.

ويستحسن أن يستخدم الطالب في أثناء إعداده فهرساً عاماً لمصادره ومراجعه، نظام البطاقات، التي تكون بأحجام معينة، ويخصص لكل كتاب بطاقة واحدة، ويكتب اسم المؤلف كاملاً في أعلى البطاقة، مع تاريخ وفاته، وتحته عنوان الكتاب، ثم اسم المحقق أو المترجم إن كان الكتاب محققاً أو مترجماً، ثم عدد أجزائه ، ثم رقم الطبعة، ومكان الطبع ودار النشر وزمانه والجزء. كذلك يدون على البطاقة رقم الكتاب واسم المكتبة المتوافر فيها، أو صاحب الكتاب، إن كان مستعاراً من صديق، أو كلمة خاص إن كان ملكاً شخصياً، وكلما عثر الباحث على كتاب جديد يتصل بموضوعه أعد له بطاقة جديدة.

وترتب هذه البطاقات بحسب التسلسل الزمني بالنسبة إلى المصادر الأولية، ويُستند إلى تاريخ وفاة المؤلف في هذا المجال. وتوفر هذه الطريقة للباحث

نقطة البداية، فيبدأ بالمصدر الأقدم، وكذلك يمكن أن ترتب بحسب طريقة ألف باء. ومن الضروري استخدام طبعة واحدة لكل مصدر أو مرجع، وفي حالة اضطرار الطالب لاستعمال طبعتين لمصدر واحد، فمن الواجب تحديد الطبعة التي يتم الاعتماد عليها في كل اقتباس يورد من ذلك المصدر [1].

وختاماً يجب علينا أن نشير إلى طريقة توثيق المعلومات في الأبحاث فهناك عدة طرق أو مدارس للتوثيق، والأصل أن يستخدم الباحث نظاماً واحداً في التوثيق من بداية بحثه إلى آخره.

- **الحاشية أو الهامش:**

المقصود بالحاشية أو الهامش، وهو ما يخرج عن النص أو المتن، إما شرحاً وإما إشارة وتعليقاً، سواء جُعل في ذيل النص منفصلاً عنه بخط طويل، أو في نهاية الفصل أو في آخر البحث، ويفضل تثبيت الشروحات والإحالات والتعليقات في هامش كل صفحة على حدة.

وتستخدم الحواشي أو الهوامش للأغراض الآتية:

١- أسماء المصادر الأولية والمراجع الثانوية التي تم الاقتباس منها، أو في الإحالة إليها.

٢. المفاهيم والحقائق التي تؤخذ من أعمال أخرى.

٣. الأفكار المقتبسة التي كانت لها أهمية أساسية في صياغة مفاهيم البحث.

٤. الإحالة على صفحات البحث نفسه، لمنع التكرار.

---

[1] شلبي، كيف تكتب بحثاً...، ص ٤٤.

٥. شرح بعض المفردات أو العبارات أو تصحيح الأخطاء التي عثر عليها في أثناء عملية الجمع.

٦. شروح توضح خلفيات البحث، وتساعد في تفهم أغراضه، مثل التعريف ببعض الأماكن أو الأحداث أو المفاهيم الفكرية والاجتماعية، أو إيراد المقادير الحديثة المساوية لأوزان أو مقاييس قديمة كأن نقول: الفرسخ يساوي ثلاثة أميال والذراع يساوي نحو ٦٠ سنتمتراً وهكذا[1].

وتتضح فائدة الهامش في تجنب إدخال أي شيء إلى المتن مما قد يؤثر في وحدته وتماسكه وسياقه، وتقديم الأدلة والبراهين على ما يذكره الباحث من آراء وأفكار وطروحات، وهو بهذا يفسح المجال للقارئ لمراجعة هذه المستندات إذا شاء، ولكن يجب الحذر من الإغراق في استعمال الحواشي، والمبالغة في استخدامها، وإثقالها بعشرات المصادر والمراجع، على سبيل التظاهر بالمعرفة؛ لأن هذا قد يؤدي إلى نفور القارئ، وإجهاد نظره من كثرة الانتقال من المتن إلى الهامش أو العكس، فلا يجوز تثبيت التوافه، أو الأمور الشائعة جداً أو تعريف الأعلام البارزين المشهورين، أو الأماكن المعروفة، كأن نعرف مثلاً الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أو بمدينة دمشق أو بغداد.

وتكتب الهوامش أو الحواشي، كما اسلفنا، في أسفل الصفحة وهناك من يجعلها في نهاية الفصل أو نهاية البحث، وفي الحالة الأولى يجب الفصل بينها وبين المتن بخط عريض، وتكتب نصوصها بحروف أصغر عند الطباعة،

---

[1] الفياض، التاريخ فكرة ...، ص ٩٠-٩٢؛ ملحس، منهج البحوث العلمية...، ص ١٦٤-١٦٥؛ شلبي، كيف تكتب بحثاً...، ص ١٠١-١٠٢؛ يعقوب، كيف تكتب بحثاً...، ص ٦٦؛ أحمد ابو ضيف، منهج البحث التاريخي...، ص ١٥٥-١٥٦.

وتستخدم في الإشارة إلى الهوامش الأرقام عادة ، لكن هناك من يقترح وضع الإشارات كالنجمة مثلاً (*) في حال ذكر إيضاحات لتفصيل مجمل ما ورد في المتن، أو لتحقيق موضع أو نحو ذلك.

ومن المفضل استخدام الأرقام دائماً، لأنها أسهل في عملية الطبع وأقل تعقيداً ولا تشغل حيزاً كبيراً[1]، وتوضع الأرقام في المتن بين قوسين مدونة في أعلى السطر بقليل، وبعد الشواهد والاقتباسات لا قبلها، ويفضل أن تكون على آخر جملة منتهية بنقطة أو فاصلة، على أن تكتب ما يقابلها في أسفل الصفحة مع الهوامش التي نريدها.

وهناك أربع طرائق للترقيم، وهي[2]:

١- إن أهم الطرائق وأسهلها وأكثرها شيوعاً، هو وضع أرقام مستقلة مسلسلة لكل صفحة على حدة بترقيمها برقم (١)، وتوضع في أسفل كل صفحة الهوامش الخاصة بها، وهذه الطريقة تسهل عمل الباحث، بحيث يمكنه حذف أو إضافة رقم آخر دون ان يحتاج إلى تغيير هوامش الصفحات الأخرى. وفي اعتقادنا هذه أفضل الطرائق لأنها تسهل الحذف أو الزيادة وكذلك متابعة المصادر.

٢- إعطاء رقم مسلسل متصل لكل فصل من فصول البحث على حدة، يبدأ برقم (١) ويستمر إلى نهاية الفصل، حيث تدون جميع الأرقام، لكن إحداث أي تغيير بالحذف أو الإضافة في الأرقام يستلزم تغيير ما بعده حتى نهاية الفصل.

---

[1] الفياض، التاريخ فكرة ...، ص ٩١.

[2] شلبي، كيف تكتب بحثاً...، ص ١٠٢- ١٠٣؛ يعقوب، كيف تكتب بحثاً...، ص ٦٨-٦٩.

٣- جعل الأرقام مسلسلة ضمن الفصل الواحد على أن تثبت في كل صفحة هوامشها الخاصة.

٤- إعطاء رقم مسلسل للبحث كله، يبدأ برقم (١) ويستمر إلى نهاية البحث، حيث تكتب الهوامش كلها كاملة في الأخير. ومن الواضح أن إحداث أي تغيير بالحذف أو الإضافة في الأرقام يستلزم تغيير ما بعده حتى نهاية البحث وهي تربك الباحث.

ولا شك أن لكل طريقة من هذه الطرائق مزاياها ومساوئها، فعلى الرغم من أن الطريقة الأولى هي الأسهل على الباحث، وعلى القارئ أيضاً، فإنها تثير المتاعب بالنسبة إلى الطباعة، سواء على الآلة الكاتبة أو الكومبيوتر أو المطبعة، لأن الصفحة المطبوعة تحتوي عادة أكثر ما تحويه الصفحة المكتوبة بخط اليد، فتنتقل أحياناً الأرقام من صفحة إلى أخرى، وهو ما يؤدي إلى تغيير الأرقام التي وضعها الباحث في المسودة.

وينصح الطالب باتباع الطريقة الأولى في ترقيم الحواشي او الهوامش، على أن يستخدم قلم الرصاص في كتابة الأرقام، حتى إذا أصبح البحث في شكله النهائي ولم يبق مجال للزيادة والحذف والتغيير، أمكن محو الأرقام والعودة إن شاء إلى الطريقة الثالثة بجعل الأرقام مسلسلة ضمن الفصل الواحد مع احتفاظ كل صفحة بهوامشها الخاصة.

وإذا كان النص المكتوب في الهامش كبيراً، ولم يتسع له المكان المتبقي في أسفل الصفحة، نضع علامة (=) في آخر السطر الأخير من أسفل الصفحة، ونكررها في أول سطر من الهامش في الصفحة التالية، ثم نكمل الهامش. ولكن لا ينصح بالإكثار من هذه العملية والاقتصار على استخدامها عند الضرورة القصوى بالنظر إلى ما تسببه من إرباك في الطباعة.

- **أساليب توثيق المعلومات في الهوامش:**

هناك نظامان بكيفية تثبيت المعلومات الخاصة بالمصادر والمراجع في الهوامش:

١- الأول لا يثبت كل المعلومات بل يكتفي بذكر اسم المؤلف وعنوان الكتاب أو البحث أو الرسالة، ثم الجزء- إذا كان الكتاب مؤلفاً من أجزاء- فرقم الصفحة، أما بقية المعلومات الخاصة بالنشر ومكانه واسم المطبعة ورقم الطبعة، وزمان النشر، فتثبت وفق هذا النظام في فهرس المصادر والمراجع.

٢- أما النظام الثاني، فهو لا يخصص في الغالب فهرساً خاصاً للمصادر والمراجع، بل تُذكر المعلومات الخاصة بالنشر كاملة عندما يرد ذكر الكتاب لأول مرة في البحث.

والأفضل المزج بين هذين النظامين، وذلك بذكر المعلومات الكاملة عن المؤلف والكتاب والنشر حين يرد المصدر أو المرجع أول مرة، مع عمل قائمة خاصة للمصادر والمراجع في نهاية البحث، وذلك لتسهيل الأمر على القارئ، وتمكينه من العثور على المعلومات الخاصة بالنشر للكتب التي يهتم بمعرفتها أو مراجعتها سواء في الهوامش حين ترد أول مرة، أو في قائمة المصادر والمراجع. وفيما يأتي أهم الحالات التي تثبت فيها المعلومات في الهوامش[1]:

١- **الهامش الذي يشار فيه إلى كتاب:**

إذا ورد المصدر أو المرجع في البحث أول مرة يدون بحسب التسلسل الآتي:

---

[1] ملحس، منهج البحوث العلمية...، ص ١٦٦؛ شلبي، كيف تكتب بحثاً...، ص ١٠٤-١١٠؛ الهواري، دليل الباحثين...، ص ٤٢-٥٧؛ بوحوش، دليل الباحث...، ص ٥٧-٦٩.

١- اسم المؤلف ثم لقبه بالترتيب العادي ومن دون لقب

٢- عنوان الكتاب

٣- اسم المترجم، او جامع الفصول، أو المحقق (إذا كانوا موجودين)

٤- رقم الطبعة

٥- اسم الناشر

٦- اسم المدينة أو البلد الذي نشر فيه الكتاب

٧- تاريخ النشر

٨- رقم الجزء إن كان للكتاب أجزاء ثم رقم الصفحة.

أمثلة:

- دونالدو مونك: أمريكا اللاتينية المعاصرة، ترجمة منيرة محمد بدوي، النشر العلمي والمطابع، الرياض ٢٠٠٨م.
- محمد العزب موسى، حضارات مفقودة، الدار المصرية اللبنانية، طبعة ثانية ١٩٩٢.

وفي حالة الإشارة إلى الكتاب نفسه مرتين متتاليتين، تذكر المعلومات المتعلقة به كاملة في المرة الأولى، لكن الباحث لا يكرر كتابتها في المرة الثانية، بل يكتفي بعبارة "المصدر نفسه أو المرجع نفسه"، مع وضع رقم الجزء، ورقم الصفحات التي أخذ منها المعلومات وإذا كان الكتاب باللغة الأجنبية، فيتعين على الباحث أن يستعمل مصطلح "Ibid" وهو مختصر كلمة "Ibidem" اللاتينية، والتي تعني بالإنكليزية "في المكان نفسه In the same place".

أمثلة:

(١) ساطع محلي، أمريكا اللاتينية، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق ١٩٧٤، ص٣٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٤.

وفي حالة الإشارة إلى الكتاب نفسه مرتين غير متتاليتين، فنكتفي بالإشارة إليه في المرة الثانية بأن نذكر اسم المؤلف ثم عبارة المرجع السابق أو المصدر السابق، وفي اللغة الإنكليزية يستخدم مصطلح "Op.Cit" بدلاً من المصدر السابق أو المرجع السابق، وهو يعني باللاتينية "Opere Citato" أي بالإنكليزية " In the work cited".

أمثلة :

(١)محمد العزب موسى، حضارات مفقودة، الدار المصرية اللبنانية، طبعة ثانية ١٩٩٢، ص١٢.

(٢) دونالدو مونك: أمريكا اللاتينية المعاصرة، ترجمة منيرة محمد بدوي، النشر العلمي والمطابع، الرياض ٢٠٠٨م.

(٣) محمد العزب موسى، مرجع سابق، ص ١١.

وهناك طريقة أخرى أكثر سهولة لكتابة المصادر والمراجع في الهوامش للمرة الثانية، وهي تتضمن ذكر اسم المؤلف وعنوان الكتاب، ورقم الصفحة دون استخدام المصطلحات السابقة (المصدر السابق أو المرجع السابق).

أمثلة:

(١) ألن نفنز، هنري ستيل كومجر: تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة مصطفى عامر، القاهرة ١٩٥٢، ص٢٢.

(٢) إريك هوبزباوم، عصر الثورة، أوروبة (١٧٨٩-١٨٤٨)، ترجمة فايز الصايغ، المنظمة العربية للترجمة، طبعة أولى، بيروت، ٢٠٠٧، ص٢٣٤.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٣٨.

(٤) نفنز، كومجر، تاريخ الولايات...، ص ٢٤.

(٥) هوبزباوم، عصر الثورة...، ص ٢٣٨.

٢- الهامش الذي يشار فيه إلى بحث في مجلة أو مقالة في جريدة:

في حالة الاقتباس من مجلة علمية أو جريدة يومية تكون الهوامش بالترتيب الآتي:

١- اسم المؤلف كاملاً ولقبه

٢- عنوان البحث أو المقالة بين مزدوجتين

٣- اسم المجلة أو الجريدة

٤- رقم العدد

٥- رقم المجلد

٦- مكان النشر وتاريخه

٧- رقم الصفحة أو الصفحات المشار إليها

أمثلة:

صلاح العقاد، "سلطنة عُمان وكسر العزلة الدولية"، مجلة السياسة الدولية، العدد ٦٠، القاهرة، أبريل ١٩٨٠م، ص ١٣١.

إبراهيم نوار، "السياسة الخارجية العُمانية من العزلة إلى دبلوماسية الوساطة"، مجلة السياسة الدولية، العدد ١١٠، السنة ٢٨، القاهرة، أكتوبر ١٩٩٢، ص ٣٠.

٣- الهامش الذي يشار فيه إلى دراسات غير منشورة:

قد يستعين الباحث ببعض رسائل الماجستير أو الدكتوراه غير المنشورة، أو قد يحصل على بحث غير منشور، أو ينقل من محاضرات وزعت بالأصل على الطلبة، ويكون هامش هذه الاقتباسات كالآتي:

كتابة اسم ولقب المؤلف، ثم عنوان الدراسة التي تم الاقتباس منها، ثم تحديد نوع الدراسة (أطروحة ماجستير أو دكتوراه أو مطبوعات للطلبة)، ثم يذكر اسم الكلية والجامعة التي نوقشت فيها الأطروحة، والتاريخ الذي تم فيه ذلك النقاش، ثم الصفحة، أو الصفحات التي تم منها الاقتباس.

أمثلة:

(١)- فاضل محمد عبد الحسين، العلاقات البريطانية-العُمانية (١٩١٣-١٩٣٩م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالمملكة المغربية، الرباط ١٩٩٤-١٩٩٥.

(٢) محمد رشيد عباس، التطورات السياسية في عُمان وعلاقاتها الخارجية (١٩٣٢-١٩٧٠)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد ١٩٨٨.

٤- الهامش الذي يشار فيه إلى وثائق حكومية:

تعد النصوص الحكومية وثائق رسمية، لأنها تُعبر عن السياسة التي تسير عليها الدولة، لذا يجب على الباحث أن يوجه عناية كبرى في الاقتباس، من حيث الدقة وملاحظة عدم إعطاء الكلام المنقول طابعاً مغايراً للمعنى الأصلي المقصود ويكون الهامش بالشكل الآتي:

يكتب أولاً اسم الدولة ثم الوزارة، أو الجهة التي قامت بنشر الدراسة، وعنوان الدراسة، ثم اسم ومكان وتاريخ النشر، ثم الصفحة المقتبس منها.

أمثلة:

الجمهورية العراقية، وزارة الخارجية، اللجنة الاستشارية، العلاقات العراقية الفارسية في القرن التاسع عشر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١، ص ١٢.

٥- الهامش الذي يشار فيه إلى وثائق اجنبية غير منشورة:

في حالة استخدام وثائق أجنبية غير منشورة، ولاسيما بالنسبة إلى الباحثين في التاريخ الحديث والمعاصر، يشار أولاً إلى عنوان الوثيقة أو موضوعها، ثم إلى مكان حفظها والجهة التابعة لها، ثم رقمها، والتاريخ الذي تعود إليه، فإذا استخدمنا وثيقة تتعلق بامتياز نفط البحرين، وهي من وثائق دائرة السجلات العامة في لندن (Public Record Office) ومختصرها (P.R.O) وتعود إلى وزارة الخارجية

(Foregen Office) ومختصرها (F.O) نكتب الهامش الخاص بها كما النموذج الآتي:

Oil Concession in Bahrain, P R O. F.O, 371-13730, 4-4-1929.

٦- الهامش الذي يشار فيه إلى اقتباس من إحدى الموسوعات:

إذا ما استخدمنا إحدى الموسوعات، ولنفرض أنها دائرة المعارف الإسلامية، فتكون الإحالة إليها في الهامش كالآتي:

ذكر اسم المؤلف كاملاً، ثم ذكر اسم المادة المنقول عنها (بين أقواس اقتباس") ثم ذكر اسم الموسوعة وتحته خط، ثم الطبعة، فالجزء، والصفحة.

وإذا كان المقال غير مذيل باسم الكاتب، فيمكن حينذاك الإشارة إلى اسم المادة بين أقواس اقتباس، ثم اسم دائرة المعارف وتحتها خط، والطبعة، والجزء، والصفحة.

مثال:

"Sotong Bull"; Encyclopedia Americana, 1962, XXIV, p.48.

٧- الهامش الذي يشار فيه إلى مقابلات شخصية أو محاضرة عامة:

إذا تطلب موضوع الباحث إجراء بعض المقابلات الشخصية مع مسؤولين أو مع من لهم صلة بالأحداث التي يدرسها، أو كان لهم إلمام بقضية تخصه ويمكن أن يستفيد من آرائهم في دعم وجهة نظره، فعليه أن يستعمل الأسلوب الآتي في كتابة الهامش:

- الإشارة في أول السطر إلى عبارة (مقابلة شخصية) أو (حديث شخصي) مع ... ثم ذكر اسم الشخص ولقبه كاملاً.

- ذكر وظيفة الشخص أو منصبه.
- الإشارة إلى المكان الذي تمت فيه المقابلة.
- تاريخ إجراء المقابلة.
- إضافة عبارة (إذن بالإشارة إليها)، دلالة على موافقة من تمت معه المقابلة بنشرها.

مثال:

أ- مقابلة شخصية:

مقابلة مع الأستاذة الدكتورة ميسون المرعشلي، رئيسة قسم التاريخ في كلية الآداب الثانية، جامعة دمشق، دمشق، سوريا، ٢٩ تشرين الثاني ٢٠١٨، والإذن الإشارة إليها.

ب-محاضرة عامة:

أ.د. عادل عبد السلام، محاضرة عامة، ١٥ نيسان ٢٠٠٢، إذن بالإشارة إليه.

وهناك بعض الملاحظات الأخرى التي يجب مراعاتها في كتابة الهوامش، منها[1]:

١- إذا اشترك في تأليف الكتاب مؤلفان أو ثلاثة ينبغي أن نذكر جميع الأسماء. ومثال ذلك:

حسن أحمد محمود، وأحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٣، ص٨٠.

٢- وإذا اشترك في التأليف أكثر من ثلاثة مؤلفين، يذكر الاسم الأول منهم، أو اسم من اشتهرت صلة الكتاب به أكثر من غيره، ثم تضاف كلمة (وآخرون) بعد هذا الاسم. ومثال ذلك

---

[1] شلبي، كيف تكتب بحثاً...، ص ١٠٤وما بعدها.

إبراهيم خليل أحمد وآخرون، قضايا عربية معاصرة-دراسة تاريخية سياسية، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٨٨، ص ١٠.

٣- إذا كان اسم المؤلف غير معروف، يكتب الهامش هكذا:

مجهول المؤلف، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٦، ص ٣٥٠.

٤- إذا ذكر اسم المؤلف في متن البحث، فلا داعي لإعادة ذكره في الهامش، بل يُذكر عنوان الكتاب فقط، كأن يرد في المتن مثلاً: قال فاروق عمر فوزي : "...." فيكون الهامش هكذا مع ملاحظة وضع رقم الهامش على نهاية اسم المؤلف، وليس آخر الاقتباس:

طبيعة الدولة العباسية، ط٢، مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع، بغداد ١٩٨٧، ص ٧٤.

٥- وإذا ورد اسم المؤلف وعنوان كتابه في متن البحث، فلا يعاد منهما أي شيء في الهامش، فإذا قيل مثلاً، ذكر أحمد بن جابر البلاذري في كتابه فتوح البلدان. فيكون الهامش كالآتي:

تحقيق رضوان محمد رضوان، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٩، ص ٢٠.

٦- ويمكن للباحث أن يختصر في كتابة الرقم الثاني للصفحات في هامش، إذا تعدى المئات أو الآلاف، ولكنه لا يختصر هذا الرقم إذا كان مكوناً من رقمين مثلاً، مثل ص ٥٩-٦٠.

٧- وإذا تعددت الصفحات بشكل كبير، يمكن أن يقال ص ٢٣٠ وما بعدها.

٨- يمكن للباحث بعد أن يذكر اسم المصدر أو المرجع أول مرة كاملاً، أن يحدد بعده اختصاراً له، ولاسيما المؤلفين الذين لهم

أكثر من كتاب مستخدم في البحث، ولكن يشترط الإشارة إلى أنه سيستخدم ذلك الاختصار باستمرار في البحث ليدل عليه، كأن يقول مثلاً بالنسبة إلى كتاب المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، إنه سيرمز له هكذا: المسعودي، مروج، والمهم في الأمر هو الاستمرار في استخدام أسلوب موحد من بداية البحث إلى نهايته.

رابعاً– أقسام البحث:

يتألف البحث عادة من أقسام مختلفة، منها أساسية لا بدَّ من توافرها في كل بحث، مثل صفحة العنوان، وثبت محتوى البحث، والمقدمة، ثم متن البحث أو هيكله الذي يتألف من أبواب أو فصول أو مباحث، وأخيراً الخاتمة، والفهارس الفنية. ويضاف إلى هذه الأقسام في بعض البحوث، صفحة الإهداء، وأخرى للشكر والتقدير، وبعض الرسوم والجداول والملاحق، إن تطلبت طبيعة البحث ذلك.

١–صفحة العنوان:

يجب أن تشمل هذه الصفحة على عنوان البحث الكامل، مع اسم الباحث، والمرحلة، والقسم والكلية التي ينتمي إليها، وبالنسبة إلى الرسائل التي تقدم للدراسات العليا، يجب التقيد بترتيب هذه الصفحة، بحسب التعليمات التي تقرها الجامعة المعنية . وبشكل عام، فإن هذه الصفحة لا بد من أن تحتوي الأمور الآتية:

- عنوان البحث
- اسم مقدم البحث
- الدرجة العلمية التي يرغب الباحث في الحصول عليها.
- اسم المعهد أو الكلية التي يتبعها الباحث، والقسم العلمي.

- اسم الاستاذ المشرف
- الشهر والعام الدراسي.

ويجب أن ترتب هذه المعلومات بشكل متناسق، وأن تكون صفحة العنوان مسبوقة بصفحة بيضاء

٢- صفحة الإهداء:

ليس الإهداء ضرورياً، ولاسيما في البحوث الصغيرة، أو الرسائل العلمية، وهو غالباً ما يكون في الكتب، ولكن إذا ما شعر الطالب أنه في حاجة إلى كتابة إهداء إلى جهة معينة، أو شخص معين، أو مؤسسة معينة بذلت جهداً واضحاً من أجل البحث بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فلا بأس من تثبيت ذلك في صفحة مستقلة بعد صفحة العنوان مباشرة ويجب أن يكون الإهداء مقتضباً، وألا يوجه إلى الاستاذ المشرف، كي لا يفهم منه أنه وسيلة من وسائل المداهنة أو التملق.

٣- صفحة الشكر والتقدير:

لا تُعَدُّ هذه الصفحة أيضاً إلزامية بالنسبة للباحث، ولكن جرى العرف أن يكتب الطلبة كلمة تقدير وشكر إلى الهيئات والأفراد الذين ساعدوهم في البحث، وتلي هذه الصفحة صفحة العنوان مباشرة، أو بعد الإهداء، ويكون عنوانها (تقدير واعتراف) أو (شكر وتقدير)، أو ما شابه ذلك. ويجب ان يكون الشكر بسيطاً ومخلصاً، ليس فيه إسراف أو مجاملة، ويكرس للذين أسدوا المساعدة للباحث فعلاً، ويأتي في مقدمتهم الوزارة أو الهيئة، أو المؤسسة التي رشحته للبحث، إذا كان طالباً في بعثة، ثم يذكر أستاذه المشرف لجهوده في توجيهه وإرشاده، كذلك يذكر باختصار الأشخاص الذين قدموا له العون الملموس في البحث، ولاسيما أولئك الذين أعاروه بعض المخطوطات، أو الكتب النادرة أو الوثائق، أو قرأوا له مسودة

البحث، أو أفادوه بأي وجه من الوجوه، ويوجه الشكر أيضاً إلى مسؤولي المكتبات، أو مديريها وإلى الموظفين الذين قدموا له فعلاً تسهيلات ذات قيمة، ساعدته في إنجاز بحثه، ولا يستحسن الإطالة في الشكر والتقدير، أو المبالغة فيه، فكلما كان مختصراً ومركزاً كان وقعه أكبر في النفس.

٤- محتويات البحث أو فهرسه:

يلي صفحة الشكر والتقدير فهرس البحث، أو محتويات الرسالة، ويشتمل على أجزاء البحث كله بما فيه من تمهيدات، ونص، وملاحق، وهو يختلف عن خطة البحث العامة المؤقتة التي أشرنا إليها سابقاً، لأنه يمثل البحث مكتملاً، وقد أضيف إليه ما تنبه له الباحث في أثناء القراءة، فحذف من الخطة وقدم وأخر، ويجب أن تُراعى في المحتويات الأمور الآتية[1]:

- الترتيب المنطقي أو الزمني.
- تقسيم الموضوعات إلى أبواب أو فصول أو مباحث بحسب حجم البحث
- المحافظة على ذكر العناوين تماماً كما جاءت في سياق البحث في الترتيب نفسه.
- ترتب الموضوعات بتسلسل، باستخدام الأرقام، والأحرف الأبجدية عندما تتفرع أقسام البحث إلى موضوعات جزئية مختلفة.

وتشمل المحتويات المقدمة وفهرس المادة العلمية التي تكوّن متن البحث، ثم فهرس الجداول والرسوم والخرائط والصور والملاحق والوثائق، إن وجدت، ويرقم كل ما لا يدخل في صلب الموضوع غالباً بالحروف الأبجدية، أما الموضوعات

---

[1] ملحس، منهج البحوث العلمية...، ص ١٥٥؛ القاضي، مناهج البحوث...، ص ١١٩-١٢٠.

الأساسية فترقم ترقيماً عددياً، لكن معظم الباحثين يميلون إلى الترقيم العددي للبحث كله.

وتُكتب المقدمة في فهرس المحتويات بكلمة واحدة "المقدمة"، أما فهرسة المادة العلمية أو صلب الموضوع فله نظام دقيق يجب ملاحظته بكل عناية. فإذا كان البحث مؤلفاً من أبواب وفصول، فإن عبارة "الباب الأول" أو "الباب الثاني" تكتب في منتصف الصفحة وتحتها يكتب من أول السطر العنوان العام لهذا الباب.

وتكتب عناوين الفصول الواحد تلو الآخر وأمام كل عنوان رقم الصفحة التي ورد فيها هذا العنوان.

وإذا كانت الرسالة مؤلفة من فصول فقط، تعامل عناوين الفصول معاملة الأبواب المذكورة أعلاه، مع كتابة العناوين الفرعية في أول كل سطر. ثم تدون بعد ذلك فهارس الجداول والرسوم والخرائط والصور والملاحق إن وجدت، ثم جريدة المصادر والمراجع، وملخص البحث باللغة الأجنبية "Abstract"، إن كان بحثاً أعد لغرض الحصول على درجة علمية.

٥ – المقدمة:

تعد المقدمة البوابة الرئيسة التي يُدخل منها إلى صلب موضوع البحث، فهي المرآة التي تعكس نيّات الباحث، وغايته من معالجة الموضوع، لذا فهي تحفز القارئ على الاستمرار في قراءة البحث، أو تركه جانباً وبالنظر إلى أهميتها، فإن الكثير من الباحثين يعدونها بمثابة الفصل الأول لبحوثهم المؤلفة من عدة فصول[1]، ويجب أن ينتبه الطلبة المبتدئون إلى هذه الحقيقة، ويحسبون لها حساباً

---

[1] بوحوش، دليل الباحث...، ص ٩٢.

في تخطيطهم للبحث، لأن الباحث الجيد، هو الذي يعد عناصر المقدمة منذ البداية ويجمع لها المادة اللازمة خلال عمله في البحث في المصادر والمراجع.

وتكتب المقدمة عادة بعد انتهاء الطالب من كتابة بحثه، وتثبت بعد صفحة المحتويات، وترقم صفحاتها بالحروف الأبجدية، وهي تشمل بعض النقاط والعناصر الرئيسة، التي لا بُدَّ أن تتوافر فيها، مهما كان نوع الدراسة، ومن هذه النقاط[1]:

- تحديد الموضوع تحديداً زمنياً وجغرافياً، بشكل موضوعي ومنطقي، مع شرح أهميته والهدف منه، والدافع إلى اختياره.
- القيام بدراسة تاريخية للموضوع الذي اختاره الباحث، والإشارة إلى مكانته بين الأبحاث الأخرى السابقة، مع إعطاء نبذة عن هذه الأبحاث التي عالج أصحابها الموضوع نفسه، وإلى أي حد انتهى هؤلاء الباحثون وما النقطة التي ستبدأ منها الدراسة الجديدة التي يعتقد الباحث أنها لم تبحث أو لم تستوف حقها في الدراسة من قبل.
- شرح منهج البحث، والأسلوب المتبع لدراسة الموضوع، أي تبيان الطريقة التي ستتم بها المعالجة، هل هي تحليلية أو وصفية، أو غيرها من الطرائق الأخرى.
- الإشارة إلى بعض العناصر التي شجعت على كتابة البحث، كتوافر وثائق جديدة أو اكتشاف مخطوط معين، ساعد على بلورة الموضوع وقدّم حقائق لم تكن معروفة سابقاً.
- التطرق إلى بعض الصعوبات التي جابهت الباحث، والناجمة عن طبيعة الموضوع لا عن الظروف الخاصة؛ أو المشاكل الشخصية؛ أو العائلية

---

[1] شلبي، كيف تكتب بحثاً...، ص ١٣٦؛ بوحوش، دليل الباحث...، ص ٩٢.

وغيرها، ويجب على الباحث هنا أن يتواضع، ولا يحاول أن يكثر من ذكر الصعوبات أو يهول من أمر بحثه، ليظهر بالتالي كيف تمكن من إنجازه، وذلل كل العقبات التي جابهته وفي هذا تمجيد غير محبذ للذات.

- تقديم شرح قصير لمخطط البحث، يشمل الأبواب والفصول التي تضمنها بحسب التسلسل الموجود فيه، مع التركيز على النقاط الرئيسة التي تم التعرض لها في البحث، وأظهر الترابط بين أجزائها[1].
- تحليل المصادر والمراجع التي استند إليها الباحث، وإظهار الفائدة منها، ومدى قيمتها العلمية، وتعد هذه النقطة من النقاط الأساسية المهمة جداً في المقدمة، ولا يجوز أن تخلو منها البحوث العلمية الرصينة، وتصنف المصادر في أثناء تحليلها بحسب أهميتها من جهة، وبحسب قدم وفاة مؤلفها من جهة أخرى، وتأتي الوثائق غير المنشورة والمخطوطات عادة في طليعة هذه المصادر المراد تحليلها بحسب حقل المعرفة الذي ينتمي إليه، مثل كتب التاريخ العام، وكتب الطبقات، وكتب الرحالة وكتب التراجم والكتب الفقهية والكتب الأدبية وغيرها.

٦- متن البحث

يمثل هذا القسم من البحث متن الموضوع الرئيسي، بل هو جوهره، ولا يوجد حجم معين، أو هيكلية مناسبة، فهناك أبحاث تتألف من أبواب وفصول، وأخرى تتألف من فصول فقط، وذلك بحسب طبيعة البحث وحجمه. فإذا كان البحث صغيراً لا يتجاوز العشرين صفحة فلا داعي لتقسيمه إلى فصول، ويمكن حينئذ

---

[1] شلبي، كيف تكتب بحثاً...، ص ١٣٦-١٣٧؛ يعقوب، كيف تكتب بحثاً...، ص ٧٥-٧٦؛ بوحوش، دليل الباحث...، ص ٩٢.

تقسيمه إلى مباحث فرعية متعددة، تستخدم الأرقام لتمييزها بعضها من بعض (أي أولاً، ثانياً، ثالثاً، وهكذا)، وتستخدم كلمة "فصل" عادة عندما يكون حجم القسم الواحد من البحث يتجاوز العشرين صفحة، وأن يكون مجموع البحث يتجاوز الثمانين صفحة. وفي هذه الحالة يبدأ كل فصل بصفحة جديدة ويكون له عنوان ورقم مسلسل[1].

ويفترض أن يكون هناك تسلسل منطقي بين أجزاء البحث، سواء أكان يتألف من أبواب وفصول، أم من فصول أو مباحث صغيرة فقط، وهذا بطبيعة الحال، يتوقف على براعة الباحث في اختيار العناوين ونجاحه في تطبيق الخطة التي اعتمدها منذ بداية البحث. وتجدر الملاحظة هنا إلى وجوب التناسب بين أجزاء البحث، ولا يعني هذا أن تكون جميع الأقسام أو الفصول متساوية الحجم تماماً؛ بل المقصود أن يكون هناك نوع من التنسيق بين الجميع، فلا يستحسن أن يأتي باب أو فصل أو قسم في حجم يزيد أضعافاً كثيرة على نظيره في البحث، أما عدد صفحات البحث فغير محددة. وبطبيعة الحال، فإن البحوث تختلف من حيث الحجم تبعاً لطبيعتها، فالبحوث الجامعية الأولية، تكون عادة قصيرة في حين أن أبحاث دراسات الماجستير تصل إلى نحو مئتي صفحة، اما الدكتوراه فتكون أكثر عادة، ويجب ألا يغيب عن البال أن قيمة البحث لا تتوقف على حجمه أو عدد صفحاته، بل على منهجيته وموضوعيته والأمور الجديدة التي كشف عنها[2].

---

[1] القياض، التاريخ فكرة ومنهجاً...، ص ٩٠.

[2] يعقوب، كيف تكتب بحثاً...، ص ٧٧؛ بوحوش، دليل الباحث ...، ص ٩٣؛ الطاهر، منهج البحث الأدبي...، ص ١٣٤-١٣٥.

٧- الخاتمة:

تتميز الخاتمة من بقية أجزاء البحث كله، بأنها تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وهي ضرورية في البحوث ويستحسن أن تثبت على شكل نقاط محددة. ويعمد الباحثون إلى تضمين الخاتمة خلاصة البحث، أو النقاط الرئيسة فيه، مبتدئاً من الفصل الأول، ومنتهياً بالفصل الأخير، إلا أنه يلاحظ أن الخاتمة تختلف عن الخلاصة "Abstract" التي هي عبارة عن تلخيص حرفي للبحث، ويستعمل لأغراض غير الخاتمة، كأنه يرسل للمجلات أو مراكز جمع الرسائل الجامعية للتعريف بالبحوث التي تتجمع لديها.

وتكون الخاتمة مرتبطة إلى حد ما بالمقدمة حيث يحاول الباحث أن يجيب فيها عن بعض الأسئلة التي طرحها في المقدمة، ولا يمكن أن تكون الخاتمة تكراراً لما جاء في المتن، بل يجب أن تتضمن أموراً جديدة، أو آراء شخصية لم يجد لها الباحث مكاناً مناسباً في فصول بحثه أو هيكله. ويستحسن أن يُذكر فيها إضافة إلى النتائج المستخلصة، أهم النقاط التي لم يتمكن الباحث من دراستها دراسة كافية، فيفتح بذلك آفاقاً جديدة لمن يأتي بعده من الباحثين. ولا يوجد تحديد معين لعدد صفحات الخاتمة، ولكن يجب أن يتلاءم ذلك مع صفحات البحث، ويُفضل عدم الإسهاب فيها، لأن المادة تأتي بشكل مطول في الخاتمة يمكن أن ترجع إلى أماكنها المناسبة في فصول أو أقسام البحث[1].

٨- الملاحق:

يصادف الباحث في بعض الأحيان العثور على بعض المواد التي لها صلة بالموضوع الذي يبحث فيه، لكنها ليست ضرورية لتضمينها في متن البحث،

---

[1] يعقوب، كيف تكتب بحثاً...، ص ٧٧؛ الطاهر، منهج البحث الأدبي...، ص ٦٩-٧٠.

لتحاشي الاستطراد، وقطع انسجام الموضوع وتسلسله، فيلجأ حينذاك إلى وضعها في نهاية البحث، واعتبارها ملحقاً لها، ولا يتّبع في ترتيب الملاحق طريقة خاصة، بل ترقم بعد نهاية البحث مباشرة، وعلى صفحة أو صفحات مستقلة، وإذا كان هناك أكثر من ملحق تعطى أرقاماً مسلسلة. وهناك خلاف في المكان الذي يجب أن تحتله الملاحق فيرى البعض أنها توضع بعد مصادر ومراجع البحث أو الرسالة، باعتبار أن المصادر والمراجع هي أوثق صلة بالبحث، وأن الملاحق شيء زائد من الممكن الاستغناء عنه بعد أن أشير في المتن إلى ما يحتاجه البحث منها، ويرى آخرون ان توضع الملاحق بعد متن الرسالة مباشرة، وقبل المصادر والمراجع؛ لأن الصلة العلمية بينها وبين البحث واضحة جداً. يضاف إلى ذلك أن المصادر والمراجع قد تشير إلى الموارد التي أخذت منها تلك الملاحق والوثائق، فالصحيح إذن هو وضعها بعد متن الرسالة أو البحث مباشرة، لا بعد قائمة المصادر والمراجع[1].

ولا يوجد قاعدة معينة لما يمكن أن تشمله الملاحق من مواد، فقد يكون الملحق فصلاً تاماً من كتاب؛ أو إضافات عامة أو فقرة أو جدولاً أو خريطة أو إحصاءات خاصة أو صوراً لبعض صفحات مخطوط؛ أو صوراً لبعض الوثائق المستخدمة، ولكن يجب أن يراعى في جميع أنواع الملاحق، تدوين المصادر المعتمدة التي أخذت منها، إما قبل الاقتباس وإما بعده، ويشار إليها في الهامش.

٩- الفهارس الفنية:

من مواصفات الدراسة العلمية الجيدة، أن يلحق بها عدد من الفهارس المناسبة لمادة البحث، ويرى بعض الكتّاب ضرورة وجود مثل هذه الفهارس في البحوث

---

[1] شلبي، كيف تكتب بحثاً...، ص ١٤١-١٤٢.

العلمية؛ لأنها جليلة النفع، كثيرة الفائدة، وتعد مقياساً لتقويم البحث نفسه، ومدى ما بذل الباحث من جهد في إعداده، كما أنها تساعد القارئ كثيراً في الرجوع إلى ما يريده من معلومات، دون الاضطرار إلى قراءة البحث كله. والفهارس أنواع متعددة، تختلف بحسب طبيعة البحوث، لذا لا يشترط توافرها جميعاً في بحث معين، فما هو ضروري لبحث تاريخي، قد لا يكون ذا نفع لبحث أدبي أو جغرافي، وهكذا، ولكن لا بُدَّ من توافر بعضها في كل الأبحاث، مثل فهرس المصادر والمراجع وفهرس المحتويات وفهرس الأعلام، أما بقية الفهارس التي تشمل مواضيع متعددة، فيمكن استخدامها بحسب طبيعة البحث، ومدى الاستفادة منها، وندرج فيما يأتي طائفة من هذه الفهارس[1]:

- **فهرس الآيات القرآنية.**
- **فهرس الأحاديث النبوية.**
- **فهرس المصادر والمراجع**
- **فهرس الأعلام.**
- **فهرس الفرق والجماعات.**
- **فهرس الأماكن.**
- **فهرس القبائل.**
- **فهرس الكتب الواردة.**
- **فهرس المفردات اللغوية.**
- **فهرس الأشعار.**
- **فهرس الأقوال والأمثال.**

---

[1] يعقوب، كيف تكتب بحثاً...، ص ٧٩-٨٠؛ الطاهر، منهج البحث الأدبي...، ص ١٤٢؛ الفياض، التاريخ فكرة ومنهجاً...، ص ١٠٥.

- **فهرس المصطلحات الفنية أو الألفاظ الحضارية.**
- **فهرس الأحداث والسنين.**
- **فهرس الصور والخرائط.**
- **فهرس المحتويات أو الموضوعات.**

وكما أسلفنا، ليس من الضروري أن يحتوي كل بحث أو كتاب على جميع هذه الفهارس، وهناك من الكتب ما يحتاج إلى أنواع أخرى من الفهارس لم تذكر في هذه القائمة، وقد يرى الباحث أن يجمع بين أكثر من نوع من الفهارس في فهرس واحد، إذا كانت المادة المتيسرة لكل فهرس قليلة؛ كأن يجعل فهرس الأعلام والقبائل والجماعات والفرق في فهرس واحد، والأمكنة والبقاع في فهرس واحد، وهكذا، وبالنظر إلى تعدد هذه الفهارس وشمولها لمواضيع كثيرة غير تاريخية، سنقتصر في دراستنا على كيفية إعداد فهرس المصادر والمراجع؛ لما له من أهمية كبيرة، وضرورة توافره في كل البحوث العلمية، سواء الجامعية الأولى منها، أو بحوث الدراسات العليا.

١٠- فهرس المصادر والمراجع:

ويسمى أيضاً بثبت المصادر والمراجع؛ أو قائمة أو جردية المصادر والمراجع. وهو عبارة عن قائمة تحوي الكتب التي أفاد منها الباحث في كتابة رسالته أو بحثه، ويجب أن تتضمن جميع الكتب التي استخدمها المؤلف، وأشار إليها في الهوامش. أما الكتب التي اطلع عليها، ولم يستشهد بها، فلا يجوز ذكرها في هذه القائمة.

وتصنف المصادر والمراجع بحسب أنواعها، فتدرج المخطوطات أو الوثائق غير المنشورة في البداية، ثم الكتب المطبوعة، والرسائل الجامعية، والموسوعات والمعاجم والمقالات، والأحاديث الإذاعية والمحاضرات والمراسلات وغيره. ولكن

يجب ملاحظة التقليل من تفريع القائمة، حتى يسهل الرجوع إلى هذه المصادر والمراجع، وفي كل الحالات يستحسن فصل المصادر الأولية عن المراجع الثانوية، وفصل المؤلفات العربية عن المؤلفات الأجنبية التي يجب أن تدون بلغتها.

أما بالنسبة إلى ترتيب قائمة المصادر والمراجع فهناك ثلاثة أنظمة[1]:

- الترتيب بحسب الطريقة الزمنية، ويكون الاعتماد في ذلك على سنوات الوفيات بالنسبة إلى المصادر وتاريخ الطبعة الأولى بالنسبة إلى المراجع.
- الترتيب بحسب الحروف الهجائية الأولى (أ -ب- ت -ث...) لأسماء المصادر والمراجع، ويرى من يفضل هذه الطريقة أن أسماء الكتب أشهر من أسماء مؤلفيها، وعليه فإن الإشارة إليها أفضل من الإشارة إلى اسم المؤلف.
- الترتيب بحسب الحروف الهجائية لألقاب المؤلفين، أو أسمائهم الأخيرة، وهو النظام الغربي المتبع في الترتيب، وقد سار عليه معظم المؤلفين المحدثين، وشاع عالمياً، ورتبت على أساسه الكتب في المكتبات، لذلك من الأنسب اتباعه؛ للمحافظة على التوحيد في المناهج. يضاف إلى ذلك، أن شهرة المؤلفين، لا تقل عن شهرة مؤلفاتهم، كذلك فإن تواريخ الوفاة بالنسبة إلى بعض المؤلفين القدامى مجهولة، ما يشكل صعوبة في الترتيب بحسب الطريقة الأولى. ولهذا ننصح باتباع النظام الأخير، أي الترتيب بحسب الحروف الهجائية لألقاب المؤلفين.

وبصورة عامة، فإن الترتيب في قائمة المصادر والمراجع، يختلف بعض الشيء عن الهوامش، حيث يقلب اسم المؤلف هنا؛ أي بدون اللقب، أو الاسم

---

[1] يعقوب، كيف تكتب بحثاً...، ص ٨٤-٨٥؛ الطاهر، منهج البحث الأدبي...، ص ١٣٧؛ ملحس، منهج البحوث العلمية...، ص ١٧٣-١٧٤.

الأخير أولاً، يتبعه بعد الفاصلة، الأسم الأول ويفصل بين اسم المؤلف وعنوان الكتاب فاصلة، ومكان الطبع فاصلة، كما تحذف الأقواس التي توضع في الهوامش لتضم المعلومات الخاصة بالنشرة. وفيما يأتي أمثلة ونماذج مختلفة لكيفية التدوين في قائمة المصادر والمراجع:

أ) أساليب تدوين المخطوطات والوثائق غير المنشورة:

بالنسبة إلى المخطوطات، يتقدم اللقب، أو الاسم الأخير على الاسم الأول، ثم الاسم الأول، ففاصلة، ثم يذكر بالنسبة إلى المؤلفين القدماء سنة الوفاة بالتاريخين الهجري والميلادي، بعدها توضع فاصلة، فاسم المخطوط كاملاً منتهياً بفاصلة، ثم مكان وجوده ورقمه، وتوضع نقطة في نهاية التوثيق.

ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (٢٠٤هـ/٨١٩م)، جمهرة النسب، المتحف البريطاني، رقم (Add 23297).

أما الوثائق غير المنشورة، فيذكر أولاً المكان الذي تحفظ فيه، ثم الجهة التي تعود إليها الوثيقة، فرقم وعنوان الملف الخاص بها، ثم رقم الوثيقة إن وجد وعنوانها وتاريخها.

المركز الوطني لحفظ الوثائق (بغداد)، ملفات وزارة الخارجية، الملف ٢١/٢٥، مجموعة تقارير وزارة الخارجية العراقية، ١٩٤٠.

Public Recird Office (P.R.O) London, Foregn Office (F.O) 371, General Politlcal Correspondence, 371L61557., Middle Est Strategy Anglo-American Talks, 1947.

ب) أساليب تدوين الكتب:

١- يكتب لقب المؤلف أو اسمه الأخير، ثم فاصلة، ثم اسمه الأول ويستحسن بالنسبة للمؤلفين القدامى ذكر سنة الوفاة، بالتاريخ الهجري والميلادي بين قوسين، بعد هذا توضع فاصلة.

٢- عنوان الكتاب.

٣- اسم المحقق أو المترجم إذا كان الكتاب محققاً أو مترجماً ثم يتبع بفاصلة.

٤- ذكر الطبعة، إذا كان للكتاب أكثر من طبعة واحدة ففاصلة.

٥- مكان النشر (الدار أو المطبعة حسب توفرها).

٦- مكان النشر (المدينة أو الدولة).

٧- تاريخ النشر مختوماً بنقطة.

وهكذا يكون تصميم ثبت الكتاب كالآتي:

اللقب، اسم المؤلف الأول (تاريخ الوفاة)، اسم الكتاب، اسم المحقق أو المترجم (إن وجد)، الطبعة، دار النشر ومكانه، التاريخ.

أمثلة:

١. بدري، السيد محمد ، مخطط تاريخي لتقدم العقل البشري لكوندرسيه، القاهرة ١٩٩٥.

٢. بروفنسال، ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، تعريب محمود عبد العزيز سالم، وصلاح الدين حلمي، نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٦.

٣. بوحوش، عمار، دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٥.

٤. ترحيني، محمد أحمد، المؤرخون والتأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية ودار الريف، بيروت، د.ت.

ج) – أساليب تدوين البحث والمقالات:

لا يوجد خلاف جوهري بين تصنيف الكتب والمقالات، باستثناء بعض الامور التي يجب مراعاتها، فعند كتابة المقال، يكتب أيضاً لقب المؤلف أولاً، ثم الاسم الأول، فعنوان المقال بين مزدوجتين، فاسم المجلة أو الجريدة، فمكان صدورها، فالعدد، والمجلد او الجزء، فالتاريخ، ثم صفحات المقال.

أمثلة:

١. الجومرد، جزيل عبد الجبار، "الأسرة الأيوبية ودورها في تثبيت حكم صلاح الدين في مصر"، مجلة التربية والعلم، العدد ٨، ١٩٨٩، صص ١١١-١٤٩.

٢. طه، صلاح الدين أمين، "معركة أجنادين وأثرها في فتوح الشام"، مجلة آداب الرافدين، العدد ١٦، ١٩٨٦، صص ٢٢٩-٢٤٣.

٣. بن عبود، أمحمد، "معركة الزلاقة والواقع الأندلسي"، مجلة البحث العلمي، العدد ٣٣، ١٩٨٢، صص ٤٩-٦٧.

د) أساليب تدوين المراجع الخاصة بالرسائل الجامعية والدراسات غير المنشورة:

يتقدم اللقب على الاسم أيضاً في الرسائل الجامعية، وتثبت كما يأتي: اللقب، الاسم الأول، عنوان الرسالة أو الأطروحة، (رسالة ماجستير أو دكتوراه غير منشورة)، الجامعة، الكلية، السنة.

أمثلة:

١. السامرائي، خليل إبراهيم، علاقة المرابطين بالممالك النصرانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٧٩، نشرت في بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٥.

٢. نورين، علاء موسى الكاظم، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، آذار ١٩٧٣.

و) أساليب تدوين المراجع الخاصة بالموسوعات أو دوائر المعارف:

إذا اعتمد الباحث على مقالات متعددة من إحدى الموسوعات، يمكن أن يدرج اسم تلك الموسوعة ضمن قائمة المراجع، بحسب موقعها من الحروف الهجائية، مثل دائرة المعارف الإسلامية، في حرف الدال. أما إذا اعتمد على مقالة أو اثنتين فقط، فإنه يذكرها تحت اسم المؤلف ضمن حقل المقالات.

ز) الأحاديث الإذاعية، والمحاضرات، والمراسلات، والمقالات الشخصية وغيرها:

يمكن أن تدرج في قائمة المصادر والمراجع، لكنها تنشر في الهوامش بصورة منتظمة بحسب الطريقة التي أشرنا إليها هناك.

وهناك بعض الملاحظات العامة التي يجب على الباحث أن يلاحظها عند تبويب المصادر والمراجع، ندرج أهمها فيما يأتي[1]:

١. لا تدخل ألف ولام التعريف في الترتيب الهجائي، إذا وقعت في أول الاسم، مثل الطبري، يرتب في حرف الطاء، واليعقوبي يرتب بحرف الياء، أما إذا كانت الألف واللام من أصل الإسم فإنها تحسب في الترتيب الهجائي، مثل إلياس، وألبير، وألكسندر.

٢. لا تدخل الألقاب في الترتيب الهجائي، مثل: الدكتور، الأستاذ، المهندس، ولا تدخل أيضاً في الترتيب الهجائي كلمة ابن أو أبو، أو ابن أبي، مثل ابن خلدون يرتب في حرف الخاء، وأبن أبي دينار، يرتب في حرف الدال، وأبو المحاسن، يرتب بحرف الميم، وهكذا.

٣. تعامل الأسماء المركبة، من مضاف ومضاف إليه، أو من فعل وفاعل، على أنها كلمة واحدة في الترتيب الهجائي، مثل تقي الدين، وجاد الحق، وبنت الشاطئ.

٤. يستحسن إدراج المعلومات المتعلقة بالمؤلف في سطر منفرد، ثم يكتب عنوان الكتاب، وما يتعلق به في سطر آخر، يكون في أسفل السطر الأول، ويبدأ بعد ترك فراغ مناسب.

---

[1] يعقوب، كيف تكتب بحثاً...، ص ٨٦-؛ الطاهر، منهج البحث الأدبي...، ص ١٣٨-١٣٩؛ الفياض، التاريخ فكرة ومنهجاً...، ص ١٠٦.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (٤٥٦هـ/١٠٦٣م):

رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠-١٩٨١.

٥- إذا كان الكتاب يتألف من أجزاء صدرت في أوقات مختلفة، فنضع تاريخ صدور الجزء الأول، ثم شرطة صغيرة، فتاريخ صدور الجزء الأخير.

٦- يجب ذكر الطبعة في حال تعدد طبعات الكتاب؛ لأن الصفحات قد تتغير بتغير الطبعات، وينصح باعتماد أفضل الطبعات المتيسرة وأحدثها، وإذا اضطر الباحث إلى استخدام طبعتين مختلفتين، يجب الإشارة إليهما في كل اقتباس، لمنع الالتباس، ولكن يستحسن الابتعاد عن استخدام طبعتين ما أمكن.

٧- إذا تعددت دور النشر أو أمكنتها، من الأفضل تدوينها جميعاً، أو يقتصر على أهمها أو ما جعل في البداية.

٨- إذا تم استخدام عدة كتب لمؤلف واحد ترتب الكتب هجائياً حسب الكلمة الأولى من عنوان الكتاب.

مثال:

مؤنس، حسين، التاريخ والمؤرخين، القاهرة ١٩٨٠.

مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط١، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ١٩٦٧.

مؤنس، حسين ، الحضارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١، ١٩٧٨.

مؤنس، حسين، رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، العدد ١٨، مدريد ١٩٧٤-١٩٧٥.

وختاماً:

إن ما يمكن قوله في نهاية المطاف، أن الطريق الذي ينبغي أن يقطعه كل باحث يرغب في دراسة التاريخ والتأليف فيه بطريقة علمية طويل، ولا بد من المرور بكل هذه المراحل واحدة بعد أخرى بصبر وأناة. وليس من الممكن تطبيق كل هذه القواعد دفعة واحدة أو عند القيام بأول بحث تاريخي، بل إن البحث العلمي كفيل بتحقيق ذلك بالتدريج، وعلى الباحث أن يسترشد بهذه القواعد في أثناء البحث العلمي ذاته، فيكون بذلك أبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب.

وجدير بالذكر أن المعلومات التي وردت في هذه الفصول هي حصيلة خبرات وتجارب كتاب ومؤلفين قضوا سنين عديدة في مجال البحث والتدوين التاريخي، فهي عصارة أفكارهم النيرة نقدمها ليستفيد منها طلبة التاريخ، فيتكلل عملهم في مجال البحوث بالنجاح، ويكون مقدمة لأعمال أخرى أكثر نضوجاً، وأتم استعداداً في مجال الدراسات العليا، والتأليف التاريخي.

ومن الواجب التنبيه هنا إلى ضرورة التوسع في المعرفة التاريخية والاطلاع على الكتب التي تناولت التدوين التاريخي، لاكتساب حصيلة جيدة من لمعلومات التي تساعد على توسيع أفق الباحث المبتدئ، ليكون ذلك عوناً له في عمله، وهذا بطبيعة الحال، هو أحد العوامل التي دفعت الكتّاب والمؤلفين في هذا الحقل إلى تضمين دراسات أولية تتعلق بموضوع التاريخ وأهدافه، وفوائده قبل الدخول في ماهية البحوث وكيفية كتابتها.

ومن الضروري الإشارة في هذا المجال أيضاً إلى أن قراءة مادة هذا الكتاب نظرياً، دون بذل جهد خاص في البحث والتنقيب عن الكتب والمصادر الخاصة بالموضوع، لا يكفي للإحاطة بمادة أصول البحث والتمكن من التدوين التاريخي، ولاسيما بالنسبة للمبتدئين، فالبحث العلمي هو عمل مشترك بين الطالب، والأستاذ والقسم العلمي والمكتبة، ولا يمكن النجاح لأي بحث، إذا لم يتم التعاون بين هذه

الجهات جميعاً، ولكن يبقى الطالب المحور الرئيس لهذه العملية، وعليه يعتمد التقويم النهائي لحصيلة البحث لأنه يتحمل العبء الأكبر في الاختيار والتنظيم والكتابة والتحليل والاستنتاج.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر والمراجع العربية والمعربة:

١. أتكن، هيوغ، دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، ترجمة محمود زايد، تقديم د. قسطنطين زريق، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٢.

٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٦٥، ج١.

٣. أحمد، مصطفى أبو ضيف، منهج البحث التاريخي بين الماضي والحاضر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٧.

٤. إسماعيل، محي الدين، تونبي، منهج التاريخ وفلسفة التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٧.

٥. الأصفهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، منشورات مكتبة الحياة، بيروت د.ت

٦. الألوسي، سالم عبود، علم تحقيق الوثائق- الدبلوماتيك، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٧م.

٧. أمين، أحمد، فجر الإسلام، ط٨، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦١.

٨. بارنز، هاري المر، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة محمد عبد الرحمن برج، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٨٧.

٩. باقر، طه و حميد، عبد العزيز، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٨٠.

١٠. بتري، مدخل إلى تاريخ الرومان وأدبهم وآثارهم، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٧٧.

١١. بدر، أحمد ، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط٥، وكالة المطبوعات، الكويت د.ت.
١٢. بدري، السيد محمد، مخطط تاريخي لتقدم العقل البشري لكوندرسيه، القاهرة ١٩٩٥.
١٣. بروفنسال، ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، تعريب محمود عبد العزيز سالم، وصلاح الدين حلمي، نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٦.
١٤. بوحوش، عمار، دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٥.
١٥. ترجيني، محمد أحمد، المؤرخون والتأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية ودار الريف، بيروت، د.ت.
١٦. جعفر، نوري، التاريخ مجاله وفلسفته، مطبعة الزهراء، بغداد ١٩٥٥.
١٧. الجواهري، عماد أحمد، مفهوم التاريخ وتطور الفكر التاريخي، فصل في كتاب: دراسات في فلسفة التاريخ، تأليف يحيى الملاح وآخرون، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٨.
١٨. جوتشلك، لويس، كيف نفهم التاريخ، ترجمة عائدة سليمان عارف، وأحمد مصطفى أبو حاكمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٦.
١٩. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، المعروف بكاتب جلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، استانبول
٢٠. حاطوم، نور الدين وآخرون، المدخل إلى التاريخ، دمشق ١٩٦٥.
٢١. حسن، علي: الموجز في علم الآثار، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٣.
٢٢. حسن، محمد عبد الغني، علم التاريخ عند العرب، القاهرة ١٩٦١.
٢٣. حسين، فاضل، مفهوم التاريخ، محاضرات الموسم الثقافي بكلية التربية جامعة بغداد، ملحق مجلة الأستاذ، م١٥، بغداد ١٩٦٩.

٢٤. حسين، نازلي إسماعيل، الشعب والتأريخ، هيجل، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦.
٢٥. الحسيني، باقر محمد، تطور النقود العربية الإسلامية، دار الجاحظ، بغداد ١٩٦٩.
٢٦. الحفر، غانم محمد، نظريات تفسير التاريخ، فصل في كتاب، دراسات في فلسفة التاريخ، تأليف هاشم يحيى الملاح وآخرون .
٢٧. الحويري، محمود، منهج البحث في التاريخ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة ٢٠٠١،
٢٨. الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، م١٠.
٢٩. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، القاهرة ١٩٦٥
٣٠. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، بيروت ١٩٨٨، ج١.
٣١. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت.
٣٢. دانيال، غلين: موجز تاريخ علم الآثار، ترجمة عباس سيد أحمد محمد علي، دار الفيصل الثقافية، الرياض ٢٠٠٠، طبعة أولى.
٣٣. داهموس، جوزيف، سبعة مؤرخين في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، القاهرة ١٩٨٦.
٣٤. الدوري، عبد العزيز وآخرون، تفسير التاريخ، منشورات مكتبة النهضة، مطبعة الإرشاد، بغداد د.ت.،
٣٥. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت ١٩٨٢.
٣٦. راوس، أ. ل.، التاريخ أثره وفائدته، ترجمة مجد الدين حنفي ناصف، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٨٨.

٣٧. رستم، أسد، مصطلح التاريخ، ط٣، منشورات المكتبة المصرية، صيدا- بيروت، د.ت

٣٨. روزنثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣.

٣٩. زريق، قسطنطين، نحن والتاريخ، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩.

٤٠. زكريا، فؤاد، التفكير العلمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣، ١٩٧٨.

٤١. سالم، السيد عبد العزيز، التاريخ والمؤرخين العرب، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١.

٤٢. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، عن نسخة أحمد باشا تيمور، عني بنشره القدسي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٩.

٤٣. سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي التدوين التاريخي، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، م١.

٤٤. سعيدوني، ناصر الدين، أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر، الجزائر ٢٠٠٠.

٤٥. بن سليمان، فريد، مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس ٢٠٠٠.

٤٦. السماك، محمد أزهر سعيد؛ و الفهادي، قيس سعيد؛ و الصفاري، صفاء يونس ، أصول البحث العلمي، ط٢، مطبعة جامعة صلاح الدين، أربيل

١٩٨٦، ص ٢٠؛ أميل يعقوب، كيف تكتب بحثاً أو منهجية البحث، جروس برس، طرابلس-لبنان، ١٩٨٦

٤٧. شلبي، أحمد، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، ط٦، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٨.

٤٨. صالح، زكي، محاضرات في أصول التاريخ، ألقيت على طلبة الشرف بقسم التاريخ في كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٦٣-١٩٦٤.

٤٩. الصالح، صبحي، علوم الحديث ومصطلحه، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧١.

٥٠. الصباغ، ليلى، دراسة في منهجية البحث التاريخي، ط١١، جامعة دمشق ٢٠٠٥.

٥١. ضو، جورج، تاريخ علم الآثار، ترجمة بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط٣، ١٩٨٢.

٥٢. أبو ضيف، أحمد مصطفى، منهج البحث التاريخي بين الماضي والحاضر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ١٩٨٧.

٥٣. الطالبي، محمد، "التاريخ ومشاكل اليوم والغد"، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، فلسفة التاريخ، العدد الأول، إبريل -مايو-يونيو، وزارة الإعلام، الكويت ١٩٧٤، (ص ص ١١-٤٥).

٥٤. الطاهر، جواد، منهج البحث الأدبي، ط٢، منشورات مكتبة النهضة، بغداد ١٩٧٢.

٥٥. طه، عبد الواحد ذنون، دراسات أندلسية، المجموعة الأولى، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٨٦.

٥٦. طه، عبد الرحمن ذنون، "دور بلاد الشام في نشأة علم التاريخ في العصر الأموي"، نشر ضمن كتاب المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في

العهد الأموي، تحرير محمد عدنان البخيت، محاضر الندوة الثالثة، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩.

٥٧. طه، عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد-ميلانو ١٩٨٢.

٥٨. الطيبي، أمين، النقود العربية انتشارها وأثرها في أوروبا في القرون الوسطى، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٩، بغداد ١٩٨١.

٥٩. عبد الرزاق،، ناهض، مسكوكتان بويهيتان تميطان اللثام عن حقائق أغفلها المؤرخون، مجلة المسكوكات، العدد ٤، بغداد ١٩٧٣.

٦٠. عبد الرزاق، ناهض، المسكوكات وكتابة التاريخ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨.

٦١. عثمان، حسن، منهج البحث التاريخي، ط٨، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤.

٦٢. العزي، عزيز العلي، البحث العلمي وتدوينه ونشره، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١.

٦٣. الفياض، عبد الله ، التاريخ فكرة ومنهجاً. مطبعة أسعد، بغداد ١٩٧٢.

٦٤. قادوس، زكي حامد: العملات اليونانية والهللينستية، الإسكندرية ٢٠٠١.

٦٥. قاسم، عبده قاسم، الرؤية الحضارية للتاريخ، القاهرة، ١٩٨٥.

٦٦. القاضي، يوسف مصطفى، مناهج البحوث ودراستها، دار المريخ للنشر، الرياض ١٩٧٩.

٦٧. بن قربة، صالح ، المسكوكات المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٦.

٦٨. فوجة راغب باشا كتبخانة سي، ١٩٤١، أعادت طبعه بالاوفسيت مكتبة المثنى في بغداد، ج٢.

٦٩. كار، إدوارد ، ما هو التاريخ، ترجمة أحمد حمدي محمود، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٦٢.

٧٠. كب، علم التاريخ، كتب دار المعارف الإسلامية رقم (٤)، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١.

٧١. كوثراني، وجيه، تاريخ التأريخ، اتجاهات -مدارس-مناهج، ط٢، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر ٢٠١٣.

٧٢. كولنجوود، ر.ج. ، فكرة التاريخ، ترجمة محمد بكير خليل، راجعه محمد عبد الواحد خلاف، القاهرة ، ١٩٦٨

٧٣. كوهن، هانز، عصر القومية، ترجمة عبد الرحمن صدقي، مراجعة مصطفى حبيب، القاهرة ١٩٦٤.

٧٤. لانجلوا، شارل فكتور؛ و سينوبوس، شارل، المدخل إلى الدراسات التاريخية، نشر ضمن كتاب :النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٢.

٧٥. محفوظ، ناجي علي، النقود في المصادر العربية، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٢

٧٦. محمد، عبد الرحمن فهمي ، النقود العربية ماضيها وحاضرها، دار القلم، القاهرة ١٩٦٤.

٧٧. المشهداني، محمد جاسم حمادي، موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٦، ج١.

٧٨. مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخين، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩، ج١

٧٩. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، كتاب النقود الإسلامية، منشور ضمن ثلاث رسائل ، مطبعة الجوانب، القسطنطينية ١٢٩٨هـ.

٨٠. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت ١٩٧٠.

٨١. مؤنس، حسين، التاريخ والمؤرخين، القاهرة ١٩٨٠.

٨٢. مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط١، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد ١٩٦٧.

٨٣. مؤنس، حسين ، الحضارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١، ١٩٧٨.

٨٤. مؤنس، حسين، رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، العدد ١٨، مدريد ١٩٧٤-١٩٧٥.

٨٥. الملاح، هاشم يحيى، وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ، دار الكتب للطباعة، الموصل ١٩٨٨م.

٨٦. ملحس، ثريا عبد الفتاح، منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين، ط٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٨٧. الموافي، عثمان، منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوروبي، ط٢، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٧٦.

٨٨. المياح، علي محمد ، العوامل السوقية والتعبوية وأثرها على الفتوحات العربية الإسلامية في فرنسا، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، م٥، بغداد ١٩٦٩،

٨٩. نجم، حسن طه، ضوء على الفكر الجغرافي الحديث، مجلة الأستاذ، م١١، بغداد ١٩٦٢-١٩٦٣.

٩٠. ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٨.
٩١. نصار، حسين، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ط٢، منشورات اقرأ، بيروت ١٩٨٠.
٩٢. نف، إيمري، المؤرخون وروح الشعر، ترجمة توفيق اسكندر، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦١.
٩٣. النقشبندي، أسامة ناصر و الحوري، حياة عبد علي، الأختام الاسطوانية في المتحف العراقي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد ١٩٧٤.
٩٤. النقشبندي، السيد ناصر محمود، الدرهم الإسلامي المضروب على الطراز الساساني، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٦٩.
٩٥. النقشبندي، السيد ناصر محمود، ، الدينار الإسلامي في المتحف العراقي ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٥٣، ج١.
٩٦. النقشبندي، السيد ناصر محمود و البكري، مهاب درويش، الدرهم الأموي المعرب، دار الحرية للطباعة، بغداد.
٩٧. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك ، كتاب التيجان في ملوك حمير واليمن، نشر كرنكو، حيدر أباد الدركن، ١٣٤٧هـ، ١٩٢٨، وأعيد طبعه في مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء ١٩٧٩.
٩٨. هرتشو، ف. جي. سي.، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٤٤.
٩٩. الهواري، سيد محمود ، دليل الباحثين في كتابة التقارير والمقالات ورسائل الماجستير والدكتوراه، ط٢، مكتبة عين شمس، القاهرة ١٩٧١.
١٠٠. هورس، جوزيف، قيمة التاريخ، ترجمة الشيخ نسيب وهبة الخازن، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٤.
١٠١. الهمذاني، الإكليل، طبعة الأكوع، القاهرة ١٩٦٣، ج١، ص ٩ وما يليها.

١٠٢.الواقدي، محمد بن عمر، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٤، مقدمة المحقق، ج١.
١٠٣.ويدجري، آلبنا ج.، التاريخ وكيف يفسرونه، من كنفوشيوس إلى توينبي، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة ١٩٩٦، ج٢.
١٠٤.يزبك، قاسم، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٠.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1. Baumgartel, E, The Culture of Prehistoric Egypt, 2 vols. I(1955); II (London 1960); P. Singh, Neolithic Culture of Western Asia, London 1974.
2. Berry, Rall, How to Write A Research Paper, 2ed ed. Pergamon Press, Oxford 1969.
3. Brandon, L.G., History A Guide to Advanced Study, Edward Arnold, London 1976.
4. Hawkes, Atlas of Ancient Archaeology, London, 1974.
5. The Spirit and Purpose of Geography, London 1960
6. Price, M.J., Caine and their cities, London, 1977.
7. Milne,. G.J, Greek Coinage, Clarendon, Oxford, 1931.
8. .Price, M.J., Coine and their cities, London, 1977.

9. Trevelyan, George Macaulay, in Some the Century Historians, ed. By William Halperin, U.S.A., 1961.
10. Trevelyan, G.M., Hist, and Reader, London 1945.
11. Robert L. Heilbroner, Future as History, New York, 1960.
12. Rowse, A.L., The use of History, New York, 1948.
13. Seltman, Ch., Greek Coins. A History of metallic currency and coinage down to the fall of Hellenistic Kingdoms, Methuen & Co. London, 1960.
14. Smellie, K.B., Why we Read History, Ed by H.M. Burton, London 1947.
15. Sol. Tax, Loren C, Elseley, Irving Rouse, and Carl F. Voegelin, ods, Chicago, University of Chicago press, 1953.
16. Stern, Fritz, The Varieties of History from Voltare to the Present, New York, 1964.
17. Walker, J.A., A. Catalogue of the Arab-Byzantine and Post Reform Umaiyad Coins, London 1956.

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

اللجنة العلمية:

الأستاذ الدكتور: محمود عامر

الأستاذ الدكتور: أحمد الخضر

الأستاذ الدكتور: عمار النهار

المدقق اللغوي:

الأستاذ الدكتور: نايف شقير

حقوق الطبع والترجمة والنشر محفوظة لمديرية الكتب والمطبوعات

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University